

بُلُوغُ الْأَرَبِ فِي أَحْوالِ الْعَرَبِ

برخصة نظارة المعارف الجليلة

{ الطبعة الاولى }

طبع في بغداد في مطبعة « دار السلام »
الكائنة في سوق الجبوتجية المرقه بعدد ٨٢

١٣١٤

على عهدة المطبعة المذكورة

فهرس الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب

٢	الغائب اذا لم يقفوا على خبره
٣	ما يطفى نار الحرب بزعمهم
٤	مذهب العرب فى الحرزات والاحجار والرقى
٥	خرزاتهم
٨	النشر والتائم على زعمهم
٩	من مذاهبهم الباطلة الوشم
١٠	ومنها النياحة والتذب
١٢	ومنها النوى
١٣	ومنها قول لا تبعد للميت
١٤	ومنها جز النواصى
١٦	ومنها شد اللسان
١٧	ومنها خضاب النحر
١٨	ومنها التعقية
١٩	ومنها حمل الملوك على الاعناق اذا مرضوا
٢١	ومنها تخصيص الملوك فى الدية بالف بئر
٢٢	ومن عوائدهم تحريم الخمر على انفسهم الى ان يأخذوا بشارهم
٢٥	مذهبهم فى الخليع والرجل اللعين
٢٨	ومن مذاهبهم الباطلة المعاقرة فى الابل
٣٠	ومنها تفرد العزيز منهم بالحمى

ومنها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام	٣٤
ومنها الفرع والعتيرة	٣٩
ومنها الواد للبنات	٤١
الميسر ومذهبهم فيه	٥٦
الاستقسام بالازلام	٧٠
النسي ومذهبهم فيه	٧٥
شهور العرب وماخذ اسمائها	٨٢
(ذكر ماكان للعرب في الجاهلية من الغلوم والمعارف)	٨٦
من علومهم علم الشعر والفريض	٨٩
احتماء القبائل بشعرائها	٩١
تنقل الشعر في القبائل	٩٣
انفة شعر آء العرب من التكسب بالشعر	٩٦
(ذكر نبذة من مائر شعر آء العرب وغرر شعرهم)	٩٩
امرؤ القيس الكندي وغرر شعره	١٠٠
زهير ابن ابى سلمى	١٠٢
النابعة الذبياني	١٠٦
اوس بن حجر الاسدى	١٠٧
بشر ابن ابى حازم الاسدى . والافوه الاودى	١٠٨
عبيد بن الابرص	١٠٩
المرقش . ومهلل . والاسود بن يغفر	١١٠
طرفة ابن العبد	١١١

- ١١٢ المتلمس
 ١١٣ علقمة بن عبدة. وابو دؤاد الايادي . ولقيط بن معبد الايادي
 ١١٤ حاتم الطائي
 ١١٥ عمرو بن كلثوم
 ١١٦ غنرة بن شداد ا . ي
 ١١٧ طفيل الغنوي. والاضبط بن قريع السعدي
 ١١٨ عدي بن زيد العبادي
 ١١٩ الحارث بن حلزة اليشكري
 ١٢٠ امية ابن ابي الصلت
 ١٢١ المثقب العبدى
 ١٢٢ الممزق العبدى
 ١٢٣ عبد قيس بن خفاف. والشنفرى. وعروة بن الورد
 ١٢٤ اقنون التغلبي. وقيس بن الخطيم
 ١٢٥ احيحة ابن الجلاح. وعامر بن الطفيل. وابو الطمجان القيني
 ١٢٦ الاعشى
 ١٢٨ * لييد بن ربيعة العامري الانصاري
 ١٣٠ * كعب بن زهير. والملاء بن الحضرمي
 ١٣١ النمر بن تولب المكلبي
 ١٣٢ * حسان بن ثابت
 ١٣٣ * النابغة الجعدي
 ١٣٥ * الحطيئة

- ١٣٦ أبو ذؤيب الهذلي . وأبو خراش الهذلي
- ١٣٧ المتخيل الهذلي . وأبو صخر الهذلي . وتميم بن مقبل
- ١٣٨ عبدة بن الطيب . وحيد بن ثور
- ١٣٩ متم بن نويرة . ودريد بن الصمة . وسويد بن أبي كاهل
- ١٤٠ النجاشي الحارثي . والشماخ بن ضرار . وعمرو بن معدى كرب
- ١٤١ عمرو بن الأهتم . وعبد بن الحسحاس . وأبو محجن الثقفي
- ١٤٢ كعب بن سعد . ومعن بن أوس . وكعب بن جعيل . وزباد بن زيد العذري
- ١٤٣ أبو الأسود الدؤلي . وزفر بن الحارث . وعبد الله بن قيس الرقيات
- ١٤٤ المتوكل اللثقي
- ١٤٥ عوائد العرب في الوصايا والخطب
- ١٤٩ (خطباء العرب المشهورون في الجاهلية)
- ١٥٠ منهم سحبان وائل الباهلي
- ١٥٢ ومنهم دويد بن زيد الحميري
- ١٥٣ ومنهم زهير بن خباب بن هبل الحميري
- ١٥٥ ومنهم مرثد الخير الحميري
- ١٥٧ ومنهم الحارث بن كعب المذحجي
- ١٥٩ ومنهم قيس بن زهير العبسي
- ١٦٠ ومنهم الربيع بن ضبيع الفزاري
- ١٦٢ ومنهم أبو الطمحان القيني
- ١٦٣ ومنهم ذوالاصبع العدواني
- ١٦٤ ومنهم الأوس بن حارثة

ومنهم أكثر بن صيفي التميمي	١٦٥
ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبي	١٦٨
ومنهم نعيم بن ثعلبة الكنانى . وأبو سيارة العدواني	١٧٠
ومنهم الحارث بن ذبيان اليماني	١٧١
(ومن علومهم علم الانساب)	١٧٦
طبقات الانساب	١٨٤
ما يجب للناظر في علم الانساب	١٨٧
مذهب العرب في أسماء القبائل	١٨٩
مذهبهم في التسمية والكنى	١٨٩
من اشتهر من العرب في معرفة النسب ومنهم دغفل	١٩٦
ومنهم ورقاء الأشعري . وزيد بن الكيس . والنخار بن اوس	٢٠٠
ومنهم صعصعة بن صوحان	٢٠٣
ومنهم عبد الله بن عبد الحجر	٢٠٥
قولهم نسب من كثير وبيان معناه	٢٠٥
(علم العرب بالاخبار)	٢٠٨
التاريخ عند العرب في الجاهلية	٢١٢
زمن الفطاحل	٢١٩
(أماكن للعرب من العلم بالسماء)	٢٢٢
السموات والافلاك	٢٢٣
منازل القمر وانوائها	٢٢٧
اقسام الانواء وايامها	٢٣٧

٢٣٨	البعد بين المنازل
٢٣٩	ما تقوله العرب عند طلوع المنازل و الكواكب
٢٤١	الطالع والغارب و الرقيب منها
٢٤٧	الجمرات وسقوطها
٢٤٩	مخائل العرب في الانواء
٢٦٠	ومن علومهم علم القيافة والعيافة
٢٦٢	ومن علومهم علم الفراسة وفيه قصة زار
٢٦٦	فراسة الامام الشافعي
٢٦٨	ومن الفراسة علم تعبير الرؤيا
٢٧٠	ومن علومهم علم الكهانة والعرافة
٢٧٧	(نبذة من اخبار بعض من اشتهر من الكهان والعرافين)
٢٧٨	منهم عزى سلعة الكاهن
٢٨٢	ومنهم شق بن انمار من زار
٢٨٤	ومنهم سطيح بن مازن بن غسان
٢٨٧	ومنهم طريفة الكاهنة
٢٩٣	ومنهم زبر آء الكاهنة
٢٩٩	ومنهم سامي الهمدانية
٣٠٠	ومنهم عفير آء الحميري
٣٠٣	ومنهم سواد بن قارب الدوسي
٣٠٩	ومنهم فاطمة بنت مر الحثمية
٣١١	(العرافون المشهورون)

- ٣١٢ ومن علومهم علم الزجر والعيافة
 ٣١٨ كيفية الزجر عند العرب
 ٣١٩ (من اشتهر من العرب بالزجر والعيافة)
 ٣٢٠ منهم حسل بن عامر بن عميرة الهمداني
 ٣٢١ ومنهم ابو ذويب الهذلي
 ٣٢٣ ومنهم جابر المازني وجندب بن الغنبر
 ٣٢٥ ومنهم مرة الاسدي
 ٣٢٦ من انكر الزجر والطيرة من العرب
 ٣٣٠ الطرق بالحصي والخط
 ٣٣٥ (ومن علومهم علم الطب)
 ٣٣٦ مشاهير اطباء العرب . ومنهم الحارث بن كلدة
 ٣٤٤ النضر بن الحارث
 ٣٤٦ ابن حذيم
 ٣٤٨ ذكر نبذة من اسماء العلل التي عرقها العرب
 ٣٥٣ ومن علومهم علم الريافة
 ٣٥٤ ومن علومهم علم الاهتداء في البراري
 ٣٥٦ علمهم بادواء الخيل ودوائها وعيوبها ومحاسنها
 ٣٦٣ علمهم باجزاء الحيوان وخلق الانسان
 ٣٦٦ ومن علومهم علم الرمي بالسهم
 ٣٦٧ المراماة بالسهم والسبق بالنصل والنضال وانواعه
 ٣٦٨ القوس وما وضع لها من الاسماء

المسهم وما وضع له من الاسماء	٣٧٠
ومن علومهم علم نزول الغيث	٣٧٢
الرياح واوصافها	٣٧٣
السحب وانواعها	٣٧٥
الرعد والبرق	٣٧٧
ما كان للعرب من العلم بالملاحة	٣٧٨
كتابة العرب في الجاهلية	٣٨٢
فوائد لغوية تتعلق بالكتابة وآلاتها	٣٨٥
مكتابات العرب ومراسلاتهم ومالهم في ذلك من العوائد	٣٨٨
صحيفة المتلمس	٣٨٩
تغير اسلوبهم	٣٩١
قرطاس العرب وما كانوا يكتبون فيه	٣٩٥
حساب العرب ايام جاهليتهم	٣٩٦
مما تش العرب واسبابها ايام جاهليتهم	٤٠٢
منها التجارة	٤٠٣
ومنها الصنائع	٤٠٦
صناعة البناء وما ثبت عنهم في هذا الباب من اللغة	٤٠٧
بيوت اهل البادية من العرب واسماؤها	٤١٢
ومن صنائعهم صناعة التجارة	٤١٤
اوصال الباب واسماء اجزائها	٤١٦
ادوات النجارين واسماؤها	٤١٨

ومن صنائعهم الحدادة	٤٢٠
اسماء ادوات الحدادين	٤٢٤
ومن صنائعهم الحياكة والنسج	٤٢٥
اسماء ادواتها	٤٢٦
ومن صنائعهم الخياطة وذكر شيء من كسوة العرب	٤٢٨
العمائم وما ورد عنهم فيها من الشعر	٤٣٠
النعال وما ورد عنهم فيها من الشعر	٤٣٥
ومن اسباب معاشهم الفلاحة	٤٣٩
ما اوجب تقدم العرب	٤٤١
سكنة البوادي من العرب وما امتازوا به عن الحضريين	٤٤٩
خاتمة الكتاب	٤٦١
خاتمة الطبع وتقاريف بليغة	٤٦٣

﴿ تم الفهرس بعون عناية الله تعالى ﴾

- الجزء الثالث -

من

بلوغ الأرب في أحوال العرب

برخصة نظارة المعارف الجليلة المؤرخة ١٣ شوال سنة ١٣١٣
و ١٦ مارت سنة ١٣١٢ والمرقة بعدد ٤٠

{ الطبعة الاولى }

طبع في بغداد في مطبعة « دار السلام »
الكائنة في سوق الجبوقية المرقه بعدد ٨٢

١٣١٤

على عهدة المطبعة المذكورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد سبق في اواخر الجزء الثاني من هذا الكتاب نبذة مما كان يعتقده بعض العرب من النكت الممتعة ولم نستوف ذكرها هناك ملاحظة ان يخرج حجم الجزء عن مشاكلة امثاله فاقضى ايراد تمة ذلك البحث في هذا المقام حرصاً على ما انطوى عليه من الادب فنقول متمسكين بحبل التوفيق .

(ما ثبت عنهم في الغائب اذا لم يقفوا على خبره)

كانوا اذا غم عليهم امر الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاؤا الى بئر عادية اى مظلة بعيدة القمر وبالتشديد منسوبة الى عاد كناية عن قدمها او جاؤا الى حفر قديم ونادوا فيه يا فلان او يا ابا فلان ثلاث مرات ويزعمون انه ان كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً وان كان حياً سمعوا صوتاً ربما توهموه وهما او سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم قال بعضهم . دعوت ابا المغوار في الحفر دعوة * فما آض صوتي بالذي كنت داعياً اظن ابا المغوار في قعر مظلم * نجر عليه الذاريات السواقياً ومعنى آض وجع وقعر مظلم كناية عن القبر . وقال آخر . وكم ناديته والليل ساج * بعادى البئار فما اجابا

« وقال آخر »

الم تعلمي اني دعوت مجاشعا * من الحفر والظلماء بادكسورها
فجأوبني حتى ظننت بانه * سيطلع من جوفاء صعب حدودها
لقد سكنت نفسي وايقنت انه * سيقدم والدنيا عجاب امورها
والكسور الارض ذات صعود ونزول والجوفاء شجرة ذات جوف
واراد بها البئر التي صاح ونادى فيها . ومعنى حدودها الانحدار
اليها . وقال آخر .

دعونا من عادية نضب ماؤها * وهدم جالها اختلاف عصور
فرد جوابا ماشككت بانه * قريب النسا بالاياب بصير
اقوى في البيت الثاني وسكن نضب ضرورة كما قال « لو عصر منه البان
والمسك انمصر » ومعنى جالها جوانبها . وقال آخر .

غاب فلم ارج له اياها * والحفر لا يرجع لي جوابا
وما قرأت مذناى كتابا * حتى متى استنشد الركابا
* عنه وكل يمنع الخطابا *

(ومن مذاهب العرب واعاجيبها) انهم كانوا في الحرب ربما
اخرجوا النساء فبلن بين الصفين يرون ان ذلك يطفي نار الحرب
ويقودهم الى السلم . قال بعضهم .

لقونا بابوال النساء جهالة * ونحن نلاقهم بببيض قواضب
والبيض السيوف والقواضب القاطعات . وقال آخر .

بالت نساء بنى خراشة خيفة * منا وادبرت الرجال شلالا

« وقال آخر »

بالت نساؤهم والبيض قد اخذت * منهم ما أخذ يستشفى بها الكلب
وهذان اليتان يمكن ان يراد بهما ان النساء بلن خيفة وذعرأ لا على
المعنى الذى نحن فى ذكره . فحينئذ لا يكون فيهما دلالة على المراد .

« وقال الآخر »

هيهات رد الخيل بالابوال * اذا غدت فى صور السعالى

« وقال آخر »

جملوا السيوف المشرفية منهم * بول النساء وقل ذاك غناء

(فاما مذهبهم فى الخزرات والاحجار والرقى والعزائم فمشهور)

(فمن خرزاتهم السلوانة) ويقال لها السلوة وهى خرزة يسقى

العاشق منها فيسلو فى زعمهم وهى بيضاء شفافة . قال الراجز .

لواشرب السلوان ماسليت * ما بى غنى عنكم وان غنيت

السلوان جمع سلوانة . وقال اللحياني السلوانة تراب من قبر يسقى منه

العاشق فيسلو . وقال عروة ابن حزام .

جعلت اعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد انهما شفياني

فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يتدبران

فما تركا من رقية يعرفانها * ولا سلوة الا وقد سقياني

« وقال آخر »

سقوني سلوة فسلوت عنها * سقى الله المنية من سقاني
اي سلوت عن السلوة واشتد بي العشق ودام . وقال الشمر دل .
ولقد سقيت بسلوة فكأنما * قال المداوى للخيال بها ازدد
(ومن خرزاتهم الهنمة) وهي خرزة يجتلب بها الرجال ويستعطف
بها قلوبهم فيما يزعمون . ورقيتها اخذته بالهنمة . بالليل زوج وبالنهار
امة (ومنها الفطسة والقبلة والدرديس) وكلها لاستجلاب قلوب
الرجال . قال الشاعر .

جمعن من قبل لهن وفطسة * والدرديس تمأثما في منظم
فانقاد كل مشذب مرس القوى * لحبالهن وكل جلد شيعظم
وقيل الدرديس خرزة سوداء تحجب بها النساء الى بمولتهن توجد
في القبور العادية ورقيتها . اخذته بالدرديس . تذر العرق اليبس
وتذر الجديد كالدريس . وانشد .

قطعت القيد والخرزات عني * فمن لي من علاج الدرديس
واصل الدرديس في اللغة الداهية ونقلت الى هذه الخرزة لقوة
تأثيرها بزعمهم .

(ومن خرزاتهم القرزحلة) انشد ابن الاعرابي .
لاتنفع القرزحلة الجأزاً * اذا قطعنا دونها المفاوزا
وهي من خرز الضرائر اذا ابست المرأة مال اليها بعلمها دون ضررتها
(ومنها خرزة العقرة) تشدها المرأة على حقوبها فتتبع الحبل ذكر

ذلك ابن السكيت في اصلاح المنطق (ومنها النجلب) ورقيتها اخذته بالنجلب . فلا يرم ولا يغب . ولا يزل عند الطنب . ومعنى لا يرم لا يبرح من مكانه وذكر الازهرى هذه الخرزة في الرباعي قال ومن خرزات الاعراب النجلب وهو الرجوع بعد الفرار والعطف بعد البغض (ومنها كرار) مبنية على الكسر . ورقيتها يا كرار كرية . ان اقبل فسرية . وان ادبر ففسرية من فرجه الى فيه (ومنها الهمزة) ورقيتها يا همزة همزية . من استه الى فيه . وماله وبذيه (ومنها الخصة) وهي خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم اوفى زر القميص اوفى حمائل السيف . قال بعضهم .

يلق غيرى خصمة في لقائهم * ومالى عليكم خصمة غير منطقي (ومنها الوجية) وهي كالخصمة حراء كالعقيق (ومنها العطفة) وهي خرزة العطف . والكحلة خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . والقبلة خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين . والقطسة خرزة يمرض بها العدو ويقتل . ورقيتها اخذته بالقطسة . بالثوبا والعطسة . فلا يزل في تعسه . من امره ونكسه . حتى يزور رمسه (ومن رقاهم للحب) هوا به هوا به . البرق والسحاب . اخذته بمركن . فبه تمكن . اخذته بابر . فلا يزل في عبره . جلبته باشقى . فقلبه لا يهدى . جلبته بمبرد . فقا به لا يبرد . وترقى الفارك زوجها اذا سافر عنها فتقول . باقول القمر . وظل الشجر . شمال شمלה . ودبور تدبره .

ونكباء تنكببه . شيك فلا انتقش . ثم ترمى في اثره بحصاة ونواة وروثة وبجرة . وتقول حصاة حصت اثره . ونواة نأت داره . وروثة راثت خبره . افغته بجره . وقالت فارك في زوجها . والفارك هي المبطضة لزوجها .

اتبته اذ رحل العيس فحى * بعد النواة روثه حيث انتوى

* الروث للريث وللنأى النوى *

« وقال آخر »

رمت خلفه لما رأت وشك بينه * نواة تلتها روثه وحصاة
وقالت نأت منك الديار فلادنت * وراثت بك الاخبار والرجعات
وحصت لك الا تارب مدظهورها . * ولا فارق الترحال منك شتات
« وقال آخر يخاطب امرأته »

لا تقذفني خلفي اذا الركب اغتدى * روثه عبر وحصاة ونوى
لن يدفع المقدار اسباب الرقى * ولا التهاويل على جن الفلا
هذا الرجز اوردته الخالع في هذا المعرض وهو بان يدل على عكس
هذا المعنى اولى لان قوله .

لن يدفع المقدار اسباب الرقى * ولا التهاويل على جن الفلا
كلام يشعر بان قذف الحصاة والنواة خافه كالمودة له لا كما تفعله
الفارك التي تمنى الفراق . وقد ابطال الشرع ذلك كله والاحجار لا تنفع
ولا تضر في مثل ما سبق من الامور ومثل ذلك النشر والتقامم . ففي سنن

ابى داود عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال سئلنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان والنشرة ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن ان به مس الجن . وقيل سميت نشرة لانه ينشر بها عنه اى يحل عنه ما خافه من الداء . وعن الاصمعي قال النشرة من السحر . وانشد من قول جرير .
 ادعوك دعوة ملهوف كأن به * مساً من الجن اورياً من النشر
 وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما ابالى ما اتيت ان انا شربت ترياقاً او تعلقت تيممة او قلت الشعر من قبل نفسى . قال الخطابي ايس شرب الترياق مكروها من اجل ان التداوى محظور . وقد اباح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التداوى والعلاج فى عدة احاديث ولكن من اجل ما يقع فيه من لحوم الافاعي وهى محرمة . والترياق انواع فاذا لم يكن فيه لحوم الافاعي فلا بأس بتناوله والله اعلم « والتيممة » يقال انها خرزة كانوا يعلقونها يرون انها تدفع عنهم الافات . واعتقاد هذا الرأى جهل وضلال اذ لا مانع ولا دافع غير الله سبحانه . ولا يدخل فى هذا التعوذ بالقرآن وانتبرك والاستشفاء به لانه كلام الله سبحانه . والاستعاذة به ترجع الى الاستعاذة بالله سبحانه . ويقال بلى التيممة قلادة تعلق فيها العوذ « قال ابو ذؤيب »

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تيممة لا تنفع

« وقال آخر »

بلاد بها عقى الشباب تميمي * واول ارض مس جلدي ترابها
وقد قيل ان المكروه من العوذ هو ما كان بغير لسان العرب فلا يفهم
معناه ولله قد يكون فيه سحر ونحوه من المحذور وتعام الكلام في الرقى
والتعاويذ يطلب من كتب العقائد ونحوها والله اعلم .

(ومن مذاهب العرب في الجاهلية الوشم)

وهو على ما ذكره اهل اللغة ان يفرز في العضو ابرة ونحوها حتى
يسيل الدم ثم يحشى بنورة او نحوها فيخضر وكانوا يقصدون بذلك
التزين فينقشون به غالب ابدانهم انواعا من النقوش من صور حيوانات
وغیرها وكذلك الشفاء فتري شفاء غالب نساءهم زرقا . واما الرجال
منهم فكانوا يستعملون الوشم في بعض المواضع من الجسد بزعم انه
يقوى المفصل الذي وشم عليه . والاطفال منهم يوشمون في بعض
المحال من وجوههم لقصد الزينة . وهو مذهب باطل وعادة مستقبة
جدا فلذلك ابطلته الشريعة المحمدية لما فيه من تغيير خلق الله . ففي
الحديث لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنصصات والمتفلجات للحسن
المغيرات خلق الله . والمتنصصات جمع متنصة . وحكى ابن الجوزي متنصة
وهي التي تطاب النماص والنامصة هي التي تفعله والنماص ازالة شعر
الوجه بالمنقاش ويسمى المنقاش نماصا لذلك وهي حديدة يؤخذ بها الشعر
ويقال ان النماص مختص بازالة الشعر من الحاجبين ليرققهما او ليسويهما .

والمتفجحات جمع متفجحة والفالج تباعد ما بين التنايا والرابعيات بمبرد ونحوه .
والحاصل ان كل ما فيه تغيير خلق الله حرام .

(ومن مذاهبهم النباحة على الهالك منهم والندب ونحو ذلك)
كان العرب في الجاهلية يوصون اهلهم بالبكاء والنوح عليهم اذا ماتوا
وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم وهو موجود في شعرهم كقول طرفة
ابن العبد .

اذا مت فانهني بما انا اعله * وشقي على الجيب يا ابنة معبد
وقال لبيد لابنته لما حضرته الوفاة .

تمنى ابتساي ان يعيش ابوها * وهل انا الا من ربيعة او مضر
فقوما وقولا بالذي تعلمانه * ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه * اضاع ولا خان الامين ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن
كلاب قبيلته فترثيانه ولا تعولان فاقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم
انصرفتا . ومعنى قوله وهل انا الخ ان جميع آبائي من ربيعة او مضر
قدماتوا ولم يسلم احد منهم من الموت فكذلك انا لا بد لي من الموت .
وانما قال الى الحول لان الزمان ساعات وايام وجمع وشهور وسنون
والسنون هي النهاية فالحول والسنة مدة هي نهاية الزمان في التقسيم
الى اجزائه ويمكن ان يكون ذلك لما روى في بعض الآثار ان ارواح

الموتى لاتنقطع من التردد الى منازلهم في الدنيا الى سنة كاملة فكانه انما امرها بما ذكر من الذكر والدعاء وغير ذلك ليشاهد ذلك منهما . ولذلك قال ومن يبك حول الخ . وقال بعضهم انما وقت بالحول لانه مدة عز آء الجاهلية وهذا لا يصح هنا لان قائله صحابي ومثل هذا كثير في اشعارهم . وقد ابطلت ذلك الشريعة . وفي الحديث ان الميت ليمذب ببكاء اهله . قال اهل الحديث الميت انما تلزمه العقوبة في ذلك بما تقدم من امره اياهم بذلك وقت حيوته وان لم يأمرهم لايحقه عقوبة ولا تزر وازرة وزر اخرى والوزر انما هو على من ناح واطهر الجزع من تلقاء نفسه . وفي الحديث ليس منا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . وفي الصحيحين عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برى من الصالقة والحالقة والشاقة . والصالقة هي التي ترفع صوتها بالنياحة . والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة . وفي الصحيحين ايضا عن ام عطية قالت اخذ علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في البيعة ان لانسوح وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة يرفعه اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت . والنياحة رفع الصوت بالندب . والندب تعديد النادبة باعلى صوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء مع تعديدها واما البكاء على الميت لركة ورحمة خاليا عما ذكر فلا محذور فيه فان الله تعالى اودع الرحمة في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء

(ومن عوائدهم في هذا الباب) ما حكاه الاصمعي قال كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نداء فلانا اي ائمه واظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر مثل نزال وعلى ذلك قول المتنخل الهذلي .

اقول لما اتاني الساعيان به * لا يبعد الريح ذوالنصلين والرجل
ريح لنا كان لم يقلل نوء به * توفي به الحرب والعزاء والجلال
رباء شماء لا ياوى لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل
اي هو رباء لا صحابه بالهمز اذا صار ريثة لهم اي طليعة فوق شرف
وموضع مرتفع والشماء مؤنث اسم من الشمم وهو الارتفاع اراد
هضبة شماء فحذف الموصوف بدليل القلة وهي رأس الجبل . والهضبة
الجبل المنبسط على وجه الارض . ومن المعلوم ايضاً ان التي لا ياوى
الى قلتها الا السحاب والمطر لا تكون الا هضبة . والاوب قال الخوارزمي
هو المطر لانه بخار ارتفع من الارض ثم آب اليها اي رجع ولذلك
سمى رجماً فسموه اوبا ورجماً تفؤلاً ليرجع ويؤب . وقيل لان الله
تعالى يرجعه وقتاً فوقتاً واليه ذهب صاحب الكشف عند قوله تعالى
والسماوات ذات الارجع وانشد هذا البيت على ان المطر يسمى رجماً كما
في الاية واوبا كما في البيت تسمية بمصدرى رجع وآب . وذلك ان العرب
كانت تزعم ان السحاب يحمل الماء من البحر ثم يرجعه اليه . والسبل
بفتحين المطر المنسبل اي النازل .

(ومن مذاهبيهم) انهم يقولون للميت اذا مات لا يبعد .
« قال الخرنق »

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر
وفي كتاب اللب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة
في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان « احدهما » انهم يريدون به استعظام
موت الرجل الجليل وكانهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى
زهير ابن ابي سلمى بقوله .

يقولون حصن ثم تابى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تانظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والاديم صحح
يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون ان ينطقوا بذلك ويقولون
كيف يجوز ان يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج
موتها وجرم العالم صحح لم يحدث فيه حادث « والغرض الثاني » انهم
يريدون الدعاء له بان يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان
بعد موته بمنزلة حياته الا ترى الى قول الشاعر .

فانسوا علينا لا ابا لابيكم * بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني .

فان لك افنته الليالي فاوشكت * فان له ذكرا سيفنى الليالي

« وقال المتنبي واحسن »

ذكر الفتي عمره الثاني وحاجته * مافاته وفضول العيش اشغال
وقد بين مالك بن الريب المزني مافي هذا من المحال من قصيدة تقدمت
على غيرها .

يقولون لاتبعد وهم يدقنوني * وابن مكان البعد الا مكانيا
« وقال الفرار السلمي »

ماكان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت دون رجالهم لاتبعد
(ومن مذاهيم جز النواصي)

كانت العرب اذا نعمت على الرجل الشريف بعد اسره جزوا
ناصيته واطلقوه فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها والنواصي جمع
ناصية وهي الشعر في مقدم الرأس فوق الجهة . قال بشر ابن ابى
حازم الاسدي .

فاذجزت نواصي آل بدر * فادوها واسرى في الوثاق
والا فاعلموا انا واتم * بغاة مابقينا في شقاق

وسبب هذا الشعران قوما من آل بدر الفزاريين جاوروا بني لام
من طي فعمد بنو لام الى الفزاريين فجزوا نواصيهم وقالوا قدمتنا عليكم
ولم نقتلكم وبنو فزاراة حلفاء بني اسد فغضب بنو فزاراة لاجل ما صنع
بالبدريين فقال بشر هذين البيتين من قصيدة يذكر فيها ما صنع ببني
بدر ويقول للطائيين فاذا قد جززتم نواصيهم فاحملوها الينا واطلقوها
من قد اسرتم منهم وان لم تفعلوا فاعلموا انا نبغيكم ونطلبكم فان اصبنا

احداً منكم طلبتمونا به فصار كل واحد منا يبغى صاحبه فبقى في شقاق وعداوة ابداء . وربما جرت ناصية مطلق الاسير شريفاً كان ام لا واخذ للافتخار والعرب متفاوتون في المذاهب . وقال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرمى احد الاجواد في الجاهلية .

حذب على المولى الضريك اذا * نابت عليه نوايب الدهر
عظمت دسيته وفضله * جز النواصي من بني بدر
ايام ذبيان مراغمة * في حربها ودمائها تجري
ومرهق النيران يطعم في * اللائ وآء غير ما عن القدر
الحذب المشفق والمولى ابن العم والضريك الفقير المحتاج والديعة العطية
الجزيلة . وجز النواصي تقدم معناه وراغمتهم نابذهم وهجرهم وعاداهم
ومرهق النيران اى تغشى ناره يقال رهقت الرجل اذا غشيت واحطت
به والمشدد للتكثير . يصف انه يوقد النار بالليل للطبخ واطعام الناس
وليمشوا اليها الضيف والغريب وكثرة النيران الاخبار عن سعة معروفه
واللائ وآء شدة الزمان والقحط . وقوله غير ما عن القدر اى لا يؤكل
ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين فهو محمود القدر لا مذمومها
واوقع اللعن على القدر مجازاً . وهو يريد صاحبها . وما احسن
قول الخنساء في هذا الباب . مفخرة بقومها على الاصحاب .

جززنا نواصي فرسانها * وكانوا يظنون ان لا تجزا
ومن ظن بمن يلاقى الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا

انضيف ونعرف حق القرى * ونخذ الحمد ذكراً وكنزاً
ونلبس في الحرب سرد الحديد * وفي السلم خزاناً وعصباً وقزاً
(ومن مذاهب العرب شد اللسان)

كان من مذاهب العرب انهم اذا اسروا اسيراً وكان شاعراً ربطوا
لسانه بنسعة وعلى ذلك قول عبيد يغوث القحطاني الحارثي الغني من قصيدة
اقول وقد شدوا لساني بنسعة * امعشر تيم اطلقوا عن لساني
امعشر تيم قد ملكتم فاسججوا * فان اخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلوني تقتلوا بي سيدا * وان تطلقوني تحربوني بما ليا
النسعة بكسر النون سير منسوج . واسججوا بتقديم الجيم على الحاء
المهملة بمعنى سهلوا ويسروا والبوآء السوآء اى لم يكن اخاكم نظيراً الى
فاكون بوآء له وتحربوني تسلبوني وتغلبوني . وبما ذكرنا من المذهب
فسر البيت جمع وقالوا انهم شدوا لسانه بنسعة حقيقة واليه ذهب
الجاحظ في البيان والتبيين والاصفهاني في الاغانى وحكامه ايضاً ابن
الانبارى بانهم ربطوه بنسعة مخافة ان يهجوهم وكانوا سمعوه ينشد شعراً
فقال اطلقوا الى عن لساني اذم اصحابي وانوح على نفسي فقالوا انك
شاعر ونحذر ان تهجوننا فعاهدهم ان لا يهجوهم فاطلقوا له عن لسانه
« قال الجاحظ » وبلغ من خوفهم من الهجاء ان يبقوا ذكرهم في الاعقاب
ويسب به الاحياء والاموات انهم اذا اسروا الشاعر اخذوا عليه
المواثيق وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث ابن وقاص

الحارثي حين اسرته تيم يوم الكلاب . وفي تفسير شد اللسان قول آخر وهو ان هذا مثل وذهب اليه شراح ابيات الشعراء والقالى في ماله وحكا . ابن الانبارى في شرح المفضليات وقال لان اللسان لا يشد بنسعة وانما اراد افعلوا بى خيراً لينطلق لساني بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلساني مشدود لا اقدر على مدحكم . والوجه ما تقدم فان الحقيقة هي الاصل .

(ومن مذاهبهم خضاب النحر)

كانت العرب في الجاهلية تديش في الغالب بلحوم الصيد وكانت خيلهم لجودتها وعراقها تسهل عليهم ما يراه غيرهم من الصعوبة في ذلك وتعينهم على نيل مقاصدهم فكانت عندهم من اعز الاموال . تلحظ لديهم كما يلحظ العيال . وكان السابق منها يرفع له في الفخر رايات . وتوضع عليه لاجل المباهاة علامات . ولذلك كان من دينهم وعوائدهم انهم اذا ساقوا الخيل على الصيد واغاروها نحوه فالسابق على غيره في الوصول اليه يخضبون نحره بدم ما يسكونه من الصيد علامة على كونه لا يدرك في الفارات . وانه سباق غايات . وقد بطلت بعد ظهور الاسلام هذه العادة ولم يعرفها سكان البوادي من العرب اليوم . غير ان لاعراب الحجاز عادة قريبة من ذلك وهي انهم اذا نزل بهم ضيف يعتق بشأته ذبحوا له او نحرروا فاذا سافر منهم وترحل عنهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم ما ذبحوه على شكل الثلث اذا تافاه

من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب ومن الاماجد الاعزة
الحري بان يعز .

(ومن مذاهيم التعقية)

قال ابو العباس ثعلب التعقية سهم الاعتذار . وقال ابن الاعرابي
اصل هذا ان يقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيطلب القاتل بدمه
فيجتمع جماعة من الرؤساء الى اولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم
العفو وقبول الدية فان كان اولياؤه ذوى قوى ابوا ذلك والا قالوا
لهم بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهي فيقول الآخرون ما علامتكم
فيقولون ان نأخذ سهماً فنرمي به نحو السماء فان رجع اليها مضرجاً
بالدم فقد نهينا عن اخذ الدية وأن رجع كما صعد فقد امرنا باخذها
وحينئذ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية وكان مسح اللحية علامة
للصلح . قال الأشعر الجعفي .

عقوا بسهم ثم قالوا سالموا * ياليتنى في القوم اذ مسحوا اللحي
قال ابن الاعرابي ما رجع ذلك السهم قط الانقياً ولكنهم يعتذرون
به عند الجهال . ومن شعر الهذلي انشده ابو عبيد البكري في شرح
نوادير القالي .

لا ينسى الله منا معشراً شهدوا * يوم الا ميلح لا عاشوا ولا مرحوا
عقوا بسهم فلم يشعر له احد * ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضع
قال البكري هذا من شعر يعجوبه ناساً من قومه كانوا مع ابيه حجاجاً يوم

قتل وقوله لا ينسى الله اى لا يؤخر الله موتهم من الانساء وهو التأخير
وعقوا بضم القاف وفحها لانه جاء من باين فانه يقال عقى بالسهم اذا
رمى به نحو السماء وذلك السهم يسمى عقيقة بقافين ويقال له ايضا سهم
الاعتذار فعقوا بضم القاف. ويقال عقى بسهمه تعقية اذا رماء في الهواء
فعقوا بفتح القاف. وكانت العرب تعيب على من يأخذ الدية ويرضى بها
من درك ثاره وشفاء غيظه كقول قائلهم يهجو من اخذ الدية من الابل.
وان الذى اصحتم تحلبونه * دم غير ان اللون ليس باشقرا
وقال جرير يعير من اخذ الدية فاشترى بها نخلا .

الا ابلغ بنى حجر بن وهب * بان التمر حلو في الشتاء
« وقال آخر »

خليان مختلف شكلنا * اريد العملاء وتبغى السمن
اريد دماء بنى مالك * ورأى المعلى بياض اللبن
ولهذا كان يأبى اولياء المقتول عن قبول الدية اذا كانوا اقوياء . وهذا
وان كانت الشريعة قد ابطلته وجاءت بما هو خير منه واصلح في المعاش
والمعاد من تخيير الاولياء بين ادراك الثار ونيل التشفى وبين اخذ
الدية فان القصد به ان العرب لم تكن تعير من اخذ بدل ماله ولم تعده
ضعفاً ولا عجزاً البتة بخلاف من اخذ بدل دم وليه .

(ومن مذاهم حمل الملوك على الاعناق اذا مرضوا)

قال ابو عبيدة كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملته

الرجال على اكتافها يتعاقبون له لانه عندهم اوطأ من الارض .

« قال النابغة الذبياني »

الم اقسم عليك تخبرني * احمول على النعش الهمام
فاني لا الومك في دخول * ولكن ماورائك يا عصام
فان يهلك ابو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
وناخذ بعده بذئاب عيش * اجب الظهر ليس له سنام
ومن حديث هذه الابيات ان النابغة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة
كبيراً عنده خاصاً به وكان من ندمائه واهل انسه فحسد على منزلته منه
فاتهموه بامر فغضب عليه النعمان واراد البطش به وكان للنعمان بواب
يقال له عصام بن شهر الجرمي قال للنابغة ان النعمان موقع بك فانطلق
فهرب النابغة الى ملوك غسان ملوك الشام فكان يمدحهم وترك النعمان
فاشتد ذلك عليه وعرف ان الذي بلغه كذب فبعث اليه انك لم تعتذر
من سخطه ان كانت بلغتك ولكننا تغيرنا لك عن شئ مما كنا لك عليه ولقد
كان في قومك ممتنع وحصن فتركته ثم انطلقت الى قوم قتلوا جدي وبنيني
وبينهم ما قد علمت وكان النعمان وابوه وجده قد اكرموا النابغة وشرفوه
واعطوه مالا عظيماً وبلغ النابغة ان النعمان ثقيل من مرض اصابه حتى
اشفق عليه منه فاتاه النابغة فالفاء محمولا على رجلين ينقل ما بين
الغمر وقصوره التي بين الحيرة فقال لبوابه عصام « الم اقسم عليك
تخبرني » الابيات المذكورة فداها الله وعفا عن النابغة . قال حسان بن

نابت وفدت الى النعمان فحسدت النابغة على ثلاث لادري على
ايهن كنت احسد اعلى ادناء النعمان له بعد المباحدة ومسايرته له واصفاً
اليه اعلى جودة شعره اعلى مائة بعير من عصفيره امر له بها .
قال ابو عبيدة قيل لابي عمرو امن مخافته امتدحه واتاه بعد هربه منه
ام اغير ذلك قال لعمر الله ما لمخافته فعل ان كان الا آمنا من ان يوجه
اليه النعمان جيشاً وما كان النابغة يأكل ويشرب الا في آنية الذهب
والفضة من عطايا النعمان وابيه وجده ولا يستعمل غير ذلك .

(ومن مذاهيهم في دية الملوك وغيرهم)

كان عامة العرب يأخذون في دية النفس مائة من الابل وكان
هذا الحكم جارياً بين قبائلهم . وقد ذكرنا سابقاً اول من سن لهم ذلك
ولما كان الملوك ممتازين عندهم في كثير من الاحكام جعلوا دية احدهم
اذا قتل الف بعير . قال قراد بن حنش الصاردي .

ونحن رهننا القوس ثم نوديت * بالف على ظهر الفزارى اقرعاً
بعشر مئين للملوك سعى بها * ليوفى سيار بن عمرو فاسرعاً
قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ان سيار بن عمرو بن جابر الفزارى
احتمل للاسود ابن المنذر دية ابنه الذي قتله الحارث بن ظالم الف
بعير وهي دية الملوك ورهنه بها قوسه فوفى . وكان هذا قبل قوس
حاجب بن زرارة . وقال ابو عبيدة في مقاتل الفرسان ان اخا سيار
لامه الحارث بن سفيان الصاردي تكفلها للاسود فقام منها بثمانمائة

ثم مات فرهن سيار قوسه على المائتين الباقيتين لا غير فلما مدح قراد
ابن حنش بنى فزاره جعل الجمالة كلها لسيار . ومثل هذا ما قاله
الفرزدق من قصيدة طويلة .

فدى لسيوف من تميم وفي بها * ردائي وجلت عن وجوه الالهاتم
شفين حزازات الصدور ولم تدع * علينا مقالا في وفاء للآثم
ابأنا بهم قتلى وما في دمائهم * وفاء وهن الشافيات الحواتم
جزى الله قومي اذا اراد خفارتى * قتيبة سعى الافضلين الا كارم
هم سمووا يوم المحصب من منى * ندائي اذا التفت رفاق المواسم
وقصة رداء الفرزدق رواها ابو عبيدة قال كان الفرزدق بالمدينة حين
جاءت وقعة وكيع . وحج سليمان بن عبد الملك قبله بمكة وقعه وكيع
بقتيبة فخطب الناس بمسجد عرفات فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على
سلطانهم واسراهم الى الفتن وانهم اصحاب فتن واهل غدر وقلة
شكر فقام اليه الفرزدق فقال وفتح رداءه يا امير المؤمنين هذا ردائي
رهن لك بوفاء بني تميم والذي بانك كذب فقال الفرزدق في ذلك
حيث جاءت بيعة وكيع اسليمان تلك الابيات يعني بالالهاتم الالهاتم
ابن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم فعرف ان الالهاتم ليس لقباً لسنان بن خالد
والحواتم العطاش التي تحوم حول الماء .

«ومن مذاهبهم تحريم الخمر على نفوسهم الى ان يأخذوا بشارهم»

كانت العرب تحرم الحمر على انفسهم في مدة طلبهم لانها مشغلة
لهم عن كريم الاخلاق والاقبال على الشهرة . قال الشنفرى يرثي
خاله تأبط شرا ويذكر ادراكه ثاره من قصيدة له .

فادركنا الثار فيهم ولما * نيج من لحيان الا الاقل

حلت الحمر وكانت حراما * وبلائي ما المت يحل

وفي كتاب مساوى الحمر غزا امرؤ القيس بنى اسد ثاراً بابيه وقد
جمع جوعاً من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها وهرب بنو
اسد من بين يديه حتى انضوا الابل وحسروا الخيل ولحقهم فظفر
بهم وقتل بهم مقتلة عظيمة وابار حيلة بن اسد ومثل في عمرو وكاهل
ابن اسد . وذكر الكلبي عن شيوخ كندة انه جعل يسئل اعيانهم ويحمي
الدروع فيابسهم اياها . وروى ابو سعيد السكري مثل ذلك وانه
ذبحهم على الجبل ومزج الماء بدمائهم الى ان باغ الحضيض واصاب
قوما من جذام كانوا في بنى اسد . وفي ظفري بنى اسد يقول .

قولا لدودان عبيد العصا * ماغركم بالاسد الباسل

« الى ان قال »

لا تسقيني الحمر ان لم يروا * قتلي قتاما بابي الفاضل
حتى ابر الحى من مالك * قتلا ومن يشرف من كاهل
ومن بنى غنم بن دودان اذ * يقذف اعلاهم على السافل
نعلوهم بالبيض مسنونة * حتى يروا كالخشب السائل

حلت لي الخمر وكنت امراً * من شربها في شغل شاغل
 قال يوم اشرب غير مستحقب * انما من الله ولا واغسل
 قوله قولاً لدودان الخ دودان بالضم هو ابن اسد بن خزيمه واراد
 القبيلة وكان ابو امرئ القيس اذا غضب على احد منهم ضربوه
 بالعصا فسموا عبيد العصا اي يعطون على الضرب والهوان. واراد بالاسد
 الباسل اباه. والفئام بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة الجماعة. واير
 افنى. ومالك هو ابن اسد واراد بمن يشرف من كاهل علياء بن
 الحارث من بني كاهل بن اسد. وقوله يقذف اي يرمى بعضهم
 على بعض اذا قتلوا. والمستنونة المحدودة. والشائل الساقط. وقوله
 حلت لي الخمر الخ. قال السعدي في مساوي الخمر انما قال هذا
 لانه لم يكن حضر قتل ابيه وكان ابوه اقضاء لانه كره منه قول الشعر
 وانما جاءه الاعور الجلي بخبره وهو يشرب فقال ضيمني صغيراً.
 وحماني ثقل الثار كبيراً. اليوم خمر. وغداً امر. لاهو اليوم ولا سكر
 غداً. ثم شرب سبماً. ثم لما صحا حلف ان لا يغسل رأسه ولا يشرب
 خمرأ حتى يدرك ثاره فذلك قوله. حلت لي الخمر. وهذا معنى
 ما زالت العرب تطرقه. قال اسمعيل بن هبة الله الموصلي في كتاب
 الاوائل اول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس في هذا الشعر.
 وقوله قال يوم اشرب الخ المستحقب المكتسب واصله من استحقب
 اي وضع في الحقيقة وهي خرج يربط بالمرج خلف الراكب.

وانما مفعول مستحقب كأن شربها بعد وقاء النذر لاثم فيه بزعمه والواغل الذي يأتي شراب القوم من غير ان يدعى اليه وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول ومعناه انه وغل في القوم وليس منهم . والله اعلم بحقائق الامور .

(ومن مذاهبهم في الخليع والرجل اللعين)

كانت العرب في الجاهلية اذا قال قائل منهم هذا ابني قد خلعته كان لا يؤخذ بجريته وذنبه . وقال الفاضل الزوزني في شرح معلقة امرئ القيس عند الكلام على قوله .

وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوى كالخليع المعيل
الخليع الذي قد خلعه اهله لحبسه . وكان الرجل منهم يأتي بابنه الى الموسم ويقول الا اني قد خلعت ابني هذا فان جر لم اضمن وان جر عليه لم اطلب فلا يؤخذ بجراثره انتهى . وفي كتاب فتح الباري الخليع فعيل بمعنى مفعول يقال تخالع القوم اذا نقضوا الحلف فاذا فعلوا ذلك لم يطالبوا بجنايته فكأنهم خلعوا اليمن التي كانوا لبسوها معه ومنه سمي الامير اذا عزل خليعاً ومخلوعاً . وقال ابو موسى في المعين خلعه قومه اي حكموا بانه مفسد قترؤا منه ولم يكن ذلك في الجاهلية يختص بالخليف بل كانوا ربما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من صميمها اذا صدرت منه جناية تقتضي ذلك وهذا مما ابطله الاسلام من حكم الجاهلية . وفي البخاري وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم في الجاهلية

فطارق أهل بيت من اليمن بالطحاء فانتبه له رجل منهم فحذفه بالسيف
فقتله فجاءت هذيل فأتوا اليماي فرفعوه الى عمر بالموسم وقالوا
قتل صاحبنا فقال انهم قد دخلوه فقال يقسم خمسون من هذيل
ماخلعوا قال فاقسم منهم تسعة واربعون رجلاً وقدم رجل منهم
من الشام فسألوه ان يقسم فاقتدى يمينه منهم بالف درهم فادخلوا مكانه
رجلاً آخر فدفعه الى اخي المقتول فقرنت يده بيده . قتل قالوا
فاغلقنا والخمسون الذين اقسموا حتى اذا كانوا بخلة اخذتهم السماء
فدخلوا في غار في الجبل فالتجم الغار على الحسين الذين اقسموا فقاتلوا
جميعاً واقلت القرينان واتبعهما حجر فكسر رجل اخي المقتول فمات
حولاً ثم ملئت . وحاصل القصة ان القاتل ادعى ان المقتول اخي وان
قويته خلعه فأنكروا هم ذلك وحلفوا كاذبين فاهلكهم الله بحضرة
القسامة وخلص المظلوم وحده . وهذيل القبيلة المشهورة وهم
ينتسبون الى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ويسمى الخليج الرجل
اللعين ايضاً . قال ابو عبيد البكري في شرح املى القالى كان الرجل
في الجاهلية اذا غدر واخسر الذمة جعل له مكان من طين ونصبه وقيل
الا ان فلانا قد غدر فالعنوه كما قال الشاعر .

فلنقتلن بخالد سراً واتكم . ولجعلان لظالم تمناً لا

فالرجل اللعين هو هذا الثعلب . وبمضمون يقول الرجل اللعين هو
نفس الخليج . وقدماختلف أهل اللغة في المراد بقول الشماخ بن ضمران

في مدح عرابية بن لويس عن قصيدة .

وحاء قد وردت لوصل اروي * عليه الطير كالورق اللجين
ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين
فقالوا يريد بقوله ذعرت به القطا الخ انه جاء الى الماء متكرراً
وذعرت خوفاً ونفرت ونفيت طردت وخص الذئب والقطا لان
القطا اهدى الطير والذئب اهدى السباع وهما السابقان الى الماء
قال شارح الديوان اي ذعرت القطا بذلك الماء ونفيت عن ذلك الماء
مقام الذئب اي وردت الماء فوجدت الذئب عليه فحجته عنه اراد مقام
الذئب كالرجل اللعين المنقى المقصود انتهى . فاللعين على هذا بمعنى
الطريد وهو وصف للرجل . وهو ما ذهب اليه ابن قتيبة في ابيات
المعاني قال اللعين المطرود وهو الذي خلعه اهله لكثرة جناياته .
وقال بعض شراح ابيات المفصل اللعين المطرود الذي يلغنه كل احد
ولا يؤويه اي هذا الذئب خليع لا مأوى له كالرجل اللعين . وقال
صاحب الصحاح الرجل اللعين شيء ينصب في وسط الزرع يستطرد
به الوحوش وانشد هذا البيت . وقد سبق قول أبي عبيد البكري
في شرح امالي القالي في ذلك وقد اعرب فانه لم يظهر للبيت معنى على
قوله . وعلى كل حال فهذا المذهب للعرب يدل على انهم قد بانوا
في الجاهلية الى غاية الغايات . في ميلهم لمحاسن الاخلاق وجمل الصفات .
حتى انهم تجاوزوا الحد في ذلك فبلنوا الى درجة العقوق . وعدم

المبالاة بما يجب للاقارب والبنين من الحقوق . حثاً على اجتناب كل مايشين من الاخلاق الذميمة . وزجراً عن تعاطي سفاسف الامور والجرائم العظيمة . والخلماء كانوا قد دخلوا عنهم لباس المروة والانصاف . وثرّدوا باردية الجور والظلم والاعتساف . فلذلك عوملوا بهاتيك المعاملة . ولم تراع فيهم عهود الموافقة والمسالمه . ولماكان كل امر تجاوز الحد . انقلب بما يستتج من المفاسد الى الضد . نهى الشرع عن كل مايستوجب المفاسد . وامر والحمد لله تعالى بما يستحق المحامد من المقاصد .

(ومن مذاهب العرب المعاقرة)

وهو ان يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه فيعقر هذا عدداً من ابله ويعقر صاحبه فايهما كان اكثر عقراً غلب صاحبه ونفقه . وفي شرح سنن ابى داود للخطابى عند الكلام على قوله نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معاقرة الاعراب وكره اكل لحومها لثلا يكون مما اهل لغير الله . ثم قال وفي معناه ما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان واوان حدوث نعمة تجدد لهم ونحو ذلك من الامور انتهى . وقد وقعت معاقرة عظيمة فى صدر الاسلام من ظالب ابى الفرزدق الشاعر الشهير وذلك فى خلافة الامام على كرم الله تعالى وجهه . واليها الاشارة بقول جرير من قصيدة يلحجوها الفرزدق .

تعدون عقر الثيب افضل مجدكم * بنى ضو طرى لولا الكمي المقنعا
يعنى انكم تعدون عقر الابل المسنة التي لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها
افضل مجدكم هلا تعدون قتل الشجيمان . ومنازلة الاقران . وقضية
عقر الابل هذه مشهورة في التواريخ محصلها انه اصاب اهل الكوفة
مجاعة فخرج اكثر الناس الى البوادي . وكان غالب ابو الفرزدق رئيس
قومه فاجتمعوا في اطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم
من الكوفة فمقر غالب لاهله ناقة صنع منها طعاما واهدى الى قوم
من تميم جفانا واهدى الى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي اتى بها
وقال انا مفتقر الى طعام غالب ونحر سحيم لاهله ناقة . فلما كان من الغد
نحر غالب لاهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين . وفي اليوم الثالث نحر
غالب ثلاثا فنحر سحيم ثلاثا . فلما كان اليوم الرابع نحر غالب مائة ناقة
ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا . ولما انقضت المجاعة ودخل
الناس الكوفة قال بنو رباح لسحيم جردت علينا عار الدهر . هلا
نحرت مثل ما نحر غالب وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر
ان ابله كانت غائبة ونحر نحو ثلاثمائة ناقة . وكان في خلافة علي ابن ابي
طالب رضى الله تعالى عنه ففتح الناس من اكلها . وقال انها مما اهل
لغير الله به ولم يكن الغرض منه الا المفاخرة والمباهاة فجمعت لحومها
على كناسة الكوفة فاكلها الكلاب والعقبان والرخم . وقد اورد
القالي هذه الحكاية في ذيل اماليه باسسط مما ذكرناه واورد ما قيل فيها

من اشعار ممدوح به غالب وهجى به سحيم والله اعلم ..

(ومن مذاهيم تفرد العزيز منهم بالحمى)

كان من عوائد العرب فى الجاهلية ان يفرد العزيز منهم بالحمى
لنفسه كالذى كان يفعله كليب بن وائل فانه كان يوافى بكلب على نشاز
من الارض وهو المكان المرتفع . ثم يستمويه ويحمى ما انتهى اليه
عواؤه من كل الجهات ويشارك الناس فيما عناء حتى كان ذلك سبب
قتله . وفيه يقول العباس بن مرداس من قصيدة .

كما كان يبغيها كليب بظلمه * من العز حتى طاح وهو قتيلاها
هلى وائل اذ يترك الكلب نابجا * واذا يجمع الاقواء منها حلولها
« قال الميذاني » فى تفسير المثل الدائر على السنة العرب اعز من كليب
واائل . هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير وكان سيد ربيعة فى زمانه
وقد بلغ من عزه انه كان يحصى الكلاء فلا يقرب حماء ويحجر الصيد
فلا يهاج . وكان اذا مر بروضة اعجبه او غدير ارتضاه كنع كليباً ثم
رمى به هناك فحيث بلغ عواؤه كان حمى لا يرعى . وكان اسم كليب
ابن ربيعة وائلا فلما حمى كليب المرعى الاكلاء قيل اعز من كليب وائل
ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسماً . وكان من عزه . لا يتكلم احد
فى مجلسه ولا يحتبى احد عنده . ولذلك قال اخوه مهلهل بعد موته
نبئت ان النار بعدك او قدت * واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى امر كل عظيمة * لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وفيه ايضاً يقول معبد بن سحنة التميمي .

كفعل كليب كنت خبرت انه * يخطط اكلاء الميساء ويمنع
يحير على اقفاء بكر بن وائل * ارانب ضلح والظباء فترتع
وكليب هذا هو الذي قتله جساس بن مرة الشيباني انتهى . وقاله
الامام الخطابي في شرح سنن ابي داود عند الكلام على قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم لاحي الا لله ورسوله . قال ابن شهاب بلغني ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم حي النقيع . قال الخطابي قوله لاحي
الا لله ورسوله يريد لاحي الا على معنى ما اباحه رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وعلى الوجه الذي حماه . وفيه ابطال ما كان اهل
الجاهلية يفعلونه من ذلك . وكان الرجل العزيز منهم اذا اتبع بلداً
محصباً او في كلب على جبل او على نحر من الارض ثم استعوى الكلب
ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء فحيث انتهى صوته حماه من كل
ناحية لنفسه ومنع الناس منه . فلما ما حماه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لمهازيل الصدقة واضعفي الخيل كالنقيع وهو مكان معروف
مستنقع للخيلاء ينبت فيه الكلاء . وقد يقال انه مكان ليس بمجد واسع
يفيق بمثله على المسلمين المرعى فهو مباح . وللجنة ان يفعلوا ذلك
على النظر ملزم تضيق منه على العلة المراعى والله اعلم . وهذا الكلام
الذي سقته معنى كلام الشافعي في كتبه انتهى كلام الخطابي . وقد علم
منه ان الشريعة ابطلت هذا المذهب الذي كان عليه اهل الجاهلية وان

المشروع ما كان على عهد الرسول عليه الصلوة والسلام . وفي كتاب
الاحكام السلطانية الامام الماوردي اتم تفصيل لهذه المسئلة . فقد
قال قدحى رسول الله صلى تعالى عليه وسلم بالمدينة وصعد جبلا بالنقيع
قال ابو عبيد النقيع بالنون . وقال هذا حمى و اشار بيده الى القاع
وهو قدر ميل في ستة اميال حماء لحيل المسلمين اوللفقر آء والمساكين
ففى جوازه قولان « احدها » لا يجوز ويكون الحمى خاصاً لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم حين حمى النقيع قال لاحمى الا الله ورسوله
« والقول الثانى » ان حمى الائمة بعده جائز كجوازه له صلى الله تعالى عليه
وسلم لانه كان يفعل ذلك لصالح المسلمين لانفسه فكذلك من قام مقامه
فى مصالحهم . قدحى ابوبكر رضى تعالى عنه بالربذة لاهل الصدقة
واستعمل عليه مولا ابا سلامة . وحمى عمر رضى الله تعالى عنه
من السرقة مثل ما حمى ابو بكر من الربذة وولى عليه مولى له يقال
له نهى . وقال ياهنى ضم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فان
دعوة المظلوم مجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنية . واياك ونم
ابن عفان وابن عوف فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع
وان رب الصريمة ورب الغنية يأتيانى بعيالهما فيقولان يا امير المؤمنين
افتاركهم انا لا ابالك فالكلاء اهون على من الدينار والدرهم . والذي
نفسى بيده لولا المال الذى احمل عايه فى سبيل الله ما حيت عليهم
من بلادهم شبرا . فاما قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحمى

الاله ورسوله . فمناه لاحمى الا على مثل ما حماه الله تعالى ورسوله
 للفقراء والمساكين . ولمصالح كافة المسلمين . لا على مثل ما كانوا عليه
 في الجاهلية . ثم قال واذا جرى على الارض حكم الحمى استبقاء
 لمواتها سائلا ومنعا من احيائها ملكا روى حكم الحمى فان كان للكافة
 تساوى فيه جميعهم من غنى وفقير ومسلم وذمى فروعى كلاله بخيلهم
 وماشيئهم . فان خص به المسلمون اشترك فيه اغنياؤهم وفقراؤهم
 ومنع منه اهل الذمة . وان خص به الفقراء والمساكين منع منه الاغنياء
 واهل الذمة ولا يجوز ان يخص به الاغنياء دون الفقراء ولا اهل
 الذمة دون المسلمين . وان خص به نعم الصدقة او خيل المجاهدين
 لم يشركهم فيه غيرهم . ثم يكون الحمى جاريا على ما استقر عليه من عموم
 وخصوص فلو اتسع الحمى للخصوص لعموم الناس جاز ان يشتركوا
 فيه لارتفاع الضرر عن خص به . ولو ضاق الحمى العام عن جميع
 الناس لم يجز ان يختص به اغنياؤهم . وفي جواز اختصاص فقراؤهم
 به وجهان . واذا استقر حكم الحمى على الارض فاقدم عليها من احيائها
 ونقض حماها روى الحمى . فان كان بما حماه رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم كان الحمى ثابتا والاحياء باطلا والمتعرض لحياته
 مردوعا من جور الاسما اذا كان سبب الحمى باقيا لانه لا يجوز ان يعارض
 حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقض ولا ابطال . وان
 كان من حمى الائمة بعده ففي اقرار احيائه قولان احدهما لا يقر ويجرى

عليه حكم الحمى كالذى حماء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 لانه حكم نفذ بحق والقول الثانى « يقرأ الاحياء ويكون حكمه اثبت
 من الحمى لتصريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من احيا
 ارضاً مواتاً فهي له . ولا يجوز لاحد من الولاة ان يأخذ من ارباب
 المواشى عوضاً عن مراعى موات او حى لقول رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم المسلمون شركاء فى ثلاث فى الماء والنار والكلاء انتهى .
 والمقصود من هذه النقول ان ما كان عليه اعزاء العرب واقوياؤهم
 من التفرد بالحمى على الوجه الذى ذكرنا مما ابطله الشرع وهدمه .
 (مذهب العرب فى البحيرة والسائبة ايام الجاهلية)

اعلم ان هذا المذهب من مبتدعات عمرو بن لحي الخزاعى ايضا
 حمل العرب على التدين به فى جملة ما احدث من المنكرات التى لم يكونوا
 يعلمونها من شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقد ابطلته الشريعة
 الاسلامية . قال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
 ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم
 لا يعقلون (اما البحيرة) فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق
 والتاء للنقل الى الاسمية او لحذف الموصوف . قال الزجاج كان اهل
 الجاهلية اذا نجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذناها وشقوها
 وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع عن مرعى
 وهي البحيرة . وعن قتادة انها اذا نجت خمسة ابطن انظر فى الخامس

فان كان ذكراً ذبحوه واكلوه وان كان أنثى شقوا اذنها وتركوها ترعى ولا يستعملها احد في حلب وركوب ونحو ذلك . وقيل البحيرة هي الأنثى التي تكون خامس بطن وكانوا لا يحلون لحمها ولبنها للنساء . فان ماتت اشترك الرجال والنساء في اكلها . وعن محمد بن اسحق ومجاهد انها بنت السائبه وستأتي ان شاء الله تعالى قريباً وكانت تهمل ايضاً . وقيل هي التي ولدت خمساً او سبعمائة وقيل عشرة ابطن وتترك هملاً واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت فلا تحلب . وقيل هي التي ولدت خمس اناث فشقوا اذنها وتركوها هملاً . وجعلها في القاموس على هذا القول من الشاء خاصة وكما تسمى بالبحيرة تسمى بالغزيرة ايضاً . وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا اذنه وقالوا اللهم ان عاش فعي وان مات فذكي فاذا مات اكلوه . وقيل هي التي تترك في المرعى بلا راع ولما كان مذهب العرب مختلفاً فيها اختلف ائمة اللغة في تفسيرها . وكل قول يرجع الى مذهب وبذلك يجمع بين الاقوال (واما السائبه) فهي فاعلة من سيبتة اي تركته واهملته فهو سائب وهي سائبه او بمعنى مفعول كميشة راضية . واختلف فيها فقيل هي الناقة تبطن عشرة ابطن اناث فهمل ولا تركب ولا يجرز وبرها ولا يشرب لبنها الاضياف ونسب الى محمد بن اسحق . وقيل هي التي تسيب للاصنام فتعطي للسدنة ولا يطعم من لبنها الا ابناء السبيل ونحوهم . وروى ذلك

عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم . وقيل هي البعير يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب . وقيل كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد او نجت دابته من مشقة او حرب قال هي سائبة او كان ينزع من ظهرها فقارة او عظماً وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلاء ولا تركب وكأنه كان هذا نذراً من نذورهم اذا قدم الرجل منهم من سفر او شفى من مريض وهذا الوجه مروى عن ابي عبيدة . وقيل هي مترك لبحيح عليه . وقيل هي التي تركت لآلهم فقد كان الرجل يحجى بماشية فيتركها عندها ويسبل لبنا . وقيل هي العبد يمتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث وهو وجه غريب (واما الوصيلة) فهي فصيلة بمعنى فاعلة وقيل مفعولة والاول اظهر كما ينبي عن ذلك بيان المراد بها واختلف فيه فقال الفراء هي الشاة تنج سبعة ابطن عناقين عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجدياً قيل وصلت اخاها فلا يشرب ابن الام الا الرجال دون النساء ونجري مجرى السائبة وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكراً كان لآلهم واذا ولدت اثنى كانت لهم وان ولدت ذكراً واثنى قالوا وصلت اخاها فلم يذبخوا الذكر لآلهم . وقيل هي الشاة تلد ذكراً ثم اثنى فتصل اخاها فلا يذبخون اخاها من اجلها واذا ولدت ذكراً قالوا هذا قربان لآلهم . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي الشاة تنج سبعة ابطن فان كان السابع اثنى لم يتفع النساء منها بشئ الا ان تموت فياكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكراً واثنى

قالوا وصلت اخاها فترك معه ولا يتنفع بها الا الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها. وقال ابن قتيبة ان كان السابع ذكراً ذبح واكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على ازواجنا وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكراً وانثى فكقول ابن عباس رضي الله تعالى عنه. وقال محمد بن اسحق هي الشاة تنتج عشر اناث متواليات في خمسة ابطن فما ولدت بعده للذكور دون الاناث فاذا ولدت ذكراً وانثى معاً قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوه لمكانها. وقيل هي الشاة تنتج خمسة ابطن او ثلاثة فان كان جدياً ذبحوه وان كان انثى ابقوها وان كان ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها وقال بعضهم الوصيلة من الابل وهي الناقة تبكر فتلد انثى ثم ثنى بولادة انثى اخرى ليس بينهما ذكر فيتكونها لالهتهم ويقولون قد وصلت انثى بانثى ليس بينهما ذكر. وقيل هي الناقة انثى وصلت بين عشرة ابطن لا ذكر بينها (واما الحام) فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلاف فيه ايضا فقال القراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون قد حمى ظهره فيحمل ولا يطرده عن ماء ولا مرعى. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وابن مسعود وهو قول ابي غبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة ابطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى. وعن الشافعي انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقيل هو الفحل ينتج له سبع اناث متواليات فيحمى ظهره. وجمع بين الاقوال المتقدمة

في كل من تلك الانواع بان العرب كانت تختلف افعالهم فيها كما سبق
 (ومعنى الآية السابقة) ما جعل الله من بحيرة الح ما شرع . ولكن
 الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون
 الله سبحانه وتعالى امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه في المشهور
 اول من فعل تلك الافاعيل الشنيعة . اخرج ابن جرير وغيره عن ابي
 هريرة قال سمعت رسول الله صلى تعالى عليه وسلم يقول لا اكنتم
 ابن الجون يا اكنتم عرضت على النار فرأيت فيها عمرو بن لحي بن قمة
 ابن خندف يحرق قصبه في النار فما رأيت رجلا اشبه برجل منك به
 ولا به منك فقال اكنتم اخشى ان يضرنى شبهه يا رسول الله فقال
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانك مؤمن وهو كافر انه اول
 من غير دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام وبحر البحيرة وسيد السائبة
 وحى الحامى . وجاء في خبر آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه
 ووصل الوصيلة . واخرج عبد الرزاق وغيره عن زيد بن اسلم قال
 قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لا عرف اول من سيد
 السوائب ونصب النصب واول من غير دين ابراهيم عليه الصلوة
 والسلام قالوا من هو يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام عمرو
 ابن لحي اخو بنى كعب لقد رأيت يجر قصبه في النار يؤذى اهل النار
 ربح قصبه وانى لا عرف اول من بحر البحار قالوا من هو يا رسول الله
 قال عليه الصلوة والسلام رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فخذع

اذاتهما وحرم البانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما
 فشرب البانهما وركب ظهورهما فلقد رأيت في النار وهما تقضمانه
 بافواههما . واستدل بالاية على تحريم هذه الامور وهو ظاهر .
 واستنبط منه تحريم جميع تعطيل المنافع . واستدل ابن الماجشون بها
 على منع ان يقول الرجل لعبدك انت سائبة وقال لا يعتق بذلك . وجعل
 بعض العلماء من صور السائبة ارسال الطير ونحوه وصرح بعض العلماء
 انه لا ثواب في ذلك ولعل الجاعل لا يكتفي بهذا القدر ويدعى الاثم
 فيه والناس عن ذلك غافلون واكثرهم لا يقلون ان ذلك افتراء باطل
 فما تقدم فعل الرؤساء وهذا شأن الاتباع وهم المراد بالاكثرو . وظاهر
 سياق النظم الكريم انهم المقلدون لاسلافهم المفتين من معاصري
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وهذا بيان لقصور عقولهم
 وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم . والحاصل ان المراد بالاية رد ما ابتدعه
 اهل الجاهلية وابطاله .

(مذهبهم في الفرع والعتيرة)

(اما الفرع) فهو اول النتاج وهو بفتح الفاء والراء بعدها
 مهملة . وفي المحكم الفرع اول نتاج الابل والغنم كان اهل الجاهلية
 يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر ويقال ان الفرع
 ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تنماء صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت
 مائة يمتز منها بعيراً كل عام ولا يأكل منه هو ولا اهل بيته ويطلق

ايضا على الطعام الذى يصنع لتتاج الابل كالخرس للولادة . وفى كتاب ضروب الامثال للميداني عند الكلام على قولهم اول الصيد فرع مانصه الفرع اول ولد تنجبه الناقة كانوا يذبحونه لالهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول اذا اتمت ابلى كذا نحرت اول نتيج منها وكانوا اذا ارادوا نحروه زينوه والبسوه ولذلك قال اوس يذكر ازمة فى شدة البرد .

شبه الهيدب العمام من ال * اقوام سقياً مجللاً فرعا الهيدب العمام الى الثقيل والسقب الذكر من ولد الناقة قال ابو عمرو ويضرب عند اول ما يرى من خير في زرع او ضرع وفى جميع المنافع . وروى اول الصيد فرع ونصاب . وذلك انهم يرسلون اول شئ يصيدونه يتخفون به وروى اول صيد فرعه اى اراق دمه يضرب لمن يرى منه خير قبل فعلته هذه انتهى . ولعل هذا الاختلاف مبنى ايضاً على اختلاف مذاهب العرب فيه فانهم قلما يتوافقون فى الموائد والاعمال (واما العتيرة) فهى بفتح المهملة وكسر المثناة بوزن عظيمة ذبيحة كانوا يذبحونها فى الجاهلية فى رجب يتقربون بها لاصنامهم وهى الرجبية قال ابو عبيد . وقال غيره العتيرة نذر كانوا ينذرونه من باغ ماله كذا ان يذبح من كل عشرة منها فى رجب . وفى الصحاح العتيرة هى ان الرجل كان يقول فى الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترة منها عتيرة فى رجب . ونقل ابو داود تقيدها بالعترة الاول من رجب

وروى الحميدى انها الشاة التي تذبح عن اهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو العتر فهي قبيلة بمعنى مفعولة . واعلم ان الشريعة الاسلامية قد ابطلت كلا من الفرع والعتيرة . ففي الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة . وهذا النهى محمول على ما اذا كان الذبح لغير الله تعالى كصنيع الجاهلية فانهم كانوا يذبحونه لطواغيتهم . واما اذا كان الذبح لله تعالى فهو جائز جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث « الفرع حق » روى الحاكم انه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الفرع فقال الفرع حق وان تركه حتى يكون بنت مخاض او ابن لبون فحمل عليه في سبيل الله او تعطيه ارملة خير من ان تذبحه يلصق لحمه بوبره وتوله ناقتك . وفي حديث آخر نادى رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله في اى شهر كان . قال انا كنا نفرع في الجاهلية قال في كل سائمة فرع تغذوه ماشيتك حتى اذا استجمل ذبحته فصدقت بلحمه فان ذلك خير . ففي هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبطل الفرع والعتيرة من اصلهما وانما ابطال صفة من كل منهما فن الفرع كونه يذبح اول مايولد . ومن العتيرة خصوص الذبح في شهر رجب وكون الذبح في كل منهما لغير الله تعالى .

(ومن مذاهب العرب في الجاهلية الوأد)

يقال وأد الموءدة يتعدا دفنها حية والموءدة اسم كان يقع على

من كانت العرب تدقها حية من بناتها وهو واثد وهي وثيد ووثيدة
وموودة . انشد ابن الاعرابي .

وما لقي المؤود من ظلم امه * كما لقيت ذهل جميعا وعامر
وبعضهم يقول المؤودة من الواد وهو الثقل كانها سميت بذلك لانها
تشغل بالتراب حتى تموت . وقيل الواد مقلوب الاود وحكاه المرتضى
في درره عن بعض اهل اللغة وهو غير مرضى عند ابي حيان لانه
لم ينقل عن احد من ائمة اللغة . ذكر الهيثم بن عدي على ما حكاه عنه
الميداني ان الواد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله
واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام . وقد قل ذلك فيها الامن بنى تميم فانهم
تزايد فيهم ذلك قبل الاسلام وكانت مذاهب العرب مختلفة في الواد
وقتل الاولاد (ففهم) من كان يثد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق
العار بهم من اجلهن وهم بنو تميم وكندة وقبائل آخرون . قال
الميداني وكان السبب في ذلك ان بنى تميم منعوا الملك ضربة الاتاوة
التي كانت عليهم فجرد اليهم النعمان اخاه الريان مع دوسر " ودوسر
احدى كتابه " وكان اكثر رجالها من بكر بن وائل فاستاق نعمهم
وسبي ذراريهم . وفي ذلك يقول ابو المشمرج اليشكري .

لما رأوا راية النعمان مقبلة * قالوا الا ليت ادنى دارنا عدن
يا ليت ام تميم لم تكن عرفت * صرا أو كانت كمن اودى به الزمن
ان تقتلونا فاعبار مجدعة * اوتنعموا فقديماً منكم المنن

ووفدت وفود بنى تميم على النعمان بن المنذر وكلوه في الذراري فحكم النعمان بان يجعل الخيار في ذلك الى النساء فاية امرأة اختارت زوجها ردت عليه فاختلفن في الخيار وكانت فيهن بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابها على زوجها فنذر قيس بن عاصم ان يدس كل بنت تولد له في التراب فوآد بضع عشرة بنتاً وبصنيع قيس بن عاصم واحياءه هذه السنة نزل القرآن في ذم وآد البنات . وروى ان اول قبيلة وأدت من العرب ربيعة وذلك انهم اغير عليهم قهبت بنت لامير لهم فاستردها بعد الصلح فخيرت رضى منه بين ابها ومن هى عنده فاختارت من هى عنده وآثرته على ابها فغضب وسن لقومه الوآد ففعلوه غيرة منهم ومخافة ان يقع لهم بعد مثل ماوقع وشاع في العرب غيرهم والله تعالى اعلم بصحة ذلك . وغالب قبائل العرب كان غرضهم من الوآد ما ذكر . وكيفية الوآد كما ذكر غير واحد ان الرجل منهم كان اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحيها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتاً رمت

بها في الحفرة واذا ولدت ولداً حبسته (ومنهم) من كان يثد
من البنات من كانت زرقاء او شيماء او برشاء او كسحاء تشؤما منهم
بهذه الصفات . ومن هذا حديث سودة بنت زهرة بن كلاب وذلك
انها لما ولدت على بعض هذه الصفات ورأها ابوها كذلك امر
بأدحها فارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد
دفنها سمع هاتفاً يقول لا تشد الصبية . وخلصها البرية . فالتفت فلم
ير شيئاً فماد لدفعها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في المعنى فرجع
الى ابيها فاخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة
قريش فقالت يوما لبني زهرة ان فيكم نذيرة او تلد نذيراً فاعرضوا
على بناتكم فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد
حين حتى عرض عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة او ستلد
نذيراً في خبر طويل ذكره ابو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم ولم يكن
اسمها مسموعاً عندهم يومئذ فقالوا لها وما جهنم فقالت سيخبركم عنها
النذير . وفي السيرة الحلبية الذي دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني
زهرة لولده عبدالله ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهي عمة وهب والد
آمنة كان من امرها انها لما ولدت رأها ابوها زرقاء شيماء اى سوداء
وكانوا يثدون من البنات من كانت على هذه الصفة اى يدقونها حية
ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة . وذكر الخبر
السابق . وهذا المذهب كان عليه قليل من قبائل العرب ولم يأخذ

به جمهورهم (ومنهم) من كان يقتل اولاده خشية الانفاق وخوف
الفقر وهم الفقراء من بعض قبائل العرب وفيهم نزل قوله تعالى ولا
تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ
كبيراً . وظاهر لفظ الآية الهى عن جميع انواع قتل الاولاد ذكوراً
كانوا او اناثا مخافة الفقر والفاقة . لكن روى ان من اهل الجاهلية
من كان يثد البنات مخافة العجز عن النفقة عليهن فهى فى الآية عن ذلك
فيكون المراد بالاولاد البنات وبالقتل الوأد والخشية فى الاصل خوف
يشوبه تعظيم . قال الراغب اكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى
منه . والاملاق الفقر كما روى عن ابن عباس وانشد له قول الشاعر .
وانى على الاملاق يا قوم ما جد * اعد لاضيا فى الشواء المصهبا
وقوله سبحانه نحن نرزقهم واياكم ضمان لرزقهم وتعليل للنهى المذكور
بابطال موجب في زعمهم اى نحن نرزقهم لائتم فلا تخافوا الفقر بناء
على علمكم بعجزهم عن تحصيل رزقهم . وقوله سبحانه ان قتلهم كان
خطأ كبيراً . تعليل آخر ببيان ان المنهى عنه فى نفسه منكر عظيم لما
فيه من قطع التناسل وقطع النوع والخطأ كالاتم لفظاً ومعنى . وكان
كثيراً من عقلاء العرب لا يرتضى هذا الفعل . وكان جمع منهم يقتدون
هذا النوع من المؤودة من اهلها . وفى صحيح البخارى ان زيد بن عمرو
ابن نفيل كان يحبي المؤودة يقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها
انا اكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لا يبا ان شئت دفعها

اليك وان شئت كفيتك مؤنتها والا حياء هنا مجاز والمراد باحيائها
ابقاؤها. وكان صعصعة بن ناجية يشتري البنات ممن يريد وأدها خشية
الاملاق فاحيا ستاً وتسعين مؤودة الى زمن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم . وفي ذلك يقول الفرزدق مفخراً .

منا الذي اختير الرجال بمساحة * وخيرا اذا هب الرياح الزعازع
ومنا الذي قاد الجياد على الوجي * لنجران حتى صبحتها التزائع
ومنا الذي اعطى الرسول عطية * اسارى تميم والعيون دوامع
ومنا خطيب لا يعاب وحامل * اخر اذا التفت عليه المجامع
ومنا الذي احيا الوئيد وغالب * وعمره ومنا حاجب والا قارع
اولئك آباءى فحشى بملهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع
ورأيت في بعض كتب السير ان صعصعة بن ناجية بن عقال كان يفدى
المؤودة من القتل ولما اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
يا رسول الله انى كنت تعمل عملا فى الجاهلية افينفنى ذلك اليوم قال
وما عملك فاخبره بنجر طويل فيه انه حضر ولادة امرأة من العرب
بنثاً فاراد ابوها ان يثدها قال فقلت له اتيدها قال وهل تبيع العرب
اولادها قال قلت انما اشترى حياتها ولا اشترى رقها فاشتراها منه
بناقين عشرين وجمل وقد صارت لى سنة فى العرب على ان اشترى
ما يبدونه بذلك فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا مؤودة وقد
انقذتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينفعك ذلك

لأنك لم تتبع به وجه الله وان تعمل في اسلامك عملاً صالحاً تثب عليه .
واخرج الطبراني عن صعصعة بن ناجية الجاشعي قال قلت يا رسول
الله اني عملت اعمالاً في الجاهلية فهل فيها من اجر احييت ثلاثمائة
وستين من المؤدة اشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجل
فهل لي في ذلك من اجر فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لك اجره
اذمن الله تعالى عليك بالاسلام وهذه الرواية اصح من الرواية الاولى
وقد ذكر الفرزدق احياء جده المؤدة في كثير من شعره . كما قال .

ومنا الذي منع الوائدات * واحي الوئيد فلم يواد
« ومنهم » من كان ينذر اذا بلغ بنوه عشرة نحر واحداً منهم كما فعله
عبدالمطلب في قصته المشهورة واليها اشار النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بقوله انا ابن الذبيحين يعني اياه عبد الله وجده اسمعيل عليه
الصلوة والسلام . قال الامام الماوردي في كتاب اعلام النبوة . حكى
الزهرى ويزيد بن رومان وصالح بن كيسان ان عبد المطلب بن هاشم
نذر انه متى رزق عشرة اولاد ذكوراً ورآهم بين يديه رجلاً ان ينحر
احدهم للكعبة شكراً لربه حين علم ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام
امر بذبح ولده تصوراً انه من افضل قرية . فلما استكمل ولده العدد
وصاروا له من اظهر العدد . قال لهم يا بني كنت نذرت نذراً
اعلمتموه قبل اليوم فأتقولون قالوا الامر لك واليك . ونحن بين يديك .
فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم

اتوه بالقداح فاخذها وجعل يرتجز ويقول .

عاهدته وانا موف عهده * والله لا يحمد شئ حده

اذ كان مولاي وكنت عبده * نذرت نذراً لا احب رده

* ولا احب ان اعيش بعده *

ثم دعا بالامين الذي يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرك

ولا تجمل وكان احب ولد عبد المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب

القداح السهم على عبد الله فاخذ عبد المطلب الشفرة واتى بعبد الله

واضجعه بين اساف ونائلة وانشأ مرتجزاً يقول .

عاهدته وانا موف نذره * والله لا يقدر شئ قدره

هذا بنى قد اريد نحره * وان يؤخره يقبل عذره

وهم بذبحه فوثب اليه ابنه ابوطالب وكان اخا عبد الله لايه وامه

وامسك يد عبد المطلب عن اخيه وانشأ مرتجزاً يقول .

كلا ورب البيت ذى الانصاب * ما ذبح عبد الله بالتلعاب

يا شيب ان الريح ذوعقاب * ان لنا مرة في الخطاب

* اخوال صدق كاسود الغاب *

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من ابى طالب وكانوا اخواله قالوا صدق

ابن اختنا ووثبوا الى عبد المطلب فقالوا يا ابا الجارث انا لانسلم ابن

اختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره فقال انى نذرت نذراً وقد

خرج القدح ولا بد من ذبحه قالوا كلا لا يكون ذلك ابداً وفيما ذوروح

وانا لتفديه بجميع اموالنا من طارف وتالد وانشأ المغيرة بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم مرثجزا يقول .

يا عجباً من فعل عبد المطلب * وذبحه ابناً كتمثال الذهب
كلا وبيت الله مستورا الحجب * ماذبح عبد الله فينا باللعب
* فدون ما يبغي خطوب تضطرب *

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطلب فقالوا يا ابا الحارث ان
هذا الذي عزمتم عليه لعظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تنه بالعيش
من بعده ولكن لا عليك انت على رأس امرك تثبت حتى نصير معك
الى كاهنة بنى سعد فما امرتك من شئ فامتله . فقال عبد المطلب
لكم ذاك وكانوا يرون الكهانة حقاً . ثم خرج في جماعة من بنى مخزوم
بنحو الشام الى الكاهنة فلما دخلوا عليها اخبرها عبد المطلب بما عزم
عليه من ذبح ولده وارثجزي يقول .

يارب انى فاعل لما ترد * ان شئت الهمت الصواب والرشد
باسائق الخير الى كل بلد * قد زدت في المال واكثر العدد
فقلت الكاهنة انصرفوا عنى اليوم فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت
كم دية الرجل عنكم قالوا عشرة من الابل قالت فارجموا الى بلدكم
وقدموا هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة
من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل القداح فان خرج القدح على
الابل فانحروها وان خرج على صاحبكم فزيدوا على الابل عشرة

عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة واقبلوا عليه يقولون يا ابا الحارث ان لك في ابراهيم اسوة فقد علمت ما كان من عزمه في ذبح ابنه اسمعيل وانت سيد ولد اسمعيل فقدّم مالك دون ولدك . فلما اصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة من الابل ثم دعا بامين القداح وجعل لابنه قدحا وقال اضرب ولا تبجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها اربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الابل فكبر عبد الله وكبرت قريش وقالت يا ابا الحارث انه قد انهى رضاء ربك وقد نجى ابنك من الذبح فقال لا والله حتى اضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية فخرج على الابل فضرب الثالثة فخرج على الابل فلم عبد المطلب انه قد انهى رضاء ربه في فداء ابنه فارتحل يقول .

دعوت ربي مخلصا وجهرا * يارب لا تنهر بنى نحرنا
وقاد بالمال تجددلى وفرا * اعطيك من كل سوام عشرا
حفوا ولا تشمت عيونا خزرا * بالواضع الوجه المقتنى بدرا

فالحمد لله الاجل شكرا * فليست والبيت المغطى سترا
 مبدلا نعمة ربي ككفرا * مادمت حيا اوازور القبرا
 ثم قربت الابل وهي مائة من جلة ابل عبد المطلب فحمرت كلها فداء
 لعبد الله وترك في مواضعها لا يصد عنها احد يتأبها من دب ودرج
 فجرت السنة في الدية بمائة من الابل الى يومنا هذا وانصرف عبد
 المطلب بابنه عبد الله فرحافكان عبد الله يعرف بالذبيح . ولذلك قال
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن الذبيحين يعني اسمعيل ابن ابراهيم
 عليهما الصلوة والسلام واباه عبد الله بن عبد المطلب (ومنهم)
 من كان يقول الملائكة بنات الله سبحانه عما يقولون فالحقوا البنات
 به تعالى فهو عز وجل احق بهن . والى هؤلاء القوم ووردهم يشير
 قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر
 احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم
 من سوء ما بشره ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الاساء ما يحكمون .
 والله در التنزيل ما على شأنه . واظهر برهانه . فقد ابطال هذا المذهب
 الفاسد . والاعتقاد الكاسد . بلفظ موجز اي ايجاز . ودليل واضح
 اقدم اهل الالحاد على الاعجاز . ففي التفسير ويجعلون لله البنات
 هم خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله تعالى . وكأنهم
 لجهلهم زعموا تأنيثها وبنوتها . وقال الامام اظن انهم اطلقوا عليها البنات
 لاستتارها عن العيون كالنساء ولهذا لما كان قرص الشمس مجرى مجرى

المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر . ونوره القاهر . اطلقوا عليه لفظ التأنيث . ولا يرد على ذلك ان الجن كذلك لانه لا يلزم في مثله الاطراد . وقيل اطلقوا عليها ذلك للاستتار مع كونها في محل لا تصل اليه الاغيار فهي كبنات الرجل اللاتي يغار عليهن فيسكنهن في محل امين . ومكان ممكن . والجن وان كانوا مستترين لكن لا على هذه الصورة . وهذا اولى مما ذكره الامام . واما عدم التوالد فلا يناسب ذلك . سبحانه تنزيه وتقديس له تعالى شأنه عن مضمون قولهم ذلك او تجيب من جرائهم على التفوه بمثل تلك العظيمة وهو في المعنى الاول حقيقة . وفي الثاني مجاز . ولهم ما يشتهون . يعنى البنين . واذا بشر احدهم بالأنثى اى اخبر بولادتها . ظل وجهه مسوداً من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التي لحقت بولادة الأنثى قيل اذا قوى الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل الى الاطراف لاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فيرى الوجه مشرقاً متلاًئلاً واذا قوى الغم انحصر الروح الى باطن القلب ولم يبق له اثر قوى في ظاهر الوجه فيبرد ويتغير ويصفر ويسود ويظهر فيه اثر الارضية فمن لوازم الفرح استتارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده فلذلك كنى عن الفرح بالاستتارة وعن الغم بالاسوداد ولو قيل بالمجاز لم يبعد . وهو كظيم اى مملوء غيظاً واصل الكظم

مخرج النفس يقال اخذ بكظمه اذا اخذ بمخرج نفسه ومنه كظم الغيظ
لاخفائه وحبسه عن الوصول الى مخرجه . والظاهر ان ذلك الغيظ
على المرأة حيث ولدت اثنى ولم تلد ذكراً . ويؤيده ما روى الاصمعي ان
امراًة ولدت بنتاً سمها الذلفاء فمجرها زوجها فانشدت .

مالابي الذلفاء لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا

يحد ان لاند البنينا * وانما ناخذ ما يعطينا

يتوارى من القوم يستخفى من قومه . من سوء ما شر به عرفاً وهو الاثنى
والتميعر عنها بما لاسقاطها بزعمهم عن درجة العقلاء . ويروى ان
بعض الجاهلية يتوارى في حال الطلق فان اخبر بذكر ابيهم او بآثي
حزن وبقي متوارياً ايما يدبر فيها ما يصنع . ايمسكه ايتركه ويرببه . على
هون اي ذل . ام يدسه اي يخفيه . في التراب والمراد يثده ويدفنه حياً
حتى يموت والى هذا ذهب السدي وقتادة وابن جريج وغيرهم . وقيل
المراد اهلاكه سواء كان بالدفن حياً ام بامر آخر فقد كان بعضهم
ياثي من شأق روى ان رجلاً قال يا رسول الله والذي بعثك
بالحق ما وجد حلاوة الاسلام منذ اسلمت وقد كانت لي في الجاهلية بنت
واجمرت امرأتى ان تزنيها واخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر
القيتها فقالت يا ابت قتلتني فكلمنا ذكرت قولها لم ينفعني شئ فقال صلى
الله تعالى عليه وسلم ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام
يهدمه الاستغفار وكان بعضهم يغرقها وبعضهم يذبحها الى غير ذلك

ولما كان الكل امارة تفضى الى الدفن في التراب قيل ام يدسه في التراب .
وقيل المراد اخفاؤه عن الناس حتى لا يعرف كالمندسوس في التراب .
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الصاحبة والولد ما هذا
شأنه عندهم والحال انهم يتعاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين
فمدار الخطاء جعلهم ذلك لله تعالى شأنه مع اباؤهم اياه لا جعلهم البنين
لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه وجوز ان يكون مداره التعكيس
كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى . وقال ابن عطية هذا استقباح منه
تعالى شأنه لسوء فعلهم وحكمهم في بناتهم بالامساك على هون او الوأد مع
ان رزق الجميع على الله تعالى فكأنه قيل الاساء ما يحكمون في بناتهم وهو
خلاف الظاهر جداً . وروى الاول عن السدى وعليه الجمهور والاية
ظاهرة في ذم من يحزن اذا بشر بالأنثى حيث اخبرت ان ذلك فعل
الكفرة . وقد اخرج ابن جرير وغيره عن قتادة انه قال في قوله سبحانه
واذا بشر احدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . هذا صنيع
مشركي العرب اخبركم الله تعالى بنجسه فاما المؤمن فهو حقيق ان يرضى
بما قسم الله تعالى له وقضاء الله تعالى خير من قضاء المرء لنفسه . ولعمري
ما تدري اى خير لرب جارية خير لاهلها من غلام وانما اخبركم
الله عز وجل بصنيعهم لتجنبوه ولتنهوا عنه (والحاصل) ان هذا
الفعل الشنيع على اختلاف انواعه قد ابطلته الآيات القرآنية .
والاحاديث النبوية . واباغ النصوص الواردة في ذلك قوله سبحانه واذا

الموودة سئلت باى ذنب قتلت حيث دل على ان السؤال انما توجه اليها لاطهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق ان يخاطب ويسأل عن ذلك وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب عنه واسقاطه عن درجة الاعتبار فان المجنى عليه اذا سئل بمحضر الجاني ونسبت اليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعناً للجاني على التفكير في حال نفسه وحال المجنى عليه فيرى براءة ساحته وانه هو المستحق للعتاب والعقاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله. وهذه الطريقة افطن في ظهور جناية القاتل والزام الحجة عليه. وعد من الواد العزل. فقد اخرج الامام احمد ومسلم وابو داود وغيرهم انه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن العزل فقال ذلك الواد الحقى وفي حديث آخر تلك الموودة الصغرى. وفيه تفصيل محله كتب الفقه والتفسير. ومن الايات الواردة في هذا الباب قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون. ومنها قوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قدضلوا وما كانوا مهتدين. الى غير ذلك مما يطول ذكره. وهكذا الاحاديث الصحيحة الواردة في ابطال هذا العمل وشهرتها تفى عن ذكرها وابرادها في هذا الحل.

(ومن مذاهب العرب في الجاهلية الميسر)

الميسر القمار وهو مصدر ميمي كالموعد والمرجع من يسر
يسر يقال يسرته اذا قرته . واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ مال
الرجل يسر وسهولة من غير كد ولا تعب . او من اليسار لانه سلب
يساره . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان الرجل في الجاهلية
يخاطر على اهله وماله . قال الشاعر .

اقول لهم بالشعب اذ يسروننى * الم تعلموا انى ابن فارس زهدم
اى يفعلون بى ما يفعل الياسرون بالميسور . وقيل من يسروا الشئ اذا
اقتسموه وسمى المقامر ياسراً لانه بسبب ذلك الفعل يجزى لحم الجزور .
وقال الواحدى من يسر الشئ اذا وجب والياسر الواجب بسبب
القدح . وكان الميسر من مفاخر العرب لانهم كانوا يفعلونه في ايام الشدة
وعدم اللبن وايام الشتاء . قال شاعرهم .

واذا تعذرت السواعد والتوت * جال المفدى وسطها المضبوع
اغلى به رخو الازار معذل * فغدا يمار له دم مسفوح
السواعد مجارى اللبن فى الضرع يقول اذا تعذر اللبن جال المفدى
يعنى القدح والمضبوع الذى ضج وهو اثر النار لانه يقوّم بالنار .
واغلى به من الغلاء اى اخذ به اى بالقدح سهاما كثيرة لكثرة فوزه .
ولذلك سمي المفدى لما يتكرر له من الفوز . ومعذل اى يعذل كثيراً
على الاتفاق فغدا يعنى القدح يمار له دم الناقة التى قاصر عليها . وقال

ليد بن ربيعة في معلقته الشهيرة يفخر بلعب الميسر ونجاحه فيه على غيره وكرمه .

وجزور ايسار دعوت لحفها * بمغالق متشابه اجسامها
ادعو يهن لعاقر او مطفل * بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الجنب كأنما * هبطا تباله مخصباً اهضامها
الايسار جمع يسر وهو صاحب الميسر والمغالق سهام الميسر سميت
بها لانها بها يغلق الخطر وهو السبق الذي يراهن عليه من قولهم
غلق الرهن يغلق غلقاً اذا لم يوجد له تخلص وفكاك . يقول ورب
جزور اصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقرها بازالام متشابهة
الاجرام وسهام الميسر يشبه بعضها بعضاً حيث جعلت على قدر
واحد . وتحرير المعنى رب جزور اصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر
الايسار عليها دعوت ندمائي لهلاكها اى لنحرها بسهام متشابهة . قال
الائمة يفخر بنحره اياها من صلب ماله لا من كسب قماره والايات التي
بعده تدل عليه وانما اراد السهام ليقرع بها بين ابله اياها بنحر
لندمائه . ومعنى البيت الثاني انه يقول ادعو بالقдах نحر ناقة عاقر
او ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران اى انما اطلب القдах
لانحر مثل هاتين وذكر العاقر لانها اسمن وذكر المطفل لانها انفس .
ومعنى البيت الثالث ان الاضياف والجيران الغرباء عندي كأنهم نازلون
وادي تباله وهو من اخصب اودية اليمن في حال كثرة اماكنه المطمئنة

شبه ضيفه وجاره في الخصب والسعة بنازل هذا الوادى في ايام الربيع
وقال عمرو بن قنينة صاحب امرى القيس .

يودل ما قومي على ان تركهم * سليبي اذا هبت شمال وريحها
اذا النجم امسى مضرب الشمس رائباً * ولم يك برق في السماء يلجها
وغاب شعاع الشمس في غير جلبة * ولا هبوة الا وشيكاً مصوحها
وهاج غمام مقشعر كأنه * نقيلة نعل بان منها سريحها
اذا عدم المحلوب طادت عليهم * قدود كثير في القدور قديحها
يشور اليها كل ضيف وجانب * كما رد دهداء القلاص اضيحا
بايديهم مقرومة ومنعالي * يعود بارزاق العباد منيحها
قوله يودل الخ يريد يودل ياسليبي وما ز آتة على انك تركهم وفارقتهم
وسليبي امرأته وكانت ارادت منه فراق قومه ورائباً اي مرتفعاً
والنجم الثريا واشد البرد عند طلوع الثريا اول الليل ويلجها يظهرها
ويضيئها والجلبة السحابة وكذلك الجلب والوشيك السريع والمصوح
الذهاب والهبوة الغيرة ومقشعر لاماء فيه والنقيلة النعل البالية
من النعال التي ينعل بها الابل اذا حفيت وجمها نقال والسريح
السيور التي تشد بها النعل الواحد سريحة والقديح المعروف والجانب
الاجنبي الغريب والهداء صفار الابل سميت بذلك لان الابل
اذا وردت الماء زهدتها ودحرجتها والنضج الحوض والمقرومة
ينى القداح بها علامات وليس المنج ههنا القدح الذي لاسهم له على

ماسيجي* وانما المنج ههنا الممنوح منها المعطى وهو القدح الفأثر ويجوز ان يمود الهاء في منجها على العباد ويكون المنج بمعنى الفاعل اى تمنحهم هذه القداح ما اصابوه من قرها . وقال شاعر آخر وهو ابن مقبل .
يا بيت آل هشام هل علمت اذا * امشى المراضيع فى اعناقها خضع
انى اعم ايسارى بذى اود * من فرع شىحاط ضاح ليطة قرع
يحدو قتائله بيض غطارفة * شم الانوف مغاليق الضحى خلع
اولو الوفاء ولو ادا قداحهم * ولا يزال لهم من لهما قنع .
قوله بذى اود يعنى القدح واذا كان ذا اود كان اسرع لخروجه وشىحاط
ارض وضاح ليطة ظاهر جلده وما ضحى منه للشمس اى برز والقتائل
الاشياء وهذا قتل هذا اى شبهه والجمع ا قتال . ويقال ايضا فلان قتل
فلان اى عدوه فقول ابن مقبل يحدو قتائله اى قتائل قدحى ومغاليق
الضحى اى يفلقون الرهن والخطر وخلع معناه يسلبون الرجال بالقممار
ويخلعونها . واولو الوفاء اى يؤدون ما يلزمهم وفاؤه ولو لم يبق الا
قداحهم لادواها . والقنع الزيادة والكثرة ويقال هو ذوق قنع اى كثير
المال جواد . وقال آخر وقد مدح قوما بابيات منها قوله .

اعداء كوم الذرى ترغوا اجنتها * عند المجازر بين الحى والحجر
لا يفرحون اذا ما فاز فازهم * ولا يضيق عليهم ازمة العسر
هم الخضارم والايسار ان دبوا * اذلا تحيل قداحا راحتا يسر
الكوم جمع كوماه وهى الناقة العظيمة السنام وهم اعداؤها لانهم

ينحرونها يعني انها تنحروهي حوامل فيخرج الجنين حياً يرغو . وقوله لايفرحون الخ . يقول اذا فازوا لم يفرحوا بذلك ولا يبطرهم الفوز ومنه قول الله عز وجل ان الله لا يحب الفرحين والازبة الشدة اى لايبالون بالغرم وان كانوا معسرين والخضارم الاسخياء والواحد خضرم واصل الخضرم البحر . وقال الاعشى .

وجزور ايسار جزرت الى الندى * ونياط مقفرة اخاف ضلالها
والشمر الذى فيه تفاخرهم بالميسر وتمدحهم لايمكن استيعابه فى مثل
هذا المقام (وصفة الميسر) ان يجتمع الفتيان منهم وذوو اليسار
ويشترون جزوراً بما بلغت ويدعون الجزار ويسمونه القدار على
وزن همام فينحرها ويجعلها عشرة اجزاء فاذا قسمت الجزور على ما تقدم
حضر الايسار وهم القوم المجتمعون على الميسر وواحدهم يسروجى
بالقداح وهى عيدان من نبع قد نحتت وملست وجعلت سواء فى الطول
والنبيع شجر للقسي وللسهام ينبت فى قلة الجبل والتاب منه فى السفح
اى اصل الجبل يقال له الشريان وفى الحضيض اى القرار فى الارض
وهو المطمئن منها يقال له الشوخط وقولهم لواقندح بالنبع لاورى
ناراً مثل فى جودة الرأى . وكما يقال لها القداح يقال لها الازلام
والاقلام . وهى عشرة الفذ والتوأم والرقيب والحاس والنافس
والمسبل والمعلى والمنيع والسقيج والوغد . وقد نظم اسمائها جمع من اعيان
اثمة اهل الادب منهم الامام ابو الحسن غلى بن محمد الهمداني فقال .

يلي الفذ منها توأم ثم بعده * رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهذه الـ * سهام التي دارت عليها المجالس
وقد نظمها الشيخ ابن الحاجب على ترتيب انصباؤها ايضاً فقال .
هي فذ وتوأم ورقيب * ثم حلس ونافس ثم مسبل
والمعلى والوغد ثم منيع * وسفيج هذي الثلاثة تحمل
ولكل مما سواها نصيب * ضعفه ان عددت اول اول
« ونظمها بعضهم ايضاً فقال »

كل سهام الياسرين عشرة * فاودعوها صحفا منشرة
لها فروض ولها نصيب * الفذ والتوأم والرقيب
والحلس يتلوهن ثم النافس * وبعده مسبلهن السادس
ثم المعلى كاسمه المعلى * صاحبه في الياسرين الاعلى
والوغد والسفيج والمنيع * غفل فما فيما يرى ريح
فللاول وهو الفذ سهم ان فاز وفوزه خروجه وعليه غرم سهم
ان خاب اى لم يخرج وكذلك باقيها على الترتيب فيما له وعليه الى المعلى
وهو السابع له سبعة وعليه سبعة يفرض في كل سهم منها بحسب ماله
وعليه حزم . وتكثر هذه السهام بثلاثة اخرا غفال ليس فيها حزم
ولا لها علامات ليكون ذلك انفي للتهمة وابتعد من المحاباة وهي المنيع
والسفيج والوغد . فاذا حضرت القداح وحضر الايسار اخذ كل منهم
من القداح على قدره وقدرته وطاقته ورياسته فمنهم من لا يبلغ حاله

أكثر من القذ فاخذه له فان خاب ضرر سهماً ورأى ذلك سهلاً . وان
 فاز اخذ سهماً ورأى ذلك كافياً . ومنهم من يأخذ المعلى ولا يبالي
 بالفرم ان خاب وينال النصيب الاوفر ان فاز . ومنهم من يأخذ المعلى
 وسهماً ان لم يحضر من يتم السهام فيأخذ ما فضل من القداح ويقول
 للايسار قد نعمتكم . وفي ذلك يقول متم بن نويرة في اخيه مالك .
 اذا حضر القوم القداح واوقدت * اهم نار ايسار كفى من تضجما
 يقول من تضجج من الفتيان ولم يأخذ مابق اخذه هو مابق حتى يتمهم
 والتضجج التكاسل والاعراض عن العمل . وقال الغزوى .

اذا شهد الايسار او غاب بعضهم * كفى الحى وضاح الجبين اريب
 وتسمى القداح مغالق لانها تغلق الرهن اذا ضربوا بها على ماسبق
 (والجزية) التي يقسمها القدار هي ان يجعل الكتفين جزئين كل واحد
 منهما جزء والصدر جزءاً وهو الزور . وقال في القاموس الزور وسط
 الصدر او ما ارتفع منه الى الكتفين او ملتي اطراف عظام الصدر .
 والمضدان جزآن ويقال لهما ابنا ملاط . والكاهل جزء وهو ابن
 مخدش . وفي القاموس هو كمنبر ومحدث كاهل البعير . والملاء وهو
 ما بين السنام الى الجرز جزء والجرز جزء . والفخذان كل واحد منهما
 جزء ويزاد على الفخذين خرزات العنق والطفاطف وهي جمع طفطة
 ويكسر الحاصرة او اطراف الجنب المتصلة بالاضلاع او كل لحم مضطرب
 او الرخص من مرق البطن وهو الشيء الناعم . ثم يقسم على الاجزاء

العشرة ما فضل من الجنيين والسنام والكبد ومن قطع اللحم حتى تستوى
فاذا استوت الاجزاء العشرة كلها بقي العظم الذي لا يصلح ان يكون
على واحد من الاجزاء . فان شاء الجزار اخذه والا كان لاهل الفاقة
والفقر من العشرة ولا يأخذه احد من الايسار لان ذلك عندهم
عيب وطار . ويسمى ذلك العظم الريم . قال في الصحاح الريم عظم
يبقى بعد ما يقسم الجزور . وانشد ابن السكيت .

وكنتم كمظم الريم لم يدر جازر * على اى بدأى مقسم اللحم يوضع
البدء والبدأة النصيب من الجزور والجمع ابداء وبدوء مثل جفن
واجفان وجفون . قال طرفة بن العبد .

وهم ايسار لقمان اذا * اغلت الشتوة ابداء الجزور
وغيره يقوب يروى بدل يوضع مجمل . وقال ابن الاعرابي الريم القبر وقال
اذا مت فاعتادى القبور وسلمى * على الريم اسقيت النمام الغواذيا
وابو العلاء ايضا فسر الريم في هذا البيت بالقبر . واظن انه اراد
الشاعر العظم الباقي من الجسد مجازاً . وبه قال ابو الحسن على ابن
احمد السخاوى . ثم يبقى الرأس والقوائم يأخذها الجزار في اجزائه
وتسمى الثنيا وتسمى الجزارة ايضا . ثم اتسعو في ذلك فسموا الرأس
والقوائم جزارة قال ذو الرمة من قصيدة تسمى المذهبة في وصف نعامة .
شخت الجزارة مثل البيت سائر * من المسوح خذب شوقب خشب
وقد ذكر كثير من ابيات هذه القصيدة في كتاب مناهج الفكر . ومباح

العبر. وهو على اقسام قسم منه في الطبايع الحيوانية. والايات في مجت
 النعامة. اى ان الظليم المذكور هو دقيق القوآثم وجسمه كثير
 الشعر كيت الاعراب وهو اسود كالسمك وهو البلاس والحدب
 الضخم والشوقب الطويل والخشب الجافى. فاذا اخذ كل
 واحد من الايسار قدحه دفعوا جميعها الى رجل ويسمونه الحرضة.
 قال فى الصحاح وهو الذى يضرب للايسار بالقдах ولا يكون الا
 ساقطاً برما. وفسر فى القاموس انه امين المقامرین. ومن شأنه
 المعروف له انه لم يأكل لحماً قط ثمن انما يأكله عند غيره او يهدى له
 الايسار. وكانوا اكثر ما يجتمعون على الميسر بالليل ويوقدون ناراً
 لذلك ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيلف على يد الحرضة ويسمى ذلك
 الثوب المجول وانما يجعل ذلك الثوب على يده ليغشى بصره فلا يعرف
 قدح زيد دون عمرو وهذا بعد ان يلف كفه بقطعة من جراب لئلا يجد
 مس قدح يكون له مع صاحبه محابة فاذا اخذ القдах لم ينظر اليها وبعضهم
 يقول يجعلها فى الربابه وهى خريطة ويجلس خلفه آخرو يسمى الرقيب
 ويسمى ايضاً رابى الضرباء يقعد خلف ضارب قداح الميسر يرتب
 لهم فيما يخرج من القдах فيخبرهم به ويعتمدون على قوله فيه وهو
 مأخوذ من ريثة القوم وهو طليعتهم. والضرباء جمع ضريب ككريم
 وكرماء وهو الذى يضرب بالقдах وهو الموكل بها ويقال له الضارب
 ايضاً. ثم يجلس الايسار حوله دائرين به. ثم يفيض بالقдах فاذا نشر

اي ارتفع منها قدح استسله الحرضة من غير ان ينظر اليه ثم ناوله الرقيب فينظر الرقيب لمن هو فيدفعه الى صاحبه فيأخذ من اجزاء الجزور على قدر نصيب القدح منها وذلك هو الفوز . فان شاء بعد ذلك امسك . وان شاء اعاد السهم على خطار آخر وهو جمع خطر وجمع الجمع خطر وهو السبق يراهن عليه وهو ما يوضع بين اهل السباق جمعه اسباق واعادة السهم تسمى التثنية وهو مراد النابغة في قوله اني اتمم ايسارى وامحهم * . متنى الايادى واكسوالجفنة الادما قال ابو عبيد متنى الايادى هي الانصباء التى كانت تفضل من الجزور في الميسر فكان الرجل الجواد يشتريها فيعطيا . وقال ابو عمرو متنى الايادى ان يأخذ القسم مرة بعد مرة . وانشد بيت النابغة وهذا هو المعول عليه . فان خرج الفذ اخذ صاحبه نصيبه وله جزء واحد كما تقدم ثم ضربوا بالقداح الباقية على التسعة الاجزاء الباقية . وان خرج التوأم اخذ صاحبه جزئين وقعد ان شاء وضربوا بباقي القداح على السبعة الاجزاء الباقية فان خرج المعلى اخذ صاحبه الاجزاء السبعة التى بقيت . ووقع الغرم اعنى ثمن الجزور على من لم يخرج سهمه وهم اربعة اصحاب الرقيب والجلس والنافس والمسبل . وجملة هذه القداح ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً ويلزم كل صاحب قدح من هذه القداح مثل ما كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه . فان لم يخرج الفذ ولا التوأم وخرج الرقيب اخذ

صاحبه ثلاثة اجزاء . ثم ضربوا ثانية فخرج المعلى اخذ صاحبه السبعة
الاجزاء الباقية وهى تمة الجزور وكانت الغرامة على من لم يخرج
قدحه وهم اصحاب القداح الخمسة التى خابت وهى الفذ والتوأم والجلس
والنافس والمسبل ومجموع سهامها ثمانية عشر . فان خرج المعلى اخذ
صاحبه سبعة اجزاء الجزور واحتاجوا الى نحر جزور اخرى لان
فى القداح التى خابت المسبل وله ستة اجزاء . ولم يبق من اللحم الا
ثلاثة اجزاء ومن خاب قدحه فى الجزور الاولى لم يأكل منها شيئاً
وذلك عندهم قبيح يعاب . فاذا نحروا الجزور الثانية وضربوا عليها
بالقداح فخرج المسبل اخذ صاحبه ستة اجزاء منها الثلاثة التى بقيت
من الجزور الاولى ولزمه الغرم فى الجزور الاولى ولم يلزمه فى الثانية
شئ لان قدحه قد فاز فيها وصار غرم الجزور الثانية على من لم يخرج
قدحه على ما سبق من الحساب . وبقي من الجزور الثانية سبعة اجزاء
يضرب عليها القداح من بقى . فان خرج النافس اخذ صاحبه خمسة
اجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً ولزمه الغرم فى الاولى
وبقى جزآن من اللحم وقد بقى من القداح المجلس وله اربعة اجزاء
فاحتاجوا الى نحر اخرى لتمة الاجزاء الاربعة ولا يأكل من خاب
فى الجزور الثانية منها شيئاً فان نحروا الجزور الثالثة وفاز المجلس
اخذ صاحبه اربعة اجزاء منها جزآن من الثانية وجزآن من الثالثة
ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لانه قد فاز وكان ثمنها على من خاب

قدحه وبقي من الجزور الثلاثة ثمانية اجزاء فيضرب عليها بالقداح من بقي حتى تخرج قداحهم موافقة لاجزاء الجزور . فان كانت اجزاء اللحم موافقة لاجزاء القداح لم يحتاجوا الى نحر شئ فان اعاد من فاز قدحه مرة ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدحه فيها على هذا الحساب . فان فضل من اجزاء اللحم شئ وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الفاضلة لاهل الوبد من العشيرة . وهم اهل الضعف وسوء الحال وشدة العيش . ويقال رجل وبد اي سيء الحال ويستوى في الوصف به الواحد والجمع كما تقول رجل عدل ويجمع على اوباد كما يقال عدل وعدول . ومنه قول عمرو بن عداء الكلبي سعي عقالا فلم يترك لنا سبدا * فكيف لو قد سعى عمرو وعقالين لاصح الحى اوباداً ولم يجدوا * عند التفرق في الهيجا جمالين انشدهما ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في امثاله وقال استعمل معاوية ابن ابي سفيان ابن اخيه عمرو بن عتبة ابن ابي سفيان على صدقات كلب فاعتدى عليهم . فتمال عمرو بن العداء هذا الشعر . وسعى في الموضعين من سعى الرجل على الصدقة اي الزكاة يسعى سعيّاً عمل في اربابها . وعقالا وعقالين منصوبان على الظرف اراد مدة عقال ومدة عقالين والعقال صدقة عام . والسبد بفتحين الشعر والوبر قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب اذا قيل ماله سبد ولا لبد فمعناه ماله ذو سبد وهي الابل والمعز ولا ذولبد وهي الغنم . ثم كثر ذلك

حتى صار مثلاً مضر وباً للفقير فقيل لكل من لا مال له اى شىء كان يقول تولى هذا الرجل علينا سنة فى اخذ الزكاة منا فلم يترك لنا شيئاً لظلمه ايانا فلو تولى سنتين علينا على اى حال كنا نكون . وقوله لا صبح الحى الحى القبيلة والاولاد جمع وبد بفتحين . قال الجوهري الوبد بالتحريك شدة العيش وسوء الحال مصدر يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ثم يجمع فيقال اوباد كما يقال عدل وعدول على توهم النعت الصحيح والنشد البيت . وقال ابن برى الوجه ان يكون جمع وبد وهو السيء الحال كمنخذ وافخاذ ونهى الجمال لانه جعلها صنفين صنفاً اترحلهم يحملون عايم اثقالهم وصنفاً لحرهم يركبونه اذا جنبوا خيلهم . وقد افرد ابن قتيبة للميسر كتاباً بين فيه مذاهب العرب بياناً شافياً ولم تكن نسخته عندي وما ذكرته كاف فى المقصود وقد خلا عن مثله كثير من الكتب والله تعالى الحمد على ذلك (وقد حرمته الشريعة الاسلامية وابطلته) وفى حكم ذلك جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرها حتى ادخلوا فيه لعب الصبيان بالجوز والكعاب والفرعة فى غير القسمة وجميع انواع المخاطرة والرهان وعن ابن سيرين كل شىء فيه خطر فهو من الميسر . وفى ذلك ورد قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما . فنافع الميسر ان اهل الثروة والاجواد من العرب كانوا فى شدة البرد وكاب الزمان يسرون اى يتقاصرون

بالقداح فاذا قر احدهم جمل اجزآء الجزور لذوى الحاجة واهل
 المسكنة واستراش الناس وعاشوا. وكانت العرب تمدح من يأخذ القداح
 وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم . قال مقيم بن نويرة يرثى اخاه مالكا
 ولا برما تهدي النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقمقا
 (واما فاسده) فكثيرة منها ان فيه اكل الاموال بالباطل وانه يدعو
 كثيراً من المقامر ين الى السرقة وتلف النفس واضاعة العيال وارتكاب
 الامور القبيحة والرذائل الشنيعة والعداوة الكامنة والظاهرة وهذا
 امر مشاهد لا ينكره الا من اعماه الله تعالى واصمه. وفي كتاب فتح
 الباري والحكمة في تحريم الميسر ما فيه من المخاطرة بالمال والتعرض
 للفقر واستجلاب العداوات المفضية الى سفك الدماء وهتك الحرم
 وغير ذلك من المفسد التي لا يقابلها ما يترتب على الميسر من المنفعة
 كمصير الشيء الى الانسان من غير تعب ولاكد وما يحصل من السرور
 والارباحية عند ان يصير له منها سهم صالح . وقد ذكر الله سبحانه
 في آية اخرى ما فيه من المفسد الدنيوية والدينية اما الدنيوية فما يوقعه
 الشيطان في البين من العداوة والبغضاء فقد يقامر الرجل حتى لا يبقى
 له شيء وتنتهي به المقامرة الى ان يقامر بولده واهله على ما سبق
 فيؤدى به ذلك الى ان يصير اعدى الاعداء لمن قره وغلبه . واما
 المفسد الدينية فهي الصد عن ذكر الله وعن الصلوة وغير ذلك من افعال
 الخير . فان الميسر ان كان اللاعب به غالباً انشرجت نفسه ومنعه

حب الغلب والقهر والكسب عما ذكر . وان كان مغلوبا حصل له من الانقباض والقهر ما يحثه على الاحتيال لان يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك . وقد شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالنرد والشطرنج ونحوهما يجري بينهم من اللجاج والحلف الكاذب والغفلة عن الله تعالى وغير ذلك من الامور المنكرة ما يخل بالمرؤة ويزرى بذوى العقول السليمة ومن عوفى من ذلك فليحمد مولاه . ومن ابتلى به فليسال من الطافه سبحانه ان ينجيه من بلواه .

(ومن مذاهبهم المشهورة الاستقسام بالازلام)

كانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرآ أو تجارة ارنكا حاورا اختلافوا في نسب او امر قتل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظيمة جاؤا الى هبل وهو اعظم صنم لقريش بمكة وكان في الكعبة ومعه مائة درهم فاعطوها صاحب القداح حتى يحيلها لهم وكانت ازلهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها وهي مستوية في المقدار عليها اعلام وكتابة قد كتب على واحد منها امرني ربي وعلى واحد منها اني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل اي ليس عليه شئ فاذا ارادوا الوقوف على مستقبل الامر الذي تصدوا له ومعرفة عاقبته اخبر هو امر استقسم لهم امين القداح بقدحى الامر والنهى فان خرج قدح الامر اثمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب او سفر او زواج او ختان او بناء

او نحو ذلك بما يتفق لهم وان خرج قدح التهي اخروا ذلك العمل الى سنة فاذا انقضت اعادوا الاستقسام مرة اخرى . و يروى ان هذين القدحين قد كتب على احدهما نعم وعلى الآخر لا . فاذا ظهر للمجبل قدح نعم مضوا فيما قصدوه من العمل واذا ظهر قدح لا توقفوا سنة على ما سبق من البيان . والمقصود من الروايتين واحد . واذا وقعت منازعة في نسب احد منهم استقسم لهم امين القداح بالازلام الموسومة بمنكم ومن غيركم وما صدق فان ظهر منكم اعزوا ذلك الرجل الذي اشتبهوا في نسبه وتنازعوا في امره واحترموه غاية الاحترام وان ظهر من غيركم نفروا عنه وتجنبوه وان ظهر ملصق بقي ذلك الرجل مجهول النسب عندهم على ما كان عليه قبل فما ظهر من هذه الازلام وجب العمل بموجب ما ظهر فيه واعتمدوا عليه كل الاعتماد . واذا تنازعوا في العقل وهي دية المقتول بان اشتبه عليهم القاتل احضروا من اتهم بالقتل بالقدحين الموسومين بالعقل والغفل واستقسم لهم الامين فن خرج عليه العقل تحمل الدية وان خرج الغفل اجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه . وحكى ابو فرج الاصبهاني انهم كانوا يستقسمون عند ذي الحفاصة ايضاً وان امراً القيس لما خرج يطلب بشار ابيه استقسم عنده فخرج له مايكره فسب الصنم ورماء بالحجارة . وانشد .
لو كنت يا ذا الحفاص الموتورا * لم تنه عن قتل المداة زورا
قال فلم يستقسم عنده احد بعد حتى جاء الاسلام . والذي تحصل

من كلام اهل النقل الثقة ان الازلام كانت عند العرب على ثلاثة انحاء
احدها قداح الميسر العشرة وقد سبق تفصيلها على الوجه الاكمل .
وثانيها اكل احد وهى ثلاثة على احدها مكتوب افعل وعلى الثانى
لا تفعل والثالث غفل . وقال الفراء كان على احدها امرنى ربى
وعلى الثانى نهانى ربى وعلى الثالث غفل . فاذا اراد احدهم الامر
جعلها فى خريطة وهى الرابطة وادخل يده فيها واخرج واحداً فان
طلع الامر فعل او الناهى ترك او الغفل اعاد . وثالثها للاحكام وهى
التي عند الكعبة ذكر ابن اسحق ان اعظم اصنام قريش كان هبل
وكان فى جوف الكعبة يتحاكون عنده فيما اشكل عليهم فما خرج منها
رجعوا اليه . وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك وكانت
سبعة مكتوب عليها ماسبق . ومعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم
لهم دون ما لم يقسم بالازلام . وقد حرمه الله تعالى فى جملة ما حرم
فقال عز اسمه حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا
ما ذكيت وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق
(واستشكل) تحريم ما ذكر بانه من جملة التفاضل وقد كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يحب المال (واجيب) بانه كان استشارة مع الاصنام
واستعانة منهم كما يشير الى ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنه انهم اذا ارادوا ذلك اتوا بيت اصنامهم وفعلوا ما فعلوا

فلهذا صار حراما . وبعض العلماء يقول ان سبب تحريم الاستقسام
 بالازلام انه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه
 وافتراء على الله تعالى ان اريد بربي في قولهم امرني ربي الله وجهالة
 وشرك ان اريد به الصنم . قال الجدي في تفسيره ناقلا عن كتاب الاحكام
 للجصاص ان الاية تدل على بطلان القرعة في عتق العبيد لانها في معنى
 ذلك بعينه اذ كان فيها اثبات ما اخرجته القرعة من غير استحقاق كما
 اذا اعتق احد عبيده عند موته على ما بين في الفقه . ولا يرد ان القرعة
 قد جازت في قسمة الغنائم مثلا وفي اخراج النساء . لانا نقول انها فيما
 ذكر لتطبيب النفوس والبراءة من التهمة في ايثار البعض ولو اصطالحوا
 على ذلك جاز من غير قرعة . واما الحرية الواقعة على واحد من العبيد
 فيما نحن فيه فغير جائز نقلها عنه الى غيره وفي استعمال القرعة النقل
 وخالف الشافعي في ذلك فجوز القرعة في العتق كما جوزها في غيره
 وظواهر الادلة معه وتحقيق ذلك في موضعه . قال والحق عندي ان
 الاستقسام الذي كان يفعله اهل الجاهلية حرام بلا شبهة كما هو نص
 الكتاب وان حرمة ناشئة من سوء الاعتقاد وانه لا يخلو عن تشاؤم
 وليس بتفاؤل محض وان مثل ذلك ليس من الدخول في علم الغيب
 اصلا بل هو من باب الدخول في الظن انتهى ما هو المقصود من كلامه .
 ولا بن اقيم كتاب سماه الطرق الحكمية ذكر فيه القرعة وجعلها احد
 طرق الاحكام الشرعية واستدل على ذلك بقوله تعالى ذلك من انباء

الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ ياقون اقلامهم ايهم يكفل
 مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون. قال روى عن قتادة كانت مريم
 عليها السلام ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل فاقترعوا
 عليها بسهامهم ايهم يكفلها فقرع زكريا وكان زوج اختها فضمها اليه.
 وعن ابن عباس لما وضعت مريم في المسجد اقترع عليها اهل المصلى
 وهم يكتبون الوحي فاقترعوا باقلامهم ايهم يكفلها. وبقوله تعالى
 وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان
 من المدحضين. اى فقارع فكان من المغلوبين. قال وقد احتج الاثمة
 الاربعة بشرع من قبلنا ان صح ذلك عنهم. وبعد ان اورد عدة احاديث
 صحيحة قال فهذه السنة كما ترى قد جاءت بالقرعة كما جاء بها الكتاب
 وفعلها اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده. قال
 البخارى في صحيحه ويذكر ان قوما اختلفوا فى الاذان فقرع بينهم سعد.
 وقد صنف ابوبكر الحلال مصنفاً فى القرعة وهو فى جامعه. قال احمد
 فى رواية الفضل بن عبد الصمد القرعة فى كتاب الله والذين يقولون
 القرعة قمار قوم جهال. وقد اطال ابن القيم فى الاستدلال على
 كون القرعة من الطرق الحكيمية والدلائل الشرعية مما لا يسعه المقام
 «ثم بين» كيفية القرعة فى فصل مستقل فقال انه يجب من القرعة ما نقل
 عن سعيد بن المسيب انه كان يأخذ خواتيمهم فيضعها فى كفه فمن اخرج
 اولاً فهو القارع. وقال ابوداود قلت لابي عبد الله فى القرعة يكتبون

رقاعا قال ان شاؤا رقاعا وان شاؤا خواتيمهم . وقال ابو منصور قلت لاحد كيف يقرع قال بالخاتم وبالشئ . وقال اسحق بن راهويه في القرعة يؤخذ عود شبيه بالقدح فيكتب عليه عبد وعلى الآخر حر . وقال بكر بن محمد عن ابيه سألت ابا عبد الله كيف تكون القرعة قال ياتي خاتم . وعن الاثرم قلت لابي عبد الله كيف القرعة فقال سعيد بن جبير يقول بالخواتيم اقرع بين اثنين في ثوب فاخرج خاتم هذا وخاتم هذا قال ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع الى رجل فيخرج منها واحدا قلت لابي عبد الله فان مالكا يقول تكتب رقاع وتجعل في طين قال وهذا ايضا . وقيل لابي عبد الله ان الناس يقولون القرعة هكذا يضم الرجل اصابعه الثلاث ثم يفتحها فانكرها وقال ليست هكذا انتهى . ومن احب الوقوف على تفصيل هذا البحث ومعرفة مواضع القرعة فعليه بهذا الكتاب فان فيه الكفاية . وعند الحكومة اليوم للقرعة طريق آخر فانهم يستعملونها في بعض الامور لاجابة لنا الى بيانها . والله مدبر الامور .

(ومن مذاهب العرب المشهورة النسبي)

اعلم ان سني العرب كانت موافقة لسني الفرس في الدخول والانسلاخ فحدث في احوالهم انتقالات فسد عليهم بها الكبس الى اوان السنة السادسة من ملك اغسطس . وذلك بعد ذى القرنين بمائتين وثمانين سنة واربعين يوما فسئوا كبس الربيع من اليوم في كل سنة

فصارت سنوهم بعد ذلك الوقت محفوظة المواقيت . ويقال ان العرب كانت في جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لا تكبس سنيها الى ان جاورتهم اليهود في يثرب فاراد العرب ان يكون حجهم في اخصب وقت من السنة واسهلها للتردد في التجارة ولا يزول عن مكانه فتعلموا الكبس من اليهود . ويقال ان عمرو بن لحي الخزاعي اول من نسا الشهور وبحر البحيرة وسيب السائب ووصل الوصيلة وحمى الحام واول من دعى الناس الى عبادة الاصنام وقد سبق تفصيل ذلك على اتم وجه . ومعنى النسي تأخير حرمة شهر الى آخر . واصله من نسات الشيء اذا اخرته فانهم يعتقدون ان من الدين تعظيم الاشهر الحرم وهي اربعة محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة فكانوا يخرجون فيها من القتال . وكانت قبائل منهم يستبجونها فاذا قاتلوا في شهر حرام حرموا مكانه شهراً آخر من اشهر الحل ويقولون نسي الشهر فيستحلون المحرم ويحرمون صفراً فان احتاجوا ايضاً احلوه وحرّموا ربيعاً الاول . وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الاشهر المعلومة . وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حراماً ايضاً . ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة وكان يختلف وقت حجهم لذلك . وكان في السنة التاسعة من الهجرة التي حج

بها ابو بكر رضى الله تعالى عنه بالناس في ذى القعدة . وفي حجة
الوداع في ذى الحجة وهو الذى كان على عهد ابراهيم عليه السلام ومن
قبله من الانبياء عليهم السلام . ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة
اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة
والحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . زعم يوسف بن
عبد الملك في كتابه تفضيل الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في شهر مارس . وهو آذار وهو برمهات
بالقبطية وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل والمراد
بالزمان السنة . ومعنى كهيئته اى استدار استدارة مثل حاله الاولى .
والمراد باستدارته وقوع تاسع ذى الحجة في الوقت الذى حلت فيه
الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار . وازداد رجب الى
مضر لانهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال ان ربيعة
كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل في رجب وشعبان
ما ذكر في المحرم وصفر فيحلون رجياً ويحرمون شعبان . ووصفه بكونه
بين جمادى وشعبان تأكيداً . وفي رواية انهم كانوا يحججون في كل
شهر عامين فحججوا في ذى الحجة عامين وفي المحرم عامين . وهكذا
ووافقت حجة الصديق في ذى القعدة من سنتهم الثانية . وكانت حجة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الوقت الذى كان من قبل ولذا

قال ماقال . وحكى ابن اسحق صاحب السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام ان اول من نسا الشهور على العرب واحل منها ما احل وحرم ما حرم القلمس وهو حذيفة بن ققيم بن عامر بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ثم قام على ذلك بعده ولده عباد ثم قام بعد عباد ابنه قلع ثم قام بعد قلع ابنه امية ثم قام بعد امية ابنه عوف ثم قام بعد عوف ابنه ابو ثمامة حياذة وعليه قام الاسلام فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت عليه بمنى فقام فيها على جبل عند جرة العقبة . وقال باعلى صوته اللهم انى لااعاب ولا اخاب ولا مرد لما قضيت اللهم انى احللت شهر كذا ويذكر شهراً من الاشهر الحرم وقع اتفاقهم على شن الغارة فيه وانساته الى العام القابل اى اخرت تحريمه وحرمت مكانه شهر كذا من الاشهر البواقى فكانوا يخلون ما احل ويحرمون ما حرم . وفى رواية عن الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت انا الذى لااعاب ولا اخاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان يذسهم شهراً يغزون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا . وعن الضحاك انه جناذة بن عوف الكنانى وكان مطاطا فى الجاهلية وكان يقوم على جبل فى الموسم فينادى باعلى

صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه . ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه . واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت النساء حتى من بنى مالك بن كنانة وكان آخرهم رجلا يقال له القلس وهو الذى انسا المحرم وكان ملكا في قومه . وانشد شاعرهم (ومنا ناسي الشهر القلس) وقال عمير بن قيس احد بنى فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة يفخر بالنساء على العرب . ويروى ان القائل الكمي .

لقد علمت معد ان قومي * كرام الداس ان لهم كراما
فاي الناس فاتونا بوتر * واي الناس لم نملك لجاما
ونحن الناسون على معد * شهور الحل نجملها حراما
« وقال آخر »

اتزعم اني من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسي يمشون تحت لوآئه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم
وفي القاموس ان الناسي كان يقول اللهم اني ناسي الشهور وواضعها
مواضعها ولا اعاب ولا اخاب اللهم اني قد احللت احد الصفرين
وحرمت صفر المؤخر وكذلك في الرجيين يعني رجب وشعبان انفروا
على اسم الله وذلك قوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر . وحكى
السهيلي في الروض الالنف ان نسي العرب كان على ضربين . احدهما
تأخير شهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات

والثاني تأخير الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه في كل عام احد عشر يوماً حتى يدور الدور فيه الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته . فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة حج بالناس ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فوافق حجه في ذى القعدة ثم حج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في العام القابل فوافق عود الحج الى وقته في ذى الحجة كما وضع اولاً فلما قضى حجه خطب فكان مما قال في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث يعنى ان الحج قد عاد في ذى الحجة . وقال العسقلاني في فتح الباري كانت العرب في الجاهلية على انحاء . منهم من يسمى المحرم صفرأ فيحل فيه القتال ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم . ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا . ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا . ومنهم من يؤخر صفر الى ربيع الاول وربيعاً الى مايليه . وهكذا الى ان يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة . ثم يعود فيعيد المدد على الاصل انتهى . وقد استنبط بعض العلماء دليلاً على ان مواقيت الحج لا يجري على حساب السنة الشمسية الذي كانت الجاهلية تعتمد من قوله سبحانه يسألونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج فانه جل شأنه خص الحج بالذكر دون غيره من العبادات الموقنة بالاوقات تأكيداً لاعتباره بالالهة . وما احسن ما فصل ابو اسحق الصابي بين السنة الشمسية والقمرية بما يختص به

كل واحدة منهما دون الاخرى . فقال واما العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية . وورثها ثمرات مساعيها المنعثة . واجرى شهر صيامها . ومواقيت اعيادها . وزكوة اهل ملتها . وجزية اهل ذمتها . على السنة الهلالية وتعبدتها فيها برؤية الهلال ارادة منه ان يكون مناهجها واضحة . واعلامها لاثمة . فيتكافى في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص والعام . والناقص الفطنة والتام . والذكر والاُنثى وذوالصغر والكبر . فحينئذ يجيئون في سنى الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الاراضى الممسوحة ويحسبون في سنة الهلال الجوالى والصدقات . والارحاء والمقاطعات . وسائر مايجرى على المشاهرات انتهى . ومن النصوص الواردة في ابطال النسيء قوله عز اسمه ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين . انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين . وما سبق من الكلام يوضح معنى الآية والدين القيم المستقيم . وهو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثته منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم حتى ان الرجل ياتى فيها قاتل ابيه واخيه فلا يمجبه ويسمون رجب

الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسي فغيروا . والمراد بظلم
الانفس فيهن هتك حرمتن وارتكاب ما حرم فيهن . ومعنى كون
النسي زيادة في الكفر الذى هم عليه لانه تحريم ما احل الله تعالى
وقد استحلوه واتخذوه شريعة وذلك كفر ضموه الى كفرهم . وقيل
لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه . وقيل انه معصية ضمت
الى الكفر وكما يزداد الايمان بالطاعة يزداد الكفر بالمعصية . ومعنى
ليواطوا عدة ما حرم الله ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة
اى فعلوا ما فعلوا لاجل موافقة ذلك ففعلوا ما حرم الله بخصوصه
من الاشهر المعينة . والحاصل انه كان الواجب عليهم العدة والتخصيص
فحيث تركوا التخصيص فقد استعملوا ما حرم الله كل ذلك اتباعا لشهوات
انفسهم . وطالبا لزيد راحتهم وانفسهم .

(الشهور العربية وماخذ اسمائها)

الشهور العربية قسمان قسم غير مستعمل وهو الذى وضعته
العرب العاربة . وقسم مستعمل وهو الذى وضعته العرب منها بالاسم
الذى وضع له عند استهلال هلاله . فاما القسم الغير المستعمل فاسماء
شهور كانت العرب العاربة اصطحواعليها وهى مؤتمرونا جروحوان بالحاء
المهملة والحاء المعجمة وصوان ويقال فيه ربصان وزبى وايدة والاصم
وعاذل وناطل وواغل وورنه وبرك . وفى هذه الاسماء خلاف عند
اهل اللغة . فان منهم من يقول هى نانق ونقيل وطليق واسنخ وانخ وحلك

وكسح وزاهر ونوط وحرف وبغش . فئاتق هو المحرم ونقىل هو صفر
وهكذا ما بعده على سرد الشهور . وكانت تمود تسميها موجب ومو جر
ومور وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وذيمر ودابر وحيقل
ومسيل فموجب هو المحرم ومو جر صفر الا انهم كانوا يبدؤن بالشهور
من ديمر وهو شهر رمضان فيكون اول شهور السنة عندهم . وبعض
اولئك العرب يسميها بالاسماء الاول مع مغايرة يسيرة . ويقول هي
مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا والاصم وعادل وبائق
ودعل وهواع وبرك . ومعنى المؤتمر انه ياتمر بكل شئ مما تأتى به
السنة من اقصيتها . وناجر من النجر وهو شدة الحر . وخوان على
وزن فعال من الخيانة . وصوان بكسر الصاد وضعا فعال من الصيانة
والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه . ومنهم
من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم داغل
وباطل وعادل وورنه وبرك . فالباثد من القتال اذ كان ييد فيه كثير
من الناس . وجرى المثل بذلك فقالوا العجب كل العجب بين جمادى
ورجب . وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغارات قبل
رجب فانه شهر حرام . ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه
عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح . والواغل الداخل على شرب
ولم يدعو . وذلك لانه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر
رمضان شربهم الخمر لان الذي يتلوه هي شهور الحج . وباطل هو مكيال

الحرم سمي به لافراطهم فيه بالشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال .
واما العادل فهو من العدل لانه من اشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه
عن الباطل . واما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب الحرم . واما
برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر . وقد روى انهم كانوا يسمون
الحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول نصار وربيع الاخر خوان
وجمادى الاولى حتن وجمادى الاخرى الرنه ورجب الاصم وهو
شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتميز
اهلها وكان يأمن بعضهم بعضاً فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون
وشعبان عادل ورمضان نائق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو
الحجة برك ويقال فيه ايضاً ابروك وكانوا يسمونه الميمون (واما القسم
المستعمل) فالحرم وصفر وربيعان وجماديان ورجب وشعبان ورمضان
وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه الاسماء وضعت على هذه الشهور
باتفاق حال وقعت في كل شهر منها فسمى ذلك الشهر بها عند ابتداء
الوضع فسموا الحرم محرماً لانهم كانوا يغيرون فاتفق ان اغاروا في هذا
الشهر فلم ينجعوا فحرموا القتال فيه فسموه محرماً وسموا صفرأ لصفر
بيوتهم فيه منهم عند خروجهم الى الغارات . وقيل لانهم كانوا يغيرون
الصفرية وهي بلاد . وشهر ربيع لانهم كانوا يخصيرون فيها بما اصابوا
في صفر والربيع الخصب . وقيل غير ذلك والذي ذكره اليق بالتعليل
حكاه ابن النحاس في كتاب صناعة الكتاب وجماديان من جدد الماء

لان الوقت الذي سمي بهذه التسمية كان الماء جامداً . ورجب لتعظيمهم له والترجيب التعظيم وقيل رجب لانه وسط السنة مشتق من الرواجب وهي انامل الاصبع الوسطى . وقيل ان العود رجب النبات فيه اى اخرجته فسمى بذلك . وكذلك تشعب العود في الشهر الذي ياليه فسمى شعبان . وقيل سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات . وسمى رمضان اى شهر الحر مشتق من الرمضاء وقد صادف ذلك وقت التسمية . وشوال من شالت الابل اذ نابها اذا حالت او من شال يشول اذا ارتفع وذوالقعدة لعودهم فيه عن القتال اذ هو من الاشهر الحرم وذوالحجة لان الحج اتفق فيه فسمى به . ويقال ان اول من سماها بهذه الاسماء كلاب بن مرة . ومن مجموع هذه الاشهر اربعة حرم ثلاثة سرد وهي ذوالقعدة وذوالحجة والحرم . وواحد فرد وهو رجب مضر على الاضافة لان ربيعة كانت تحرم رمضان وهذا الترتيب رواه الاصمعي عن العرب . واختار غيره ان يبدأ في العدد بالحرم ثم رجب وذى القعدة وذى الحجة لتكون الاربعة كلها معدودة في سنة واحدة . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه . وابدى بعضهم لترتيب الاشهر الحرم على هذا الوجه مناسبة لطيفة حاصلها ان للاشهر الحرم منزلة على ما عداها تناسب ان يبدأ بها العام وان تتوسطه وان تختتم به . وانما كان الحتم بشهرين لوقوع الحج ختام الاركان الاربعة لانها تشتمل على عمل مال محض وهو الزكوة وعمل بدن محض

وذلك تارة يكون بالجوارح وهو الصلوة. وتارة بالقلب وهو الصوم
لانه كف عن المفطرات . وتارة عمل مركب من مال وبدن وهو
الحج فلما جاءهما ناسب ان يكون له ضعف مال واحد منها فكان له من الاربية
الحرم شهران . وكانوا يعظمون هذه الاشهر ويحرمون القتال فيها
حتى ان الرجل منهم لو اتي قاتل ابيه او قاتل اخيه لم يكلمه . وهم
يعظمون اول يوم من رجب او فر تعظيم حسبا يخاطر بالبال . ومن
سنتهم فيه ان يصالح بين من كان بينه وبين غيره موجدة . ومن هذه
الاشهر اربعة لا تكاد العرب تنطق بها الا مضافة وهي شهر ربيع
وشهر رجب وشهر رمضان . والاشهر المتفقة او آئلهما المحرم مثله
شوال . صفر مثله رجب . ربيع الاول مثله ذوالحجة . ربيع الاخر
مثله رمضان . جمادى الاخرة مثله ذوالقعدة . والشهور الغير المتفقة
جمادى الاولى وشعبان والله ولى التوفيق وهو المستعان . وقد اوردنا
من افعالهم واعمالهم التى جها الاسلام وابطلها الشرع المحمدى ما فيه
الكفاية فى هذا المقام . واما استيعابها فيحتاج الى كتب مفصلة ويكفى
من القلادة ما لحاظ بالجيد . ومن تتبع كتب المتقدمين . وشروح
دواوين الجاهليين . امكنه ان يقف على اكثر مما ذكرنا .

(ذكر ما كان للعرب فى الجاهلية من العلوم والمعارف)

قد اسلفنا فى اوائل الكتاب ان العرب كانوا على اقسام مختلفة .
واصناف متغايرة . وان البائدة منهم كعاد وثمود وطسم وجديس

الى غير ذلك من الامم قد انقروا وانقطعت عنا اخبارهم وتفاصيل
احوالهم . وان غير البائدة وهم موضوع الكتاب قد تفرعوا
من عدنان وقحطان . اما قحطان وهم عرب اليمن فند كانوا على احسن
ما يكون من المدن والغالب منهم سكن البلاد المعمورة . وبنوا القصور
المشهورة . وشيدوا الحصون المذكورة . وكانت لهم مدن عظيمة
قد شرح حالها اهل الاخبار على ام وجه . هذه سببا قد ذكرها الله
تعالى في كتابه الكريم فقال عز اسمه . لقد كان اسبا في مسكنهم آية
جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور . وكان لهم ملوك واقبال دوخوا البلاد واستولوا على كثير
من اقطار الارض كل ذلك يدل على كمال وقوفهم على العلوم التي
لا بد منها في حفظ النظام وعليها مدار المعاش والانتعاش وسياسة المدن
وتدبير المنزل والجيش وتأسيس المدن واجراء المياه وغير ذلك مما
لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة وكانت لهم اديان مختلفة وقد
ارسل الله تعالى لهم من بلغهم ما اراد من الاوامر والاحكام فامن
من آمن وكذب من كذب كحال كثيرهم من الامم وكانت لهم اليد
الطولى في كثير من الصناعات وكان للتبابعة والجباية منهم مذاهب
في احكام النجوم وغيرها كل ذلك من المسلمات التي لا يمكن لاحد
التوقف في قبولها ولا التردد في الاذعان لها وقد نطق متواتر الاخبار
الصحيحة بها . واما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد

ان فرقهم حادثة سيل العرم . فكانوا على شريعة موروثه وعلم منزل
من السماء وهو ما جاء به ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى ان اخل
امرهم . وتغير حالهم . بمرور العصور . وتطاول الدهور . فاهملوا
ما كانوا عليه من الدين . وتركوا سديد القوانين . ودانوا بما وضع
لهم الخزاعي وابتدعه لاغوائهم من الاحكام الباطلة واقتدوا باقواله
وافعاله . فمن ذلك اليوم فشا الجهل بينهم وقل العلم فيهم واضاعوا
صنائعهم وتشتتوا في الاطراف والاكنايف . ووقع التنازع والتشاجر
بين القبائل وتكاثرت البغضاء بينهم . فلم يبق عندهم علم منزل ولا
شريعة موروثه من نبي ولاهم ايضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية
المحضنة كالطب والحساب ونحوها انما علمهم ماسمحت به قرائنهم
من الشعر والخطب او ما حفظوه من النسابهم وايامهم او ما احتاجوا
اليه في دنياهم من الانواء والنجوم او من الحروب ونحو ذلك . وكانوا
يقال لهم الامة الامية قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين . فان المراد من الاميين العرب والامى منسوب
الى امة العرب . ولما كانت علومهم الفطرية ومعارفهم الطبيعية . مما
تدل على حدة اذهانهم . وقوة فطنتهم وكال استعدادهم وانها تدل
على انهم فاقوا على غيرهم . احييت ان اذكر نبذة منها مع تعريفها
وتوضيحها وبيان ما يناسب من الاخبار التي صحت بها الرواية . وثبتت

عن الثقة من اهل الدراية .

(فن علومهم علم الشعر والقريض)

اعلم ان الشعر اكثر علم العرب . واوفر حظوظ الادب .
واحرى ان تقبل شهادته . وتمثل ارادته . قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان من الشعر لحكمة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه نعم ما تعلمته العرب الايات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته
فيستنزل بها الكريم . ويستعطف بها الاثيم . مع ما للشعر من عظم
المزية . وشرف الابية . وعز الانفة . وسلطان القدرة (وفي عمدة ابن
رشيقي) العرب افضل الامم . وحكمتها اشرف الحكم . كفضل اللسان
على اليد . والبعد من امتهان الجسد . اذ خروج الحكمة عن الذات .
بمشاركة الآلات . فانه لا بد للانسان من ان يتولى ذلك بنفسه .
او يحتاج فيه الى آلة او ممين من جنسه . وكلام العرب نوطان منظوم
ومشور ولكل نوع منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديّة .
فاذا اتفق الطبقتان في القدر وتساويا في القيمة ولم يكن لاحدهما فضل
على الاخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لان كل منظوم
احسن من كل مشور من جنسه في معترف العادة . الا ترى ان الدر
وهو اخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه اذا كان مشوراً
لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب . ومن اجله انتخب .
وان كان اعلى قدراً واعلى ثمناً فاذا نظم كان اصون له من الابتذال .

واظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال . وكذلك اللفظ اذا كان منشوراً
تبدد في الاسماء . وتخرج عن الطباع . ولم يستقر منه الا المفرطة
في اللفظ وان كانت اجمله . والواحدة من الالف وعسى ان لا تكون
افضله . فان كانت هي اليتيمة المعروفة . والفريدة الموصوفة . فكم في سفظ
الشعر من امثالها ونظائرهما لا يعبأ به مثلاً ولا ينظر اليه . فاذا اخذ
سلك الوزن وعقدة القافية تألفت اشتاته . وازدوجت فرائده وبناته .
واتخذ اللابس جمالا . والمدخر مالا . فصار قرطة الاذان . وقلائد
الاعناق . واما في النفوس . واكاييل الرؤس . يقلب بالالسن ويحبا
في القلوب . مضونا باللب . ممنوعا من الرقة والغصب . وقد اجتمع الناس
على ان المنشور في كلامهم اكثر واقل جيداً محفوظاً . وان الشعر اقل
واكثر جيداً محفوظاً لان في ادناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب
جيد المنشور . وكان الكلام كله منشوراً . فاحتاجت العرب الى
الفناء بمكارم اخلاقها . وطيب اعراقها . وذكر ايامها الصالحة
واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسحائبها الاجواد . آهت
انفسها الى الكرم . وتدل ابنائها على حسن الشيم . فتوهموا
اعاريض جعلوها . وازين الكلام . فلما تم لهم وزنه سموا شعراً لانهم
قد شعروا به اى فطنوا . وزعم الرواة ان الشعر كله انما كان رجزاً
ارقطعاً وانه انما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف . وكان اول
من قصده مهلهل وامروء القيس . وبينهما وبين محيى الاسلام مائة

ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجهمي وغيره . واول من طول
الرجز وجعله كالقصيد الاغلب الجلي شيئاً يسيراً وكان على عهد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم اتى الهجاج فافتن فيه . فالاغلب
الجلي والهجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد . وسئل
ابوعمر وابن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم ليسمع منها . قيل
هل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها . ويستحب عندهم الاطالة عند
الاعذار والانداز والترغيب والترهيب والاصلاح بين القبائل كما فعل
زهير والحارث بن حلزة ومن شابههما . والا فالقطع اطير في بعض
المواضع والطوال للمواقف المشهورة

(احتفاء القبائل بشعرائها)

ومن مذاهب العرب ان القبيلة منهم كانت اذا نبغ فيها شاعر
اتت القبائل فهنأته بذلك وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن
كما يصنعن بالاعراس وتبششوا به لانه حماية لاعراضهم وذب
عن احسابهم وتخايد لمأثرهم . واشادة لذكورهم . وكانوا لا يهتؤن الا
بغلام يولد او فرس تنج او شاعر ينبغ فيهم . فمن حمى قبيلته زياد
الانجم . وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً
وهو منهم فبعث اليه لانه لا تجل فاني مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق
المهدية فجاءه من عنده هجوه وهو هذا .

ماترك الهاجون لي ان هجوتهم * مصححاً اراه في اديم الفرزدق

ولا تركوا عظماً يرى تحت لحيه * لكاسره ابقوه للمتعرق
ساكسر ما ابقوا له من عظامه * وانك مخ الساق منه فانتقى
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا * لكالبحر مهادلق في البحر يفرق
فلما بلغت الابيات كف عما اراده وقال لاسبيل الى هجاء هؤلاء
ماعاش هذا فيهم. وهجا ابن الزبير السهمي بنى قصي فدفعوه برمه
الى عتبة بن ربيعة خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً
مفلقاً شديد المارضة قذع الهجاء. فلما وصل عبد الله بن الزبير
اليهم اطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساء. فقال عبد الله.

لعمرك ما جئت بنكر عشيرتي * وان صالحت اخوانها لا الوما
فودّ جناة الشر ان سيوقنا * بايماننا مسالوة مانشيها
فان قصيا اهل عزّ ومنجدة * واهل فعال لا يرام قديمها
هم منعوا يومى عكاظ نساؤنا * كما منع الشول الهجان فزومها
وكان الزبير غائباً بالطائف فلما وصل الى مكة وبلغه الخبر قال.

فلولا نحن لم يابس رجال * ثياب اعزة حتى يموتوا
ثيابهم سمال او طمار * بها رسم كما رسم الحيت
ولكننا خلقنا اذ خالقنا * لنا الحبرات والمسك الفتيت
والاخبار في هذا الباب. لا يحيط بها الاستقصاء والحساب. وقد عمل
بهذا المذهب الى صدر الاسلام. ولولا خوف التطويل لاوردنا
شيئاً من ذلك في هذا المقام.

(تنقل الشعر في القبائل)

ذكر ابو عبدالله محمد بن سلام الجعفي في كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين ان الشعر كان في الجاهلية في ربيعة . وكان منهم مهلهل ابن ربيعة واسمه عدى . وقيل امرؤ القيس وسمى . مهلهلا لهلهمة شعره اى رفته وخفته وقيل لاختلافه . وقيل بل سعى بذلك لقوله . لما توكل في الكراع شريدهم * هلهمت اثار جابرا اوصنبلا ويروى (لما توعر في الكلاب هجينهم) قال ابو سعيد الحسن بن الحسين يعنى بقوله امرأ القيس بن حمام الذى ذكره امرؤ القيس في شعره حيث يقول .

عوجا على الطلل المحيل لاننا * نبكى الديار كما بكى ابن حمام وكان مهلهل تبعه يوم الكلاب فقاته ابن الحمام بمد ان تناوله بالرمح وقد كان ابن الحمام اغار على بنى تغلب مع زهير بن خباب فقتل جابرا وصنبلا . وروى لاننا بمعنى لعلنا وهى لغة فيما زعم بعض المؤلفين . وكان مهلهل اول من قصد القصائد . قال الفرزدق (ومهلهل الشعر آ ذاك الاول) وهو خال امرئ القيس بن حجر وجد عمرو بن كاثوم لأمه . ومنهم المرقشان والاكبر منهما عم الاصغر والاصغر عم طرفة ابن اليبس واسم الاكبر عوف بن سعد وعمرو بن قبيصة ابن اخته . ويقال انه اخوه . واسم الاصغر حرمة وقيل ربيعة بن سفيان وهذا اعرف . ومنهم سعد بن مالك الذى يقول .

يابؤس للحرب التي وضعت * اراھط فاستراحوا
وطرفة بن العبد بن سفيان وعمرو بن قميثة والحارث بن حلزة والمتلس
وهو خال طرفة . واسمه جرير بن عبد المسبح والاعشى واسمه ميمون
ابن قيس بن جندل . وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير
(ثم تحول الشعر في قيس) فمنهم النابتان وزهير ابن ابي سلمى وابنه
كعب لانهم ينسبون في بني عبد الله بن غطفان . واسم ابي سلمى . ربيعة
وابيد والحطيئة والشماخ واسمه معقل بن ضرار واخوه مزرد واسمه
جزء ابن ضرار . وقيل يزيد وجزء وكان مزرد شريراً يهجو ضيوفه
وهجا قومه عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال .

تعلم رسول الله انا كائننا * افانا بانمار ثعالب ذي فحول
تعلم رسول الله لم ار مثلهم * اجر على الادنى واحرم للفضل
الفحول الماء القليل على الارض لا عمق له جمعه افحول . ومنهم خداش
ابن زهير وكان له السبق في الشعر في وقته (ثم استقر الشعر في تميم)
ومنهم اوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية ولم يتقدمه احد منهم
حتى نشأ النابتة وزهير فاخلاه وبقى شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع
وكان الاصمعي يقول اوس اشعر من زهير ولكن النابتة طأطأ منه
وكان زهير راوية اوس . وكان اوس زوج ام زهير . وسئل حسان
ابن ثابت من اشعر الناس فقال رجلا ام حيا قال حيا فقال اشعر الناس
حيا هذيل . وقال ابن سلام الجمحي . واشعر هذيل ابو ذؤيب غير

مدافع. وقال الاصمعي قال ابو عمرو بن العلاء افصح الناس لسانا
واعربهم اهل السروات وهن ثلاث وهن الجبال المطلة على تهامة
بما يلي اليمن فاولها هذيل وهي تلى السهل من تهامة ثم بحيلة السراة
الوسطى. وقد شركتهم ثقيف في ناحية اخرى منها ثم سراة الازد
ازد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد وقال
ابو عمرو افصح الناس عليا تميم وسفي قيس. وقال ابو زيد افصح الناس
سافلة العالية وعالية السافلة يعني عجز هوازن قال ولست اقول قات
العرب الا ما سمعت منهم والا لم اقل قات العرب. واهل العالية اهل
المدينة ومن حولها ومن يليها ومن دنا منهم ولغتهم ليست بتلك عندهم
وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن في الجاهلية بامرئ القيس وفي الاسلام
بحسان بن ثابت. وفي المولدين بابي نواس واصحابه مسلم بن الوليد وابي
الشيخ ودعبل كاهم من اليمن. وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين ابوتمام
والبحترى ويختمون الشعر بابي الطيب وهو خاتم الشعر آء لاحالة وكان
ينتسب في كندة وهي رواية ضعيفة. وانما ولد في كندة بالكوفة فيما
حكاه ابن جني. والا فيكان غامض النسب فيقولون بدى الشعر بكندة
يعنون امرأ القيس وختم بكندة يعنون ابا الطيب. وزعم بعض
المتأخرين انه جعفي. وقوم منهم صاحب بن عباد يقولون بدى الشعر
بملك وختم بملك. يعنون امرأ القيس واما فراس الحارث بن سعيد
ابن حمدان. وقال آخرون بل رجع الشعر الى ربيعة فغتم بها كما

بدى بها يريدون مهلهلا واباقراس واشعر اهل المدر باجماع من الناس
 حسان بن ثابت . وقال ابو عمرو بن الملاء ختم الشعر بذي الرمة والرجز
 بروبة بن الهجاج . وزعم يونس ان الهجاج اشعر اهل الرجز والقصيد
 قال وانما هو كلام واجودهم كلاما اشعرهم . وان الهجاج ليس
 في شعره شيء يستطيع احد ان يقول لو كان مكانه غيره كان اجود وذكر
 انه صنع ارجوزته (قد جبر الدين الآله فجير) فيها نحو مائتي بيت وهي
 موقوفة مقيدة . قال ولو اطاعت قوافيها وتباعد فيها الوزن كانت
 منصوبة كلها . وقال ابو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين
 والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب او شاتم او فاخر حتى كان الهجاج اول
 من اطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها
 ووصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة كما فعل الشعر آء
 بالقصيد . وكان في الرجاز كأمري القيس في الشعر آء . وقال غيره
 اول من طول الرجز الا غلب الجلي وهو قديم . وزعم الجمعى وغيره
 انه اول من رجز وما اظن ذلك صحيحاً الا انه انما كان على عهد رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نجد الرجز اقدم من ذلك . وكان
 ابو عبيدة يقول اقتع الشعر بأمري القيس وختم بابن هرمة ولم ار
 انفذ من الذي قال اشعر الناس من انت في شعره .

(انفة شعر آء العرب من التكبب بالشعر)

كانت العرب لا تكبب بالشعر وانما يصنع احدهم ما يصنع فكاكة

او مكافاة عن يد لا يستطيع على اداء حقها الا بالشكر اعظاما لها .
 قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بني تيم رهط المعلى .
 اقر حشى امرى القيس بن حجر * بنو تيم مصايح الظلام
 لان المعلى اجاره حين طابه المنذر بن ماء السماء فليل لبني تيم مصايح
 الظلام بيت امرى القيس . وقال ايضا لسعد بن الضباب .
 سأجزيك الذى دافمت عنى * وما يجزيك عنى غير شكرى
 فاخبره ان شكره هو الغاية في مجازاته . حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح
 الملوك وقبل الصلة على الشعر . وخضع للنعمان بن المنذر وكان
 قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته او من سار اليه من ملوك
 غسان فسقطت منزلته وكسب مالا جزيلا حتى كان اكله وشربه
 في صحاف الذهب والفضة واوانيها من عطايا الملوك . وتكسب زهير
 ابن ابي سلمى يسيراً مع هرم بن سنان . فلما جاء الاعشى جعل الشعر
 متجراً يتجر به نحو البلاد وقصد حتى ملك الحزم فاثابه واجزل عطيته لعله
 بقدر ما يقول عند العرب واقتدآ بهم فيه على ان شعره لم يحسن عنده
 حين فسر له بل استخف به واستهجنه لكنه حذا حذو ملوك العرب . واكثر
 العلماء يقولون انه اول من سأل بشعره وقد علمنا ان النابغة اسن منه واقدم
 شعرا وقد ذكر عنه بالتكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر ما فيه قبح
 من مجاعة الحاجب ودس الندماء على ذكره بين يديه وما اشبه ذلك .
 وذكر ان ابا عمرو بن العلاء سئل لم خضع للنعمان النابغة قال رغب

في عطاياء وعصافيره . واما زهير ابن ابى سلمى فما بلغ الطائي قط
 معرفة باجتهاد من يمدحه ويدلك على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضى
 الله تعالى عنه لابنة زهير حين سألها ما فعلت حلال هرم بن سنان
 اتى كساها اباك قالت ابلاها الدهر قال لكن ما كسا ابوك هرما لم يبله
 الدهر . وقال لبعض ولد هرم بن سنان انشدنى ما قال فيكم زهير
 فانشدته فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن قال يا امير المؤمنين انا كنا
 نعطيهِ فنجزل قال ذهب ما اعطيتوه وبقي ما اعطاكم . ثم ان الخطيئة اكثر
 من السئوال بالشعر والمخطاط الهمة فيه حتى مقت وذل اهله وهلمجرا
 الى ان حرم السائل وعدم المسؤل . واما اكثر من تقدم فالغالب على
 طباعهم الاتفة من السئوال بالشعر وقلة التعرض به لما في ايدي الناس
 الا فيما لا يزرى بقدر ولا مروءة مثل الفاتة النادرة . والمهمة العظيمة .
 واهذا قال عمر رضى الله تعالى عنه نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر
 يقدمها الرجل امام حاجته . الا ترى ان ليلى بن ربيعة لما بعث اليه
 الوليد بن عتبة مائة من الابل ينحرها لعادته عند هبوب الصبا وقد
 اسن واقل . وكان يطعم الناس ما هبت الصبا قال لبنته اشكرى هذا
 الرجل فاني لا اجد نفسى واقد ارانى لا اعى بجواب شاعر فقالت .

اذا هبت رياح ابى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
 اغر الوجه ابيض عبشما * اعان على مروءة اييدا
 بامثال الهضاب كأن ركبا * عاها من بنى حام قعودا

ابا وهب جزاك الله خيراً * نحرناها واطعمنا الثريدا
 فعد ان الكريم له معاد * وظنى يا ابن اروي ان تعودا
 وعرضتها عليه فقال اجدت لولا انك استعدت كرامة في قواها (فعد ان
 الكريم له معاد) و يروي لولا انك استزدت . وقالوا كان الشاعر في مبتدا
 الامر ارفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المأثر وشدة
 المعارضة وحماية العشيرة وتهميمهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا
 يقدم عليهم خوفا من شاعرهم على نفسه وقييلته فلما تكسبوا به وجعلوه
 طعمة وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه وعلى هذا
 المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطعموا اموال الناس وجشموا
 فخشعوا واطمأنت بهم دار الذلة الا من وقر نفسه وقارها وعرف
 لها مقدارها حتى قبض نقي العرض مصون الوجه ما لم يكن به اضطرار
 يحل الميتة فاما من وجد الكفاف والبلغة . فلا وجه لسؤاله بالشعر
 (ذكر نبذة من مآثر شعر آء العرب وغرر شعرهم)

قد كتبت في هذا المقام عند تأليف هذا الكتاب من اخبار شعر آء
 الجاهلية و احوالهم ما كفانا عنه كتاب الشعر والشعر آء لابن قتيبة
 وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن فاسقطته عند الطبع وتمعنت
 عنه بذكر ما انتقاه بعض الائمة من عيون الاشعار واحاسنها وفصوصها
 وفرآئدها والمختص من الامثال السائرة والمعاني النادرة والالفاظ
 الفاخرة في الفنون المتغايرة لسهرة الشعر آء وامر آء الكلام الحر

من لدن امرئ القيس ومن يابه من فحول الجاهليين ومن يتلوهم
من مفاقي المخضرمين وهلمجرا الى اعيان الاسلاميين وما اورده اكل
من المذكورين على اختلاف طبقاتهم وتباين درجاتهم امير شعره
وواسطة عقده ودره تاجه وغرة كلامه وبيت قصيده وفريدة قلادته
اي علم الناظر في كتابنا هذا ما كان عليه القوم من المنزلة الرفيعة فيما امتاز به
النوع الانساني عن غيره وما اتوه من الحكمة وفصل الخطاب
وما توفيق الا بالله .

(امرؤ القيس بن حجر الكندي)

هو امير الشعر آء بشهادة خير الانبياء وسيد الفصحاء صلوات
الله وسلامه عليه وذلك انه ذكر عنده يوما فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم (ذلك رجل مذكور في الدنيا منسى في الاخرة يحى يوم القيمة
وبسده لو آء الشعر آء يقودهم الى النار) فيروى ان كلا من اييد
وحسان بن ثابت قال ليت هذه المقالة في وانا المدهدى فيها فيقال
ان امير شعر امير الشعر آء قوله من قصيدة .

البر انجح ما طلبت به * والبر خير حقيقة الرجل

ومن امثاله السائرة قوله في القناعة والرضى باليسير عند تعذر الكثير قوله

اذا مالم يكن ابل فمزمى * كأن قرون حلتها العصي

فتملاً بيتنا اقطا وسمننا * وحسبك من غنى شيع وري

ومما يضاد هذه الحالة من بعد الهمة والسمو الى معالى الامور قوله .

فلوان ما سعى لا دنى معيشة * كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما سعى لجد مؤثّل * وقد يدرك المجد المؤثّل امثالى
« ومن امثاله السائرة »

وقاهم جدهم بنى ابيهم * وبالا شقين ماحل العقاب
« وقوله »

اراهن لا يجين من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا
الا ان بعد العدم للمرء قنوة * وبعد المشيب طول عمر وملبسا
« وقوله »

وقد طوفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنية بالاياب
« وقوله »

اذا المرء لم يخزن عايه لسانه * فليس على شئ سواء يخزان
« وقوله »

فانك لم يفخر عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغاب
وقوله (وجرح اللسان كجرح اليد) وقوله (ان الشقاء على الاشقين
مصوب) ومن قلائده الفاخرة قوله في وصف الفرس ولم يسبق اليه
ولم يلحق فيه .

مكر مفر . قبل مدير معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
له ايطلا ظي وساقا نعمة * وارضاء سرحان وتقريب تتقل
وقوله في طول الاليل واستعارة اوصافه من الجمل الناهض بالحمل الثقيل

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليتلى
 فقلت له لما تمطى بصلبه * واردف اعجازا وناء بكل كل
 الا ايها اليل الطويل الانجلي * بصبح وما الا صباح منك بامثل
 افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمت صرعى فاجل
 وان كنت قد سأتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
 وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى اعشار قلب مقتل
 لوقاله محدث فى الزمان الرقيق لاستظرف ذلك منه فكيف فى مثل ذلك
 الزمان . وهو اول من شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث قال
 فى وصف العقاب .

كان قلوب الطير رطباً ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى
 ويستجاد من تشبيهه قوله .

كان عيون الوحش حول خباثنا * وارحلتنا الجزع الذى لم يشقب
 وقد سبق الى اشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء
 من استيقافه محبه فى الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ .

(زهير ابن ابى سلمى)

هو احد الاربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على انهم اشعر
 العرب وهم امرؤ القيس وزهير والنابعة والاعشى . فاما الاختلاف
 فى تفضيل بعضهم على بعض فقام على ساق . وكان يقال اشعر الناس
 امرؤ القيس اذا ركب . وزهير اذا رغب . والنابعة اذا رهب . والاعشى

اذا شرب. وكان زهيرا جمع الناس لكثير من المعاني في القليل من الالفاظ واحسنهم تصرفا في المدح والحكمة ويقال ان ابياته في آخر قصيدته التي اولها .

امن ام آو في دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتلم

تشبه كلام الانبياء وهي احكم حكم العرب وهي .

ومن لا يصانع في امور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغتر بحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
« ومن امثاله السائرة »

وهل ينبت الخطى الا وشجه * وتغرس الا في منابتها النخل

« وقوله »

والستر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر

وما وقع الاتفاق على انه امدح بيت للجاهلية قوله .

تراه اذا ماجسته مهللا * كأنك تمطيه الذي انت سائله

قال ثعلب وهو ممن قدم زهيرا كان احسنهم شعراً وابعدهم من سخف واجمهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق واشدهم بالغة في المدح

واكثرهم امثالا في شعره . وقال ابن الاعرابي لزهير في الشعر ما لم يكن
اغيره كان ابوه شاعراً وخاله شاعراً واخته سلمى شاعرة واخته الخنساء
شاعرة وابناء كعب وبجير شاعرين وابن ابنة المضرب بن كعب شاعراً
وهو الذي يقول .

اني لا حبس نفسي وهي صابرة * عن مصعب ولقد بانت لي الطرق
رعوى عليه كما ارعى على هرم * جدى زهير وفينا ذلك الخاق
مدح الملوك وسعى في مسيرتهم * ثم القى ويد الممدوح تنطابق
وكعب هو ناظم قصيدة بانت سعاد في مدح الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم . قال ابن قتيبة وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره ويدل
على ايمانه بالبعث وذلك قوله .

يؤخر فيودع في كتاب فيدخر * ايوم الحساب او يجل فينقم
وقد شبه زهير امرأة بثلاثة اوصاف في بيت واحد فقال .

تنازعت المهاشبا ودرال * بحور وشابهت فيها الظباء

« ففسر ثم قال »

فأما ما فوق العقد منها * فمن ادماء مرتعها الخلاء

وأما المقتلان فمن مهاة * وللدرا الملاحاة والصفاء

وقال بهض الرواة لو ان زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى ابي

موسى الاشعري رضى الله تعالى عنهما ما زاد على ما قال .

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين او نفاة او جلاء

ينى يمينا او منافرة الى حاكم يقطع بالينات او جلاء وهو بيان وبرهان
يجلوه الحق وتنفع الدعوى . وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال
لابن زهير ما فعلت الحلل التي كساها هرم اباك قال ابلاها الدهر .
قال لكن الحلل التي كساها ابوك هرما لم يبلها الدهر . ويستجاد
قوله في هرم .

قد جعل المبتغون الخير في هرم * والسائلون الى ابوابه طرقا
من يلق يوما على علاته هرما * يلق السحابة فيه والندى خلقا
وروى ان زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وشقيها ويهذبها في سنة
وكانت تسمى قصائده حوليات زهير . وقد اشار الى هذا البها زهير
في قوله من قصيدة .

هذا زهيرك لازهير مزينة * واقاك لاهرما على علاته
دعه وحولياته ثم استمع * لزهير عصره حسن ليلياته
وكان رأى زهير في منامه في اواخر عمره ان آتيا اتاه فحمله الى السماء
حتى كاد يمسا بيده ثم تركه فهو الى الارض فلما احتضر قص رؤياه
على ولده كعب ثم قال انى لا اشك انه كائن من خبر السماء بعدى
فان كان فتمسكوا به وسارعوا اليه ثم توفي قبل المبعث بسنة . فلما بعث
صلى الله تعالى عليه وسلم خرج اليه ولده كعب بقصيدة بانت سعاد
واسلم . وروى ايضا ان زهيراً رأى في منامه ان سيئاته تدلى من السماء الى
الارض كان الناس يمسكونه وكلما اراد ان يمسكه تقلص عنه فاقوله بنى

آخر الزمان فانه واسطة بين الله تعالى وبين الناس وان مدته لا تصل الى زمن مبعثه . واوصى بنيه ان يؤمنوا به عند ظهوره .
(النابغة الذبياني)

واسمه زياد بن معاوية اتفقت الاراء على انه احسن الشعراء ديباجة شعر واكثر رونق كلام . وكان كلامه الكتاب ليس فيه تكلف ولا تعسف . ويقال ان اجود شعره ما اعتذره الى النعمان بن المنذر وامير ذلك قوله .

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع
ومن امثاله المشهورة قوله .

نبئت ان ابا قابوس اوعدني * ولا مقام على زار من الاسد
ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال يوما لجاسائه من القائل
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة * وايس وراة الله للمرء مذهب
ان كنت قد بلغت عني جناية * لمبلغك الواشى اشش واكذب
قلوا النابغة يا امير المؤمنين قال فهذا اشعر شعرائكم . وفي هذه
القصيدة بته السائر .

فلمست بمستيق اخلا بامه * على شعث اى الرجال المهذب
وبيته الفاخر .

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبدنهن كواكب
ومن قلائده قوله .

فان يك عامر قد قال جهلاً * فان مظنة الجهل الشباب

« وله في المهجاء »

وكننت امينه لو لم تحنه * واكن لا امانة لليمانى

« ومن امثاله السائرة قوله »

الرفق يمن والاناة سعادة * فاستأن فى امر تلاق نجاحا
والياس عما فات يعقب راحة * ولرب مطمة تعود ذباخا
فاستبق ودك للصديق ولا تكن * قبا. يعض بفارب ملحاحا
وسمى النابغة لقوله (فقد نبغت لنا منهم شئون) وقيل لانه لم يقل الشعر
حتى صار رجلا وقيل هو مشق من نبغت الحمامة اذا تغنت . وحكى ابن
ولاد انه يقال نبغ الماء ونبغ بالشعر فكأنه اراد ان له مادة من الشعر
لا تنقطع كمادة الماء النابغ .

(اوس بن حجر الاسدى)

قال ابو عمرو بن العلاء كان اوس فحل مضر حتى نشأ النابغة
وزهير فطأطأ منه . وكان زهير راوية اوس . ومن احسان اوس
المشهور فى قوله فى المراثية التى اولها .

ايتها النفس اجلى جزعا * ان الذى تخدرين قدوقعا

وليس للعرب مطلع قصيدة فى المراثية احسن من هذا البيت وبیت
القصيدة قوله .

الامى الذى يظن بك الظن * كأن قدرأى وقد سمعنا

« ومن امثاله السائرة قوله »

فانكما يا ابني جناب وجدتما * كمن دب يستخفي وفي الحلق جليل

« وقوله »

ولست بخافي لغد طعاما * حذار غد لكل غد طعام

(بشر ابن ابي حازم الاسدي)

من امثاله السائرة قوله :

الم تر ان طول العهد يسلي * وينسى مثلاً نسيت جذام

« وقوله »

يكن لك في قومي يد يشكرونها * وايدى الندى في الصالحين فروض

ومنه اخذ الناس قولهم « الايادى فروض » وقوله عند موته من ابيات

تسائل عن ايها كل ركب * ولم تعلم بان السهم صابا

فرجى الخير وانتظري اياي * اذا ما القارظ العزى آبا

وقضية القارظان مشهورة .

(الافوه الاودى)

كان احد الحكماء في الجاهلية ومن امثاله السائرة قوله .

انما نعمة قوم متعة * وحيوة المرء ثوب مستعار

وليالينه الال للقوى * ومدى قد تختليها وشفار

وصروف الدهر في اطباقه * خلفه فيها ارتفاع وانحدار

بينما اناس على عليائهم * اذ هووا في هوة منها قفاروا

« وقوله وفيه حكمة بالغة »

البيت لا يبتى الاعلى عمدا * ولا عمدا اذا لم ترس اوتاد
 فان تجمع اوتاد واعمد * وساكن بلغوا الامر الذي كادوا
 لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا
 اذا تولى سراة الناس امرهم * فما على ذلك امر القوم فازدادوا
 تهدي الامور باهل الرأي ما صلت * فان تولت قبلا شرار تنقاد
 امارة التي ان تلقى الجميع لدى * الابرام للامر والاذناب اكتاد
 كيف الرشاد اذا ما كنت في بقر * لهم عن الرشد اغلال واقاد
 اعطوا غواتهم جهلا مقسادتهم * فكلهم في جبال التي منقاد
 وهذه من ابغ الابيات .

(عبيد ابن الابرص)

هو جاهلي قديم . وكان من فحول العرب وشعر آثها المفلقين ومن
 امثاله السائرة قوله .

من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يجيب
 وكل ذي غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب
 « وقوله »

الحير يبقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما او عيت من زاد
 « وقوله »

الحير لا يأتى على عجل * والشر يسبق سيله مطره

(المرقش)

كان من مفااتي شعر آء الجاهلية ومن امثاله السائرة قوله .
 ومن يلق خيرا يحمد الناس امره * ومن يفو لا يعدم على النى لائما
 اخوك الذى ان اخرجتك ملة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجبا
 وليس اخوك الذى ان تشعبت * عليك امور ظل يلحك دائما
 (مهلهل واسمه ربيعة)

وهو اول من رقق الشعر فسمى مهلهلا ومن امثاله السائرة قوله وقد
 خطبت اليه بنته وهى فى دار غريبة .

لوبا بانين جاء يخطبها * خرج ما انف خاطب يفم
 « وقوله »

قربا مربط النعامة منى * لتحت حرب وائل عن حبال
 لم اكن من جناتها شهد الله * وانى بحربها اليوم صال
 « وقوله فى مرتبة اخيه كليب بن وائل »

نبئت ان النار بعدك ازقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس
 وتكلموا فى امر كل عظيمة * لو كنت شاهدا مرهم لم ينبسوا
 (الاسود بن يعفر)

غرة شعره قصيدته اتى اولها .

نام الخلى وما احس رقادى * والههم محتضر لدى وسادى
 وفيها ابيات سائرة يتمثل بها فى فناء السادة ومساكنهم الخاوية بعدهم .

ماذا اؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعثوا
ارض الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عابهم * بهاء الفرات يحى من اطواد
ارض تخيرها لطيب مقيدها * كعب بن مامة وابن ام دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميساد
واقعد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد
(طرفة ابن العبد)

هو اجود الشعر آة قصيدة وله بعد المعلقة شعر حسن وايس
عند الرواة من شعره وشعر عبيد الا القليل وقتل وهو ابن ست
وعشرين سنة وقتله عمرو بن هند احد ملوك الحيرة وقد ذكر القصة
ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعر آة وذكرها يعقوب بن السكيت
في شرح ديوانه باسط من ذلك . ويقال ان اول شعر قاله طرفة انه
خرج مع عمه في سفر فنصب فخاً فلما اراد الرجيل قال .

يا لك من قبرة بمجر * خلاك الجوف يضي واصفري
ونقري ان شئت ان تنقري * قد رفع الفخ فبادا تحذري
* لا بد يوما ان تصادي فاصبري *

ومن امثاله السائرة على وجه الدهر .

سبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتنيك بالاخبار من لم تزود

« ومن امثاله في ذم الاخلاء »

كل خليل كنت خالته * لا ترك الله له واضحته

كلهم اروع من ثعلب * ما شبه الليل بالبارحة

« ومن امثاله انساعة لعمر بن هند »

ابا منذر افيت فاستبق بمضنا * خانيك بمض الشرا هون من بعض

« وقوله »

قبيبت الامر الصغير كثيره * حتى تظل له الدماء تصب

« وقوله »

واعلم علماً ليس بالظن انه * اذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وان لسان المرء ما لم تكن له * حصاة على عوارته لدليل

(جرير بن عبد المسبح الشهير بالملتس)

هو شاعر مشهور وبليغ مذكور ومن امثاله السائرة قوله في الاحتياط .

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير على الفساد

وحفظ المال خير من بقاء * وجول في البلاد بغير زاد

« وقوله في الاغضاء عن ذنوب الاقرباء »

ولو غير اخوالى اراد وانقيصى * جعلت لهم فوق العرائن ميسما

وما كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له اخرى فاصح اجزما

« وقوله في الامتناع عن الذل . »

ولا يقيم على ذل يراد به * الا الاذلان غير الحى والنود

هذا على الحسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثي له احد
(علقمة بن عبدة)

من ضرر شعره قوله .

فان تسألوني بالنساء فاني * بصير بادوآه النساء طيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله * فليس له في ودّه من نصيب
يرون ثراء المال حيث علمه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
« وقوله من قصيدة اخرى »

وكل حصن وان دامت سلامته * على دعاؤه لاشك مهدوم
ومن تعرض للغربان يزجرها * على سلامته لا بد مشؤم
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه * انى توجه والمحروم محروم
وكل قوم وان عزوا وان كرموا * عريفهم بانا في الشر مرجوم
(ابو دواد الايادى)

قيل للخطيئة من اشعر الناس قال الذى يقول .

لااعد الاقارب عدما ولكن * فقد من قد رزته اعدام
من رجال من الاقارب بادوا * من حذاقهم الرؤس الكرام
فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام
« ومن وسائل قلائده »

اذا كنت ضرتاد الرجال لنفهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى
(اقيط بن معبد الايادى)

امير شعره قصيدته التي كتبها الى قومه يحذرهم جند كسرى
ويحرضهم على الجدل للممانعة والمقارعة . فنها قوله .
قوموا قياما على امشاط ارجلكم * ثم افزعوا قدينا الى امر من فزعا
هيئات مازالت الاموال مذا بد * لاهلها ان اصابوا مرة تبعا
ومنها في اختيار الرئيس المضطلع بقيادة الجيش وتدير الحرب وهو
احسن ما قيل في معناه .

وقلدوا امركم لله دركم * ربح الذراع بامر الحرب مضطلعا
لامترقا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عظم مكروه به جزعا
مازال يحلب در الدهر اشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمر على شرب سريره * مستحكما السن لاقحما ولا ضرعا
اي لا شيخا خرفا ولا شابا حدثا .

(حاتم الطائي)

قد سبق له ذكر في الاجواد واقضى المقام اعاده ذكره فمن
امثاله السائرة قوله .

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماء عن الاخبار خرق المكاسب
» وقوله يخاطب امرأته ماوية «

اماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما * اراد ثراء المال كان له وفر
» وقوله ايضا «

وانت اذا اعطيت بطناك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا
« وقوله ايضاً »

اماوى مايقنى الثراء عن الفتى * اذا حشر جت يوما وضاق بها الصدر
(عمرو بن كلثوم)

هو من شعراء الجاهلية وقد حاز قصب السبق في شعره وتقدمت
له ترجمة مفصلة في فرسان العرب فانه كما كان متقدما في الشعر كان
من اشجع الفرسان واجراهم وهو القاتل عمرو بن هند الملك بسبب
ما كان منه من الفخر والتناول على العرب وتقدمت القصة في ترجمته
وبالجملة انه كان من الطراز الاول من فحول الشعراء . ولم يخالف
في ذلك احد من الادباء . وهو صاحب المعلقة المشهورة .
« ومن امثاله السائرة قوله »

وان غدا وان اليوم رهن * وبعد غد بما لا تعلينا
وفي هذه القصيدة بيتان ينسبان اليه . ويقال انهما لعمرو بن عدى
كما ذكره الامام الثعالبي في كتابه لباب الادب وهما .

صددت الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس مجراها اليينا
وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذي لا تصبينا
ويروى ان عاملا للامام على كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه قدم
من عمله فاهدى الى الحسين الاحسين رضى الله تعالى عنهما ولم يهد
شيئا الى محمد بن الحنفية فضرب على كتفه وتمثل بقول عمرو .

وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذي لا تصحبنا
فاهدى من الغر الى ابن الحنفية كما اهدى الى اخويه صلوات الله
وسلامه على جدهم وعليهم .

(غنرة بن شداد العبسي)

كان من مشاهير شعراء الجاهلية كما كان من الفرسان المذكورين
وله وقائع كثيرة وتقدمت نبذة من اخباره في الكلام على الفرسان
وحذاق الشعر آء يرجعون شعر عمرو بن كلثوم على شعره على منزلته
الرفيعة في البلاغة وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ابياته التي يقول فيها .

بكرت تخوفني المتون كأنني * اصبحت عن عرض المتون بمزل
فاجبتها ان المنية منهل * لا بد ان اسقى بكأس المنهل
فاقنى حباك لا ابالك واعلى * انى امرؤ سأموت ان لم اقل
« ولما انشد قوله »

واقدايت على الطوى واظله * حتى انال به كريم المأكلى
قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما وصف لى اعرابى قط فاحيت ان
اراه الا غنرة .

« ومن امثاله السائرة قوله »

نبئت عمراً غير شاكر نعمتى * والكفر مخبئة لنفس المتعم
« ويته الذى ينسب اليه »

ان العدو على العدو اقاتل * ما كان لي علم وما لم يعلم
(طفيل الغنوى)

كان يقال له في الجاهلية المخبر اى المحسن لحسن شعره . و يروى
ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه قال يوما للانصار زادكم الله عنا يا معشر
الانصار خيراً فما مثانا ومثلكم الا كما قال طفيل الغنوى .
جزى الله عنا جعفرأ حين ازلفت * بنا نعلنا في الواطئين فزات
ابوا ان يملونا ولو ان امنا * تلاقى الذى ياقون منا مللت
« ومن غرر شعره قوله »

ان النساء كاشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر ما كول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا بد مفعول
(الاضبط بن قريع السعدى)

روى ابن الانبارى باسناده قال عاش الاضبط بن قريع مائة
وخسين سنة ثم مات في آخر الزمان وامير شعره قوله .
لكل هم من الهموم سعة * والصبح والمساء لا بقاء معه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
لا تحقرن الفقير علك ان * تركع يوما والدر قد رفته
وصل جبال البعيدان وصل الـ * عبل واقص القريب ان قطعه
واقبل من الدر ما اتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه
ما بال من سره مصابك لا * يملك شيئاً من امره ودعه

اذود عن حوضه ويدفعني * يا قوم من عاذري من الخدعه
حتى اذا ما انجلت عمايته * اقبل يلحى وغيه فجهه
(عدى بن زيد العبادى)

لا يخرج من شعر شاعر من الجاهلية من محكم الشعر وحكمه وما
يصلح للمثل به من حسن الديباجة وصفاء الزجاجة ما يخرج من شعر
عدى وكان يسكن الحيرة ويجاور الريف فرق شعره وعذب منطقه
وكان يونس النحوى اذا انشد قوله فى الاعتبار بذهاب القرون وذهاب
الملوك . يقول لو تمنيت ان اقول شمرأ ما تمنيت الا هذا .

ايها الشامت المعير بالدمر * آأنت الميرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الا * يام بل انت جاهل مغرور
اين كسرى كسرى الملوك انو * شروان ام اين قبله سابور
واخو الحضرة اذبناء واذا * دجلة نجى اليه والخابور
شاده مرمرأ وجلله ككا * سا فلاطير فى ذراء وكور
وبنوا الاصفر الكرام ملوك الـ * روم لم يبق منهم مذكور
وتفكر رب الخورنق اذا شر * ف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يح * ويه والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قابه فقال وما * غبطة حى الى الممات يصير
ثم اخخوا كانهم ورق جف * قالوت به الصبا والديور
ثم بعد الفلاح والملك والام * ة وارثهم هناك القبور

« ومن امثاله السائرة »

« كفى واعظاً للمره ايام دهره * تروح له بالواعظات وتفتدى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فان القرين بالمقارن مقتدى
وظلم ذوى القربى اشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند
» وقوله في حبس النعمان بن المنذر «

اباغ النعمان عني ما لكما * انه قد طال حبسى وانتظارى
لوبغير الماء حاقى شروق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى
» وقوله «

فهل من خالد اما هلكنا * وهل بالموت يالللناس عار

(الحارث بن حلزة اليشكري)

قال ابو عبيدة اجود الشعر آء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة
نفر عمرو بن كاثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد . وزعم
الاصمعي ان الحارث قال قصيدته المعلقة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين
سنة ارتجالا متوكأ على قوسه فزعموا انه اقتطم كفه وهو لا يشعر من
الغضب . وقال ابن السيد في شرح ادب الكاتب كان متكئاً على عنزة
فارتزت في جسده وهو لا يشعر . قال الصولي ما يوصف تأهب القوم
للسفر واقبالهم على جمع الآلات الارتمحال باحسن من قول الحارث .
اجمروا امرهم عشاء فلما * اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تص * مال خيل خلال ذاك رغاء

(امية ابن ابي الصلت)

له في التوحيد والحكمة شعر كثير وفيه يقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه . ويقال انه اول من تلتف للسؤال في قوله لعبد الله بن جدعان .

أذكر حاجتي ام قد كفاني * حباءك ان شيتك الجبا .
وعلمك بالحقوق وانت قرم * لك الخلق المذهب والسنا .
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الحمير ولا مسا .
اذا اتى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه التنا .
« ومن غرر شعره قوله »

عطائك زين لامرئ ان حبوته * بخير وما كل العطاء زين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بهض السؤال يشين
وقد سبق له ذكر فيمن كان على دين ايام الجاهلية .

(قس بن ساعدة الايادي)

كان له باع طويل في الشعر والخطب وسائر فنون الكلام مع
اشتماله على الحكم البالغة والفوائد البديعة . فمن غرر شعره .
في الذاهين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * يمضي الا صغر والا كابر
لا يرجع الماضي الى * ولا من الباقي غابر

ايقت انى لا محالة * حيث صار القوم صاير
انشد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الابيات فلما سمعها قال لما
انه يبعث امة على حدة .

(حائذ بن محضر الشهير بالثقب العبدى)

ولقب بذلك لقوله فى قصيدة اولها .

افاطم قبل بينك متعنى * ومنعك ما سألت كأن تبنى
ومنها (وثقبن الوساوس للعيون) وامير شعرة قوله فى هذه القصيدة
فلا تعدى مواعد كاذبات * تمر بها رياح الصيف دوى
فلو انى تعاندنى شمالي * لما اتبعها ابدأ يمينى
اذا لقطعتها واقلت بينى * كذلك اجتوى من يجتوينى
فاما ان تكون اخى بحق * فاعرف منك غنى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدواً اتقبك وتتقينى
فا ادرى اذا يمت ارضاً * اريد الخير ايهما يلينى
أالخير الذى انا ابتغيه * ام الشر الذى هو يبتغينى
« ومن امثاله ايضاً قوله »

لا تقولن اذا مالم ترد * ان تم الوعد فى شئ نعم
حسن قبل نعم قولك لا * وفيح القول لا بعد نعم
ان لا بعد نعم فاحشة * فلا قابداً اذا خفت الندم
واعلم ان الذم نقص للفقى * ومتى لانتقى الذم تدم

اكرم الجار وارع حقه * ان عرفان الفتى الحق الكرم
لا ترانى راتعا فى مجلس * فى لحوم الناس كالسبع الضرم
ان شر الناس من يكثرلى * حين يلقانى وان غبت شتم
وكلام سيء قد وقرت * عنه اذناى ومابى من صمم
فتعديت خشاة ان يرى * جاهل انى كما كان زعم
ولبعض الصفيح والاعراض عن * ذى الخى اتى وان كان ظلم
(الممزق العبدى)

واسمه شاس بن نهار بن اسود بن جريك بن حى بن غشاش .
وكان ابن اخت المثقب . وانما لقب بالممزق لبيت قاله لبعض الملوك .
وكان اسيراً عنده .

احقاً ابيت اللعن ان ابن فرتنا * على غير اجرام يريق مشرقى
فان كنت مأكولاً فكن خير آكل * والا فادر كنى ولما امزق
قال احمد بن عبيد انما هو ممزق بكسر الزاى . ولقب ببيته هذا .
فمن مبالغ النعمان ان ابن اخته * على العين ينادى الصفا ويمزق
(والتزريق وعين محلم موضع بالبحرين) وروى له ابو عبيدة قوله .
هل للفتى من بنات الدهر من واق * ام هل له من حمام الموت من واق
« ومنها قوله الذى سار مثلاً »

هو زعمايك ولا تولع باشفاق * فانما مالنا للوارث الباقى
« ومن غمره قوله »

لن يجمعوا أودى ومعرفتى * اويجمع السيفان في غمد
(عبد قيس بن خفاف)

كان من البراجم . ومن غرر مواعظه ووصاياه لابنه قوله .
فالله فاتقه واوف بنذره * واذا حافت مमारيا فحمل
واعلم بان الضيف مكرم اهله * بميت ليلته وان لم يسأل
والضيف فاكرمه فان مبيته * حق ولا تك لعنة للانزل
وصل المواصل ماصفالك وده * واحرز حبال الخائن المتبذل
واترك محل السوء لا تحلل به * واذا نبا بك منزل فحول
دار الهوان لمن رآها داره * افراحل عنها كمن لم ير حل
واذا هممت بامر شر فاثد * واذا هممت بامر خير فاعجل
واذا انتك من العدو قوارص * فاقرص هناك ولا تقل لم افعل
(الشنفرى)

تقدم له ذكر ايضا وامير شعره قصيدته التى اولها .
الا ام عمرو اجمعت فاستقلت * وما ودعت جيرانها اذ تولت
« وبيت القصيدة قوله فى وصف امرأة »
فدقت وجلت واسبكرت واظلمت * فلو جن انسان من الحسن جنت
اى دقت خاصرتها وجلت عجيزتها وامتد قوامها واسود شعرها فلو
كان انسان يجن من فرط الحسن لجنت هذه .
(عروة بن الورد)

امير شعره وغرة كلامه في الخطاب بالنفس لطلب المال قوله .
 فمن يك متلى ذاعبال ومقتر * من المال يطرح نفسه كل مطرح
 ليلبلغ عذراً او ينال رغبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
 « وقوله ايضاً »

اذا ادالك مالك قامتهنه * لجاديه وان قرع المراح
 اى اذا احالك مالك قابذله لمن سالك اياه وان بقيت صفراً منه .
 (اقنون التغلبى)

كان بعض الكهان انذره بهلاكه من لدغة تصيبه . وكان يهرز منها
 بجهد ولا ينام الا على ظهر راحلته فيبنا هو ذات ليلة على ناقة له
 وهى ترى اذا التوت حية على مشفرها فاضطربت فرمت بها اليه
 فلدغته فقال في وقته .

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يحمل له الله واقياً
 ثم خر ميتاً لساعته .

(قيس بن الخطيم)

امير شعره قصيدته التى اولها .
 اتعرف رسماً كاطراد المذاهب * لعمرة وحشاً غير موقوف راکب
 « وبيت القصيدة قوله فى وصف امرأة »

ترائت لنا كالشمس بين غمامة * بدا حاجب منها وبانت بحاجب
 ولما رأيت الحرب قد جد جدها * لبست مع البردين ثوب المحارب

يقول قد جعت بين ثوب الصلح و ثوب المحارب لاكون على بصيرة
من امرى في الحالين وفيها .

اذا قصرت اسياقنا كان وصلها * خطانا الى اعدائنا بالتقارب
« وفيها »

لوانك تلقى حظلا فوق بيضنا * تدحرج عن ذى سامة المتقارب
(احيمه بن الجلاح)

فجرة شعره الذى يتمثل به قوله .

استغن اومت ولا يفررك ذونشب * من ابن عم ولا عم ولا خال
انى مقيم على الزوراء اعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذوالمال
« وقوله »

وما يدري الفقير متى غناه * ولا يدري الغنى متى يعيل
(عامر بن الطفيل)

هو من الشعر آء المجدين . ومن غرر شعره السائر سير الامثال قوله .
انى وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور فى كل موكب
فما سودتى عامر عن وراثته * ابى الله ان اسمو بام ولا اب
وامكننى احمى حماها واتقى * اذاها وارمى من رماها بمنكبى
ويقع قوله هذا فى كل اختيار لاشتمال الحسن والجودة على لفظه ومعناه
(ابو الطمحان القينى)

واسمه الشرقى ابن خنظلة . قال دعبيل ان امدح بيت قائته العرب

في الجاهلية قول ابي الطمحان .

وان بنى اوس لام ارومة * علت فوق صعب لا ترام مراقبه
اضايت لهم احسابهم ووجوهم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وكان ابو بكر الخوارزمي يقول ربما اردت البكاء في بعض مواطنه
فيمتنع على فما هو الا ان انشد ابيات ابي الطمحان القينى فيما بينى
وبين نفسى حتى يحل عقد الدمع . وهى هذه .

الا عللانى قبل صدح النوايح * وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح
وقبل غد يالهف نفسى على غد * اذا راح اصحابى وليست برائح
اذا راح اصحابى تفيض دموعهم * وغودرت في لحد على صفائح
يقولون هل اصحتم لاخيكم * وما للحد في الارض الفضاء بصالح
والشيء بالشيء يذكر . وذلك ان بعض الادباء قال اذا استجابت ماء
العين ايضاً في وقته فابى انشدت قول بعض المحدثين فيما بينى وبين
نفسى فما هو الا ان امرء ببالى وقد جاءت العبرات . وهو هذا .
ولتطامن الشمس بعد فراقنا * بيضاء لم تأسف على فقداننا
كم من غداة يستطاب نسيمها * ويدالبلى تقضى على ابداننا

(الاعشى)

واسمه ميمون بن قيس . وكان يقال له صناجة العرب لكثرة
ما تفنن في شعره وهو احد الاربعة الذين وقع الاتفاق على انهم اشعر
العرب . وقد تقدم ذكرهم وهو على ساقه الجاهليين ومقدمة المخضرمين

وكان قد ادرك المبعث ومدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير انه لم يتوفق للاسلام . فمن امثاله السائرة قوله في الحمر .

وكأس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس اني امرؤ * اتيت المروءة من بابها
وله البيت الذي وقع الاتفاق على انه اهيجي بيت في الجاهلية . وهو
قوله في علقمة بن علاثة .

يتيتون في المشقى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثي بيتن خائضا
ويروى ان علقمة لما قرع سمعه هذا البيت بكى . وقال اللهم اخزه
واجزه عني ان كان كاذبا . ومن غرر شعر الاعشى وابيات قصائده
وواسطة قلائده قوله .

وان القريب من يقرب نفسه * لعمر ابيك الخير لامن تنسبا
ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى * مصارع مظلوم مجرأ ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسي * يكن ما ساء النار في رأس ككببا
« ومن امثاله السائرة قوله »

الست منتهياً من تحت اثلتنا * ولست صائرهما ما طت الابل
كناطح صخرة يوما ليقلعها * فلم يضرها واوهى قرنه الوعل
« وقوله »

عودت كندة عادة فاصبر لها * اغفر لجاهلها ورو سجالها
اوكن لها جملا ذلولا ظهروا * واحمل فانت معود تحمالها

« ومن امثاله السائرة قوله »

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثلته * فترصد الامر الذي كان ارسدا

(لييد بن ربيعة العامري الانصاري)

وهو من الشعر آء المخضرمين عاش في الجاهلية ستين سنة وفي
الاسلام مثلها . وكان عذب المنطق . رقيق حواشي الكلام . وفي
الخبر اصدق كلمة قالها شاعر قول اييد .

الاكل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لاحالة زائل
سوى جنة الفردوس ان نعيمها * يدوم وان الموت لا بد نازل
وسئل لييد عن اشعر الناس فقال الملك الضليل يعني امراً القيس . قيل
ثم من قال الغلام القليل . يعني طرفه . قيل ثم من قال صاحب العكاز
يعني الشيخ ابا عقيل . وهو نفسه . وسمع الفرزدق رجلاً ينشد قول لييد
وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر يحمد متونها اقلامها
فسجد فقيل ما هذا يا ابا فراس . فقال اثم تعرفون سجدة القرآن
وانا اعرف سجدة الشعر . وروى انه لما انشد قصيدته هذه في الجاهلية
وباغ قوله .

تعلو طريقة متنها متواتر * في ليلة كفر النجوم غمامها
سجد له شعر آء زمانه . وقيل ابشار بن برد اخبرنا عن اجود بيت
قاله العرب . فقال ان تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد .

ولكن قد احسن كل الاحسان ليبد في قوله .

اكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزري بالامل
واذا رمت رحيلاً فارتحل * واعص ما يأمر توصيم الكسل
ومن امثاله السائرة قوله من قصيدة .

وما المال والاهلون الا وديعة * ولا بد يوما ان ترد الودائع
وما المرء الا كالشهاب وضوءه * يحور وماداً بعد اذهو ساطع
« ومنها »

ليس ورأى ان تراخت منيتي * لزوم العصا نحى عليها الاصابع
اخبر اخبار القرون التي مضت * ادب كآنى كلما قت راكم
لعمرك ما يدري المسافر هل له * نجاح ولا يدري متى هو راجع
اتجزع مما احدث الدهر للفتى * وای كبريم لم تصبه القوارع
« ومن امثاله السائرة قوله »

ذهب الذين يعاش في اكفافهم * وبقيت في خلف كجد الاجرب
« وقوله »

فقوما وقولا بالذى قد علمتما * ولا نخم شاخداً ولا تحلقا الشعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وحكى انه لم يقل في الاسلام غير بيت واحد وهو قوله .
الحمد لله اذ لم يأتني اجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا
وحكى ابن دريد ان ليبدأ عاش مائة وخمساً واربعين سنة. خمساً وخمسين

في الاسلام وتسعين في الجاهلية . وقد كان معاوية هم بأن ينقص عطائه
 فارسل اليه انما انا هامة اليوم اوغد فاعرني اسمها فلعلي ان لا اقبضها
 فمات قبل ان يقبضها . وكانت ابنتاه تأتيان مجلس ابي جعفر فتؤبناهما
 فلا تألوان فبقيتا على ذلك حولا كاملا ثم كفتا . وله اخبار طيبة
 ذكرها ابن قتيبة في كتاب الشعراء وابن عبد البر في الاستيعاب وابو
 حاتم السجستاني في كتاب المعمرين .

(كعب بن زهير ابن ابي سلمى)

هو من المخضرمين . وكان له عند النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم ذنب وحين اوعده عليه السلام فقدم عليه وانشده قصيدته
 التي يقول فيها .

نبئت ان رسول الله اوعدني * والوعد عند رسول الله مأمول
 ان الرسول لنور يستضاء به * وصارم من سيوف الله مسلول
 رضى عنه وكساه برده التي اشتراها معاوية منه بستائة دينار . وهي
 البردة التي كانت عند الخلفاء يابسونها في العيدين . ويقال ان امير
 شعرة وغرة كلاهما قوله . ويقال انه لابييه .
 اذا انت لم تعرض عن الجهل والحنأ * اصبت لثيماً او اصابك جاهل
 (العلاء بن الحضرمي)

وفد العلاء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له
 اقرا شيئاً من القرآن فقرأ سورة عبس . ثم زاد فيها من عنده (وهو

الذى اخرج من الحبلى نسمة تسمى بين شراسيف وحشى) فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف فان السورة كافية . ثم قال اتقول شيئاً من الشعر فانشده .

وحى ذوى الاضغان تسب قلوبهم * تحيتك الادنى فقد يدبغ النعل
فان دحسوا بالكره فاعف تكرما * وان اخنسوا عنك الحديث فلا تسئل
فان الذى يؤذك منه استماعه * وان الذى قالوا ورائك لم يقل
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحراً . وان من الشعر لحكماً .

(النمر بن تولب العكلى)

عمر في الجاهلية وادرك الاسلام وقد خرف . وكان شاعراً فصيحاً
شجاعاً جواداً كريماً . وكان هجيراً في خرفه اصبحوا الضيف اغبةوا
الضيف . كماداته التي كان عليها . وكانت امرأة في زمانه خرفت ايضاً
فكان دأبها ان تقول خضبوني كحلوني زوجوني رجلوني . وبلغ عمر
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذلك . فقال لما لهجج به اخو عكل
اكرم مما لهجت به خرفة بنى فلان . ومن امثاله قوله
يود الفتى طول السلامة جاهاً * وكيف يرى طول السلامة يفعل
« وقوله »

خاطر بنفسك كي تنال رغبة * ان القعود مع العيال قبيح
ان الخاطر مالك او هالك * والجسد يجدى مرة فيريح

« وقوله »

ومتى تصبك خصاصة فارج الغنى * والى الذى يهب الرغائب فارغب
لاتفضين على امرئ فى ماله * وعلى كرائم اصل مالك فاغضب
(حسان بن ثابت)

كان شاعر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمناضل عنه وله
قال (اهج مشركى قريش ومعك روح القدس والله ان كلامك لاشد
عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام) ومن غرر شعره قصيدته
التي يقول فيها .

اذا ما الاشريات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء
ونشر بها فتشركنا ملوكا * واسدا ماينهنهما اللقاء
ولما انشدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانتهى الى قوله .
هجوت محمداً فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جزاؤك على الله الجنة) فلما
انتهى الى قوله .

فان ابى ووالده وعرضى * اعرض محمد منكم وقاء
قال عليه الصلوة والسلام (وقاك الله هول المعالم) فلما انتهى الى قوله
انهجوه واستله بند * فشركا لخيركما الوقاء
قال من حضر هذا والله انصف بيت قاله العرب . وكان فى الجاهلية
مداحا لبنى جفنة ملوك غسان . ويقال ان من غرر شعره قوله فيهم

اولاد جفنة حول قبر ابيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه نقيه احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول
يفشون حتى ماتهركلابهم * لايسألون عن السواد المقبل
« ومن امثاله السائرة قوله »

رب علم اضاعه عدم المال * وجهل غطى عليه النعيم
« ومنها »

ما ابالى انب بالحزن تيس * ام لحاني بظهر غيب لثيم
وواسطة قلادة شعره قوله .

وان امرأيمسى ويصع سألماً * من الناس الا ماجنى لسعيد
فاجازه ابنه عبد الرحمن بقوله .

وان امرأ نال الغنى ثم لم ينل * صديقاً ولا ذا حاجة لزهد
ثم اجازها سعيد بن عبد الرحمن بقوله .

وان امرأ قد عاش سبعين حجة * ولم يرض فيها ربه لطريد
ثم اجازها ابو الحسن الحسنى بقوله .

وان امرأ عادى اناساً على الغنى * ولم يسأل الله الغنى لحسود
(النابغة الجعدي)

اختلف في اسمه على اقوال اصحها ان اسمه قيس بن عبد الله بن
وحوح بن عدس بن ربيعة بن جعدة . وانما لقب بالنابغة لانه قال
الشعر في الجاهلية . ثم اقام نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه

فقاله فسمى النابغة . وهو اسن من النابغة الذبياني لان الذبياني كان مع
النعمان بن المنذر . وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرق .
وقد ادرك النابغة الجعدي المنذر بن محرق ونادمه . ذكر عمرو بن شبة
انه عمر مائة وثمانين سنة . وانه انشد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

لبست اناساً فافيتهم * وافيت بعد اناس اناسا

ثلاثة اهلين افيتهم * وكان الاله هو المستأسا

فقال له عمر كم لبنت مع كل اهل قال ستين سنة . وقال ابن قتيبة
عمر الجعدي مائتين وعشرين سنة ومات باصبيان ولا يدفع هذا
ما صرفانه افى ثلاثة قرون في مائة وثمانين سنة . ثم عمر الى زمن ابن الزبير
وبعده . قال النعالي في كتابه اباب الادب قيس بن عبد الله من المخضرمين
المعمرين وامير شعره قصيدته التي يقول فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ايت رسول الله اذ جاء بالهدى * ويتلو كتابا كالجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وسناءنا * وانا لندرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان تكدرا
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقال الى
الجنة . فقال عليه السلام ان شاء الله . ويروى انه عليه السلام لما
انشد البيتين فقال لافض الله فاك فعمرو وهو احسن الناس ثغراً على
كبره ولم يفض له سن . ومن غرر شعره قوله في مرثية صديق له
فتى كان فيه ما يسر صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

ففي كلمات اخلاقه غير انه * جواد فما يبقى من المال باقيا
(الحطيئة)

واسمه جرول بن مالك كان رواية لزهير فجم . مقبول الكلام
شرود القافيه خيث اللسان حتى كان لسانه مقراض الاعراض حتى
انه هجا اياه وامه وزوجه ونفسه . فمن قوله لايه .

لحاك الله ثم لحاك حقا * ابا ولحاك من عم وخال
فجم الشيخ انت لدى الخازي * وبئس الشيخ انت لدى العيال
جمعت اللؤم لاحيائك ربي * بانواع السفاهة والضلال
« وقوله لاه »

فهاهن اقمدي منا بعيدا * اراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا لدى المحدثينا
« ومن قوله لامرأته »

اطوف ما اطوف ثم آتى * الى بيت قعيدته لكاع
« ومن قوله لنفسه »

ابت شفتاي اليوم الانكلما * بشر فما ادري لمن انا قلله
ارى لي وجهاً شوه الله خاقه * فقبح من وجهه وقبح حامله
وصب الله به سوط عذاب على الزبرقان بن بدر فانه امضه بمجأه اياه وابكاه
واقلقه واحرقه وسير فيه قصيدته السائرة الطيارة التي يقول فيها .
وقد مريتكم لو ان درتكم * يوما يحى بها مسحى وابساسى

ازممت يأساً مريعاً من نوالكم * ولن ترى طارداً للحركا لياس
من يفعل الخير لا يعدم جوانيه * لا يذهب العرف بين الله والناس
دع المكارم لا ترحل لبغيها * واقعد فانت لعمري طاعم كاس
« ومن غرره في المدح قوله »

اقلوا عليكم لا ابا لايكم * من اللوم اوسدوا المكان الذي سدوا
اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا * وان عاهدوا ووفوا وان عقدوا شدوا
(ابو ذؤيب الهذلي)

كان يقال هذيل شعر القبائل وابو ذؤيب شعرها . وامير
شعره قصيدته في المرثية التي اولها .

امن المنون وريبه تتوجع * والدهر ايس بمعتب من يجزع
وتجلدى للشامتين اريهم * انى لريب الدهر لا اتضع
وبيت القصيدة . وكان الاصمعي يقول هو ابرع بيت قاله العرب .
والنفس راغبة اذا رغبها * واذا ترد الى قليل تقنع
« ومن غرر هذه القصيدة قوله »

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل نيمة لا تنفع
(ابو خراش الهذلي)

هو من الشعر آء المفلقين . وكان له اخ يسمى عروة فقال ابو خراش
يحمد الله على نخلص ابنه من الاسر وهو احسن ما قيل في التسلي .
حدث آلهي بعد عروة اذ نجيا * خراش وبعض الشرا هون من بعض

فوالله ما انسى قتيلا رزته * بجانب قوسي مامشيت على الارض
على انها تمفو الكلوم وانما * توكل بالادنى وان جل ما يمضى
ولم ادر من القى عليه رداه * على انه قد سل عن ماجد محض
ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجا * اضاع الشباب في الريلة والحفض
وايكنه قد نازعته مجاوع * على انه ذومرة صادق التهض
وتزعم الرواة انها لا تعرف رجلا مدح من لا يعرف غير ابي خراش
وشرح هذه الابيات مفصل في شرح ديوان الحماسة . وكذا في الجزء
الثاني من كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب .

(المتخل الهذلي)

امير شعره قوله .

ابو مالك قاصر فقره * على نفسه ومشيع غناه
اذا سدت سدت مطواعة * ومهما وكلت اليه كفاء

(ابو صخر الهذلي)

يقال ان اغزل شعر العرب قوله .

اما والذي ابكى واصحك والذي * امات واحيا والذي امره الامر
لقد تركتني احسد الوحش ان ارى * اليقين منها لا يروعهما الذعر
فياحبها زدنى جوى كل ايلة * ويا سلوة الايام موعداك الحشر
عجبت لسمي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

(تميم بن مقبل)

هو مخضرم معدود في الفحول . ومن غرر شعره ما انشده دعبل .
 فاخلف واتلف اما المال عارة * وكله مع الدهر الذي هو آكله
 وايسر مفقود واهون هالك * على الحى من لا يبلغ الحى ناله
 « وقوله »

خايلي لا تستجلا وانظرا غداً * عسى ان يكون الرفق في الامر ارشدا
 (عبدة بن الطيب)

من مفاقي المخضرمين وامير شعره لاميته التي اولها .
 هل جبل خولة بعد الحجر موصول * ام انت عنها بعيد الدار مشغول
 والمرء ساع لامر ليس يدركه * والعيش شح واشفاق وتأميل
 وكان عمر رضى الله تعالى عنه يتعجب من جودة هذا البيت وحسن تقسيمه
 ومن امثاله السائرة قوله في مرثية قيس بن عاصم .
 وما كان قيس هاك هلك واحد * وامكنه بنيان قوم تهتما
 (حميد بن ثور)

كان من فحول المخضرمين والمعمرين وامير شعره قوله .
 ارى بصري قد رايتني بعد صيحة * وحسبك داء ان تصح وتسقما
 ولن يابث البصر ان يوما وليلة * اذا طلبنا ان يدركا ماتيمما
 وما حاج هذا الشوق الاحمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
 « ومنها في وصف القمرية »

عجبت لها انى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تغفر لمنطقها فما

« ومن نكت شعره قوله في وصف الذئب »

ينام باحدى مقلتيه ويتقى الـ * اعادى باخرى فهو يقظان هاجم
(مقيم بن نويرة)

غرة شعره قصيدته التي يرثي بها اخاه مالكا . وغرثها قوله .
وقالوا اتبكي كل قبر رأيت * لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى * ذروني فهذا كله قبر مالك
وقوله في قصيدته التي يرثي بها مالكا ايضاً .

وكنا كندمانى جذيمة حقة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كآنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معنا
(دريد بن الصمة)

امير شعره قوله .

امرهم امرى بمنعرج اللوى * وهل يستبان الرشدا لاصحى الغد
وهل انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد
قال يونس النحوى هذا احزم بيت قاله العرب وقوله .

مان رأيت ولا سمعت به * كاليوم هانى ايتق صهب
متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب
(سويد ابن ابى كاهل)

غرة كلامه وشعره قوله .

رب من انضجت غيظا قلبه * قد تمنى لى موتا لم يطع

ويرانى كالشجا فى حلقه * عسراً مخرجه مايتزع
 مزبد يخطر مالم يرني * فاذا اسمته صوتى انقمع
 قد كفانى الله ما فى نفسه * ومتى ما يكف شيئاً لم يضع
 لم يضرني غير ان يحسدني * فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع
 ويحينى اذا لاقيته * واذا يخلو له لحي رتع
 كيف يرجون سقاطى بعدما * جلل الرأس مشيب وصلع
 (النجاشى الحارثى)

هو شاعر امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه وامير شعره قوله .
 انى امرؤ قلما اتى على احد * حتى ارى بعض ما يأتى وما يذر
 لا تمدحن امراً حتى تجربه * ولا تذهبن من لم يبله الخبر
 وهذا من احسن الاحسان .

(الشماخ بن ضرار)

هو من غول المخضرمين ومن امثاله السائرة قوله .
 لمال المرء يصلحه فينقى * مفاقره اعف من القنوع
 وغرة شعره قوله فى عرابة الاوسى .

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
 اذا ماراية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمن
 (عمرو بن معد يكرب) ✓

من امثاله السائرة قوله .

اذا لم تستطع امرأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

« وقوله »

ليس الجمال بمنز * فاعلم وان رديت بردا

ان الجمال مآثر * ومناقب اورثن مجدا

« وقوله »

ظلمت كآني للرماح درية * اقاتل عن ابناء جرم وفرت

فلوان قومي انطقني رماحهم * نطقت ولكن الرماح اجرت

(عمرو بن الاهتم)

امير شعره وغرة كلامه قوله .

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن اخلاق الرجال تضيق

(سحيم عبد بن الحساس)

احسن شعره قصيدته التي اولها .

عميرة ودع ان ترحات غاديا * كفي الشيب والاسلام للمرء ناهيا

« وقوله »

اشعار عبد بن الحساس قن له * يوم الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا ففسى حرة كرما * او اسود الخلق اني ابيض الخلق

(ابو محجن الثقفي)

ليس له احسن وافخر من قوله .

لا تسألني الناس عن مالي وكثرة * وسألي الناس عن بأسى وعن خلقي

هل اطمئن الطعنة المجلاء عن عرض * واكنتم السر فيه ضربة العنق
(كعب بن سعد)

احسن شعره قوله .

وما انا للشيء الذي ليس نافعي * ويغضب منه صاحبي بقول
ولست بمبد للرجال سريرتي * ولا انا عن اسرارهم بسؤل
(معن بن اوس)

كان من الاسلاميين وامير شعره قوله .

وفي الناس ان رئت حبالك واصل * وفي الارض عن دار القلي متحول
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدر * اليه بوجه آخر الدهر تقبل
« ومن امثاله السائرة قوله »

اعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني
اعلمه الرواية كل يوم * فلما قال قافية هيجاني
(كعب بن جعيل)

من الاسلاميين المفلقين كان شاعر معاوية . ومن غرر شعره قوله .
ندمت على شتم العشيرة بعدما * مضى واستتبت للرواة مذهبها
فاصبحت لا اسطيع رداً لما مضى * كما لا يرد الدر في الضرع حاله
(زياد بن زيد المذري)

امير شعره قوله .

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا اتخى الشر والشر تاركى * ولكن اتى احمل على الشر اركب
« وقوله »

هل الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال او فراق حبيب
(ابو الاسود الدثلي)

بعد في التابعين والشيعة والفصحاء واصحاب النحو وفي البخلاء وفي
المفاليح . ومن غرر شعره قوله في عبيد الله بن زياد وقد كساه جبة خز
كسائي ولم استكسه فحمدته * اخلى يميني الجزيل وناصر
وان احق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من اعطاك والوجه وافر
« ومن امثاله السائرة قوله »

لا تخى بعد اذ اكرهتني * فشديد حالة منتزعه
لا يكن برقك برقا خلبا * ان خير البرق ما الفيث معه
(زفر بن الحارث)

غرة شعره قوله في انهزامه يوم مرج راهط .
ايذهب يوم واحد ان اسأته * بصالح ايامي وحسن بلائيا
ولم ير مني زلة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبي من ورائيا
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
(عبدالله بن قيس الرقيات)

امير شعره قوله في مصعب بن الزبير .
انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

يتقى الله في الامور وقد * افلح من كان همه الاتقاء
ملكه ملك رافة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
(المتوكل اللبني)

غرة شعره الذي يتمثل به قوله .

ابداً بنفسك فانهما عن غيرها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لانه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
« وقوله ايضاً »

لسنا وان احسابنا كرمتم * يوما على الاحساب نشكل
بنى كما كانت اوائلنا * تبنى وتعمل مثل ما فعلوا
« هذا آخر ما احببت ذكره » من مشاهير الشعر آء ودرر قلاندهم .
وواسطة عقد منظومهم . معرضاً عن استيفائهم . واستقصاء احوالهم .
وذكر قصائدهم المنتخبة . واسماء مقاطيعهم المحببة . حيث قد قضى الائمة
منه الوطر . واستوعبوا التقاط هاتيك الدرر . مثنيا عنان القلم الى ذكر
مالهم من العوائد في الخطب والوصايا . ومالهم من البيان الفصيح لدى
الخطوب والرزايا . فقد كان ذلك عندهم من اهم العلوم . واعظم
ما يتنافس به المتنافسون بعد الشعر المنظوم . فان فيه دقائق انظارهم
ونتائج افكارهم . ومنه يعلم منزلة القوم في غور عقولهم . وعلو درجاتهم
في سعة اذهانهم . ومن الله عن اسمه استمد التوفيق .

(الخطب والوصايا وما كان من عوائد العرب فيها)

من المعلوم ما كان عليه العرب ايام جاهليتهم من الانفة والتفاخر
 بالاحساب والانساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسوددهم
 حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع والايام . والخطوب والمهام .
 ولا شك ان كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم احوج الناس الى ما يستهض
 همهم . ويوقض اعينهم . ويقيم قاعدتهم . ويشجع جباينهم . ويشد
 جناتهم . ويشير اشجانهم . ويستوقد نيرانهم . صيانة اعزهم ان يستهان .
 واشوكتهم ان تستلان . وتشفياً باخذ الثار . وتحرزاً من عار الغلبة
 وذل الدمار . وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا . فكانوا احوج اليها
 بعد الشعر لتخليد ما اثرهم . وتأيد مفاخرهم . وهم اقوم الناس
 قبلاً . واقواهم قبلاً . وافصحهم اساناً . واوضحهم بياناً . واهداهم سبيلاً .
 واسطاعهم برهاناً ودليلاً . كما انهم اعلاهم قدراً . واغلاهم دراً .
 واسماهم مبنى . واسناهم معنى . وادقهم فكراً . وارقمهم سرّاً . واعرفهم
 نسباً . واعرفهم ابا . ولذلك كثر فيهم الخطب والخطباء حتى كان لكل
 قبيلة من قبائهم خطيب . كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ
 في كتاب البيان ولهم خطب يضيق عنها نطاق الحصر . وقد ألف
 فيها كتب كثيرة . منها كتاب غاية الادب في كلام حكماء العرب . وهو
 ثلاثة مجلدات . وكتب اخرى لا يحصرها العد . وذكر الجاحظ
 في البيان نبذة من خطب الجاهلية والاسلام . وذكر ان العرب قد ذكر

من خطبهم العجوز وهى خطبة لآل رقية . ومتى اكلموا فلا بداهم منها
او من بعضها . والمذراء وهى خطبة قيس بن خارجة لانه كان ابا
عذرها . والشوها وهى خطبة سحبان وآل . وقيل ذلك لها من حسنها
وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب .
والخطب والوصايا متقاربان فى المفهوم بيدان الخطب انما يقصد بها قوم
لاعلى سبيل التعمين والتخصيص بخلاف الوصايا . وان الخطب انما تكون
فى المشاهد والمجامع والايام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولدى
الكبرآء والامراء ومن الوفود فى امر مهم وخطب ملم . والوصايا
بخلافها فى كل ما ذكر فلا تكون الا لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص
على شىء منصوص . وكثيراً ما كانت تصدر من شخص لمائلته او سيد
لقبياته عند حلول مرض مخاطر او محاربة نقلة او ما شابه ذلك .

وكان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم اكثر من اعتنائهم بها
فى اسلامهم وكانت لهم فيها عواآد غريبة . وشئون عجيبة . فمن عواآدهم
فيها انهم كانوا يتخيرون لها اجزل المعانى وينتخبون لها احسن الالفاظ
محصيلاً لغرضهم . ونياً لمقصدهم . فان الالفاظ الراقية والمعانى الجزلة
اوقع فى النفوس . واشد تأثيراً فى القلوب . وايقظ للاهم . ولذلك
ورد ان من البيان اسجراً على ماسبق . والاذن للكلام البليغ اصغى
واوعى . والطبع السليم الى كل مستحسن اميل . والترغيب فى العاجل
والترهيب فى الاجل اللذان هما من اهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية

اذا لم يكونا بعبارات تخلق القلوب . وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيها ولا فائدة منها .

ومن عوآ ندهم فيها ان الخطيب منهم اذا خطب في تفاخر وتنافر وتشاجر رفع يده ووضعها وادى كثيراً من مقاصده بحركات يده فذاك اعون له على غرضه وارهب للسامعين له واوجب لتيقظهم . وهو التشذر المذكور في قول لييد .

غلب تشذر بالذحول كأنها * جن البدى رواسيا اقدامها التشذر رفع اليد ووضعها كما سبق . والذحول جمع ذحل بفتح الذال المججمة وسكون الحاء المهملة وهو الحقد . يقولهم رجال غلاظ الاعناق كالاسود . اى خلقوا خالقة الاسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الاحقاد التي بينهم . ثم شبرهم بجن ذلك الموضع في ثباتهم في الخصام والجدال ويمدح خصومه وكلما كان الخصم اقوى واشد كان قاهره وغالبه اقوى واشد . ومن عوآ ندهم فيها اخذ المخصرة بايديهم . وهى مايتوكأ عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب والخطيب اذا خطب فلا يخطبون الا بالمخاصر . وكانوا يعتمدون على الارض بالقسى . ويشيرون بالعصا والقنا . ومنهم من كان يأخذ المخصرة في خطب السلم والقسى في الخطب عند الخطوب والحروب . واستشهد الجاحظ في كتاب البيان على ما ذكرناه بكثير من شعرهم .

واستحسن العرب في الخطيب ان يكون جهير الصوت ولذلك

مدحوا سمة الفم واذموا صغره . حتى قيل لاعرابي ما الجمال . قال
 طول القامة . وضخم الهامة . ورحب الشدق وبعد الصوت . وسئل
 ابو الخشن عن ابنه الخشن وكان جزع عليه جزعا شديداً . فقال
 كان اشدق خرطمانياً سائلاً لما به كأنما ينظر من قلبيين كان ترقوته بوان
 او خالفة . كان منكبه كركرة جل ثقال . فقأ الله عيني ان كنت رأيت
 قبله او بعده مثله . وقيل لاعرابي ما الجمال قال غور العينين . واشراف
 الحاجبين ورحب الشدقين . وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الاشدق
 تشادق حتى مال بالقوم شذقه * وكل خطيب لا ابا لك اشدق

« وانشد ابو عبيدة »

وصاع الرأس عظام البطون * رحاب الشداق طوال القصر
 « وقال الهجير السلولى في شدة الصوت »

ومنهن قرعى كل باب كأنما * به القوم يرجون الاذنين انشور
 فجئت وخصمى يصرفون نيوهم * كما قصبت بين الشفار جزور
 لدى كل موثوق به عند مثلها * له قدم في النساطقين خطير
 جهير ومتمد العناق مناقل * بصير بعورات الكلام خير
 فظل رداء المصب ماقى كأنه * سلى فرس تحت الرجال عقير
 لو ان الصخور الهم يسمن صلقنا * لرحن وفي اعراضهن فطور
 « وقال مهمل »

ولولا الريح اسمع اهل نجد * صليل البيض تفرع بالذكور

وكان شبيب يصيح في جنبات الجيش اذا اتاه فلا يلوى احد على احد وقال الشاعر فيه .

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرآ * والريح عاصفة والموج يلتطم
والشعر في ذلك كثير . والمقصود ان جهارة الصوت مما يمدح بها الخطيب وتكون من محاسنه .

ومن عوآئدهم في الخطابة ان يكون الخطيب على زى مخصوص في العمامة واللباس تنويهاً بشأنه وادخل في تحصيل الغرض والمقصود وقد اطنب الجاحظ القول في كتاب البيان على خطب العرب وبيان عوآئدهم فيها وما اورده من الشعر شاهداً على دعواه مما يغنى عن ذكره في هذا المقام .

(ذكر نبذة من خطباء العرب في الجاهلية)

خطباء العرب ايام الجاهلية كثيرون كثرة شعر آئهم غير ان البعض منهم كان يغلب عليه قول الشعر فيعد في الشعر آء وينتظم في سلكهم وآخرين يغلب عليهم منشور الكلام وفصح البيان فيعد من رجال الخطابة شأن كل من غلب عليه معرفة فن من الفنون . فن نظم الشعر لا يجزه انشاء الخطب وكذلك كثير من الخطباء يعدون من مقلقي الشعر آء . ولما كان اولئك الخطباء لا يحيط بهم نطاق البد والاحصاء . ذكرت بعض افراد منهم هم كالا نموذج لمن سواهم مع ذكر شئ من مستحسن كلامهم .

(فمنهم قس بن ساعدة الايادي)

هو من اشهر الخطباء ذكراً . وارفعهم قدراً . حيث روى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلامه وموقفه على جملة الاوراق وموعظته وعجب من حسن كلامه . وكفى بذلك فخراً له ولقومه على مدى الايام . فان هذا شرف تخط دونه رؤس الاعلام . وفي الحديث يرحم الله قساً انى لارجو يوم القيمة ان يبعث امة وحده . وبذلك يعلم انه لم يكن على دين من الاديان المشهورة . ومن نسبه الى يهودية او نصرانية فقد لحن في مقاله . وانحرف عن جادة الصواب . وقد سبق له ذكر فيمن كان على التوحيد من العرب . ونقل شئ من كلامه وكذلك مع الشعراء .

(ومنهم سحبان وائل الباهلى)

وهو سحبان بن زفر بن اياس الوائلى وائل باهلة خطيب يضرب به المثل في البيان فكانوا اذا ارادوا مدح انسان بذلك قالوا « هو اخطب من سحبان وائل » ادرك الجاهلية واسلم ومات سنة اربع وخمسين . وحكى الاصمعي قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد ابن عثمان فطلب سحبان فاتى به فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوّم من اودى فقالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده فضحك معاوية وقال ها تو عصاه فاخذها ثم قام فتكلم من صلوة الظهر الى ان قامت صلوة

العصر ما تسبح ولا تسعل ولا توقف ولا ابتداء في معنى فخرج منه وقد بقي عليه شيء فما زالت تلك حالته حتى اشار معاوية بيده فاشار اليه سحبان ان لا تقطع على كلامي فقال معاوية الصلوة فقال هي امامك ونحن في صلوة وتحميد ووعد ووعد . فقال معاوية انت اخطب العرب . فقال سحبان والجم والانس والجن . ومما روى من خطبه البليغة ان الدنيا دار بلاغ والاخرة دار قرار ايها الناس فخذوا من دار ممركم لدار مقرم ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم واخرجوا الى الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها حيثم واغيرها خلعتهم ان الرجل اذا هلك قال الناس ماترك وقالت الملائكة ما قدم . قال حمزة الاصماني في امثاله في قولهم هو ابليغ من سحبان وائل كان من خطباء العرب وبلغائها . وفي نفسه يقول .

لقد علم الحى اليمانون انى * اذا قالت اما بعد انى خطيبها
وهو الذى قال طلحة الطلحات الخزاعى .

يا طلع اكرم منى * حسبا واعطاهم لئلا
منك العطاء فاعطنى * وعلى مدحك فى المشاهد

فقال له طلحة احتكم فقال برذونك الورد . وغلامك الحياز . وقصرك بزرج وهي مدينة بسجستان وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة اف لك لم تسألنى على قدرى وانما سألتنى على قدرك وقدر باهلة ولو سألتنى كل قصر لى وعبد ودابة لاعطيتك ثم امر له بما سأل ولم يزد عليه شيئا

وقال تالله مارأيت مسألة محكم الائم من هذا .

(ومنهم دويد بن زيد بن ايث بن سود بن اسلم الحميري)

كان من الفضحاء . ومشاهير الخطباء . واوصى بنيه وخطبهم فقال
اوصيكم بالناس شراً لا ترحموا لهم عبرة . ولا تقيلوا لهم عثرة . قصرُوا
الاعنة . واطيلوا الاسنة . واطعنوا شزراً . واضربوا هبراً . واذا
اردتم المحاجزة . فقبل المناجزة . والمرء يجز لا المحالة بالجر لا بالكد .
التجلد ولا التبلد . والمنية ولا الدنية . ولا تأسو على فائت وان عن
فقدته ولا تحنوا الى طاعن وان الف قربه . ولا اطمعوا فتطيعوا .
ولا تهنوا فتجزعوا . ولا يكونن لكم المثل السوء . ان الموصين بنو
سهوان اذا مات فارحبوا خط مضجعي ولا اتضنوا على برحب الارض
وما ذلك بمؤد الى روحا . ولكن حاجة نفس خامرها الاشفاق ثم
مات . قال ابو بكر بن دويد في حديث آخر انه قال .

اليوم يبنى لدويد بيته * يارب نهب صالح حويته

ورب قرن بطل ارديته * ورب غيل حسن لويته

ومعصم مخضب ثنيته * لوكان للدهر بلى ابليته

* اوكان قرني واحداً كفيته *

« ومن قوله »

التي على الدهر رجلا ويدا * والدهر ما صلح يوماً فسد

* يصلح ما فسد اليوم غدا *

قال ابو حاتم السجستاني عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخسين سنة . وقال ابن دريد ان دويد بن زيد كان من المعمرين قال ولا تعد العرب معمرأ الا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا

(ومنهم زهير بن خباب بن هبل الحميري)

كان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه عاش مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة . ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه . كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان وفارس قومه . وله البيت فيهم والعدد منهم . واوصى الى بنيه وخطبهم فقال يا بني اني قد كبرت سني وبلغت حرساً من دهرى فاحكممتي التجارب والامور تجربة واختباراً فاحفظوا عني ما قول وعوه . اياكم والخور عند المصائب . والتواكل عند النوائب . فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو . وسوء ظن بالرب . واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين . ولها آمنين . ومنها ساخرين . فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها . فان الانسان في الدنيا معرض تماوره الرماة فقصر دونه . ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد ان يصيبه . وكان زهير بن خباب على عهد كايب بن وائل . ولم يكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك منه . وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً . ولم تجتمع قضاة الا عليه وعلى وزاح بن ربيعة .

وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة ان تتكلم عند زوجها به
فنهاها فقالت له اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت
اراك تسمع شيئاً ولا تعقله فقال عند ذلك .

الا يا لقومي لا ارى النجم طالعا * ولا الشمس الا حاجبي يميني
معزتي عند القفا بعمودها * يكون نكيري ان اقول ذريني
اميناً على سر النساء وربما * اكون على الاسرار غير امين
فللموت خير من حجاج موطأ * مع الظعن لا يأتي المحل حين
« وهو القائل »

ابني ان اهلك فقد * اورثكم مجداً بذيه
وتركتكم ابناء سا * دات زنادكم وريه
من كل مانال الفتى * قد نلت الا التحية
ولقد رحلت البازل الـ * كوما ليس لها وايه
وخطبت خطبة حازم * غير الضعيف ولا العيه
فالموت خير للفتى * فليهلكن وبه بقيه
من ان يرى الشيخ البجال * وقد يرادى بالعشيه
« وهو القائل »

ليت شعري والدمر ذو حدثان * اى حين منيتى تلقاني
اسباب على الفراش خفات * ام بكفى مفرج حزان
« وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره »

لقد عمرت حتى لا ابالي * احتفى في صباحي ام مسائي
 وحق لمن اتت مائتان عاما * عليه ان يعمل من التواء
 (ومنهم مرثد الخير الحميري)

وهو مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معدى كرب بن مضحى .
 وكان قبلاً حذماً على عشيرته محباً لصلاحهم . وكان من افصح الفصحاء
 واخطب الخطباء . قال ابو بكر بن دريد وكان سبيع بن الحارث
 اخو غاس وغلس ذو جدن . ومتم بن مشوب بن ذى رعين تنازعا الشرف
 حتى تشاحنا وخيف ان يقع بين حبيهما شر فيتفانا جذماهما فبعث
 اليهما مرثداً فاحضرهما ليصلح بينهما . فقال لهما ان التحفظ وامتناء
 المحجاج . واستحقاب اللجاج . سيقفكما على شفاهوة في توردها بوار
 الاصلة . وانقطاع الوسيلة . فتلافيا امركما قبل انتكاث العقد . وانحلال
 العهد . وتشنت الافة . وتباين الهمة . وانتما في فسحة رافهة . وقدم
 واطدة . والمودة مشرية . والبقيا معرضة . فقد عرفتم انباء من كان
 قبلكم من العرب ممن عصى النصيح . وخالف الرشيد . واصفى الى
 التقاطيع . ورأيت ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم . وكيف كان
 صيور امرهم . فتلافوا القرحة قبل تفاقم التأوى واستفحال الداء
 واعواز الدواء . فانه اذا اسفكت الدماء . استحكمت الشخناء . واذا
 استحكمت الشخناء . تفصمت عرى الابقاء . وشغل البلاء . فقال
 سبيع ايها الملك ان عداوة بني العلاء . لا تبرؤها الا ساة . ولا تشفيها

الرقاة . ولانستقل بها الكفاة . والحسد الكامن . هو الداء الباطن .
وقد علم بنو ايننا هؤلاء انا لهم رده اذا رهبوا . وغيث اذا اجذبوا .
وعضد اذا حاربوا . ومفزع اذا نكبوا . وانا واياهم كما قال الاول
وهو اوس بن حجر .

اذا ما علوا قالوا ابونا وامنا * وايس لهم عالين ام ولا اب
فقال متم ايها الملك ان من نفس على ابن ابيه الزعامة . وجد به
في المقامة . واستكثر له قليل الكرامة . كان قرفا باللامة . مؤبناً على
ترك الاستقامة . وانا والله مانعهم بيد الا وقدنا لهم منا كفاؤها .
ولا نذكر لهم حسنة الا وقد تطلع منا اليهم جزاؤها . ولا تقيأ لهم
علينا ظل نعمة الا وقد قوبلوا بشرواها . ونحن بنو فحل مقدم
لم تقعد بنا الامهات ولا بهم . ولم تزعنا اعراق السوء ولا اياهم . فلام
مط الحدود . وخزر العيون . والتخبق والتصقر . والبأ والتكبر .
الكثرة عدد . ام لفضل جلد . ام لطول مقتعد . وانا واياهم كما
قال الاول . وهو ذوالاصبع العدواني .

لا ابن عمك لا فضلت في حسب * عني ولا انت ديانى فتحزوني
ومقاطع الامور ثلاث . حرب مبيرة . اوسلم قريرة . اومدا جاة وغفيرة .
فقال الملك . لا تنشطوا عقل الشوارد . ولا تلقحوا العون القواعد .
ولا تورثوا نيران الاحقاد . ففيها المتلفة المستأصلة . والجائحة والايلة
واعفوا بالحلم ابلاد الكلم . وانيبوا الى السبيل الارشد . والمنهج

الاقصد . فان الحرب تقبل بزرج الغرور . وتدبر بالويل والثبور .
ثم انشد الملك شعراً .

الا هل اتى قوم بذلى نصيحة * حسوت سبيماً كآسها ومقما
وقلت اعلم ان الدابر غادرت * عواقبه لاذل والقل جرهما
فلا تقدحاً زند العقوق وابقيا * على العزة القعساء ان تهتما
ولا تجريا جربا يجرع عليكما * عواقبها يوما من الشر اشأما
فان جناة الحرب للحين عرضة * تفوقهم منها الذعاف المغشما
حذار فلا تستنبثوها فانها * تغادر ذا الالف الاسم مكشما
فقال ايها الملك . بل تقبل نصيحتك . ونطيع امرك . ونطفى النائرة
ونحل الضغائن . ونتقرب الى السلم .

(ومنهم الحارث بن كعب المذحجي)

كان الحارث هذا من افصح خطباء زمانه . قد سلم له طول بابه
في البلاغة وعلو شأنه . قال ابو حاتم السجستاني جمع الحارث بن
كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد اتت على ستون ومائة سنة
ما صاغت يميني يمين غادر . ولا قنعت نفسي بخلة فاجر . ولا صبوت بابنة
عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قاعها ولا ابحت اصدىق بسر
واني لعلى دين شعيب النبي وما عليه احد من العرب غيري وغير
اسد بن خزيمه وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي . وموتوا على شريعتي
آلهكم فاتقوه يكفيكم المهمل من امورك . ويصلح اليكم اعمالكم . واياكم

ومعصيته لا يحل بكم الدمار . ويوحش منكم الدار . يا بني كونوا جيماً
ولا تفرقوا فتكونوا شيماً . وبزوا قبل ان تبزوا . وان موتا في عز . خير
من حيوة في ذل وعجز . وكل ما هو كائن كائن . وكل جمع الى تباين .
والدهر ضربان فضررب رخاء وضررب بلاء . واليوم يومان يوم حبرة
ويوم عبرة . والناس رجالان فرجل معك ورجل عليك . تزوجوا
الاكفاء . وليستعملن في طيبهن الماء . واياكم والورهاء . فانها ادوا
الداء . وتجنبوا الحمقاء . فان ولدها الى افن يكون . الا انه لاراحة
لقاطع القرابة . واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم . وآفة
العدد اختلاف الكلمة . والفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة
دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء . وقطيعة الرحم . تورث الهم .
وانتهاك الحرمه . يزيل النعمة . وعقوق الوالدين يعقب النكد . ويمحق
العدد ويخرب البلد . والنصيحة . تجر الفضيحة . والحق . يمنع الرشد .
ولزوم الخطيئة . يعقب البليه . وسوء الرعة . يقطع اسباب المنفعة .
والضغائن . تدعو الى التباين . يا بني اني قد اكلت مع اقوام
وشربت فذهبوا وغبرت . وكأني بهم قد لحقت . ثم انشأ يقول .

اكانت شبابي فافنيته * واضيت بمدد دهر دهورا
ثلاثة اهلين صاحبهم * فبادوا واصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام عسير القيام * قد ترك الدهر خطوى قصيرا
ايت اراعى نجوم السماء * اقلب امرى بطونا ظهورا

﴿ ومنهم قيس بن زهير العبسي ﴾

كان هذا ايضاً من ذوى الفصاحة والبيان . وعذوبة المنطق
وذرب اللسان . ومن اخباره ومستحسن كلامه ما رواه ابن السكبي
قال لما كان بعد يوم الهبأة جاور قيس بن زهير العبسي الغر بن قاسط .
فقال لهم انى جاررتكم واخترتكم فزوجوني امرأة قدادبها الغنى
واذلها الفقر فى حسب وجمال فزوجوه ظبية ابنة الكيس الغرى
وقال لهم ان فى خلا لا ثلاثا انى غيور وانى فخور وانى آنف .
ولست افخر حتى ابدأ . ولا اغار حتى ارى . ولا آنف حتى اظلم .
فاقام فيهم حتى ولد له . فلما اراد الرحيل عنهم قال انى موصيكم بخصال
وناهيكم عن خصال . عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة . وتسويد
من لا تمايون بتسويده . وعليكم بالوفاء فان به يبش الناس . وباعطاء
من تريدون اعطاء قبل المسألة . ومنع من تريدون منع قبل الالحاح .
واجارة الجار على الدهر . وتنفيذ المنازل عن بيوت اليتامى .
وخلط الضيف بالعيال . وانهاكم عن الرهان فانى به تكلت مالكا
اخى . والبنى فانه قتل زهيراً ابى . وعن الاعطاء فى الفضول فتعجزوا
عن الحقوق . وعن الاسرار فى الدماء فان يوم الهبأة الزمنى العار .
ومنع الحرم الا من الاكفاء . فان لم يصيبوا لهم الاكفاء فان خير
منالكهن القبور اوخير منازلهما . واعلموا انى كنت ظالماً مظلوما
ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا اخى وظلمتهم بان قتلتم من لا ذنب له .

(ومنهم الربيع بن ضبيع الفزارى)

كان من الخطباء الجاهليين وقد ادرك زمن الاسلام لانه كان من المعمرين . ويقال انه بقى الى ايام بنى امية . وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياربيع اخبرنى عما ادركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية . قال انا الذى اقول .

هانذا آمل الخلود وقد * ادرك عقلى ومولدى حجرا

فقال قد رويت هذا الشعر من شعرك وانا صبي . قال وانا القائل .

اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب اللذذة والمقاء

قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك ياربيع لقد طابك

حد غير عاثر فنصلى عمرك . قال عشت مائتى سنة فى فترة عيسى

عليه السلام . وعشرين ومائة فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال

اخبرنى عن فتية فى قريش متواطىء الاسماء قال سل عن ايهم شئت .

قال اخبرنى عن عبد الله بن عباس . قال فهم وعلم وعطاء خدم

ومقرى ضخم . قال فاخبرنى عن عبد الله بن عمر . قال حلم وعلم

وطول كظم وبعد من الظلم . قال فاخبرنى عن عبد الله بن جعفر .

قال ريحانة طيب ريحها اين مسها قليل على المسلمين ضررها . قال

فاخبرنى عن عبد الله بن الزبير . قال جبل وعمر يحدو عنه الصخر

قال لله درك ياربيع ما عرفتكم بهم . قال قرب جوارى وكثرة استخبارى

قال السيد الرضى علم الهدى فى كتابه غرر الفوائد ان كان هذا

الخبر صحيحاً فيشبهه ان يكون سؤال عبد الملك له انما كان في ايام معاوية
لا في ولايته . لان الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة
وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد
مما ذكرناه . فقد روى ان الربيع ادرك ايام معاوية . ويقال ان
الربيع لما بلغ مائتي سنة قال .

الا ابلغني بني ربيع * فاشرار البنين لكم فداء
باني قد كبرت ودق عظمي * فلا تشغلوكم عني النساء
وان كنائني لنساء صدق * وما آلي بني ولا اساؤا
اذا كان الشتاء فادفؤني * فان الشيخ يهدمه الشتاء
واما حين يذهب كل قر * فسر بال خفيف اوردا
اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب اللذاذة والفتاء
وقال حين بلغ مائتين واربعين سنة .

اصبح مني الشباب قد حسرا * ان كان ولي فقد نوى عصرا
ودعنا قبل ان نودعه * لما قضى من جماعنا وطرا
هاانا ذا أمل الخلود وقد * ادرك عقلي ومولدي حجرا
ابا امرئ القيس هل سمعت به * هيهات هيهات طال ذاعمرنا
اصبحت لاحمل السلاح ولا * املك رأس البعير ان نفرا
والذئب اخشاه ان مررت به * وحدي واخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة اسر بها * اصبحت شيخاً اعالج الكبرا

قوله عطاء حذم اى سريع وكل شىء اسرعت فيه فقد خدمته . وفى الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقلت فاحذم . والمقرآء الاناء الذى يقرى فيه . وقوله ما آلى بنى ولا اساؤا اى لم يقصروا والا آلى المقصر
(ومنهم ابو الطمحان القينى)

واسمه حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين . قال ابو حاتم عاش ابو الطمحان القينى مائتى سنة فقال فى ذلك .

حنثنى حاييات الدهر حتى * كأنى خاتل اذنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رآنى * ولست مقيداً انى بقيد
قال ابو حاتم السجستاني حدثنى عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس
ابن حبيب ينشد هذين البيتين . وينشد ايضاً .

تقارب خطور جلك يادريد * وقيدك الزمان بشر قيد
« وهو القائل »

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومعنى البيتين الاولين يشبه قول اوس بن حجر .

اذا مقرر مناذرى حدنا به * تحمط فينا ناب آخر مقرر
ولطائف الغنوى مثل هذا المعنى وهو قوله .

كواكب دجن كلما انقض كوكب * بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب
وقد اخذ هذا المعنى الخزيمى فقال .

اذا قر منا تغور او خبا * بدا قر في جانب الافق يامع

« ومثل ذلك »

خلافة اهل الارض فينا وراثه * اذا مات منا سيد قام صاحبه

« ومثله »

اذا سيد منا مضى لسبيله * اقام عمود الملك آخر سيد

(ومنهم ذوالاصبع العدواني)

قد ذكرنا نبذة من احواله في الكلام على حكام العرب . وكما
كان من حكامهم فهو من افصح خطبائهم فلذلك اقتضى المقام ايراد شئ
من مستحسن كلامه . قال ابو الفرج الاصبهاني في كتابه الاغانى ولما
احتضر ذوالاصبع دعا ابنه اسيد فقال له يا بني ان اباك قد فنى وهو
حى وعاش حتى سئم العيش وانى موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك
ما بلغت فاحفظ عني . ان جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم يرفعوك .
وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشئ يسودوك .
واكرم صفارهم كما تكرم كبارهم . يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك
صفارهم . واسمع بمالك . واحم حريمك . واعزز جارك . واعن
من استعان بك . واکرم ضيفك . واسرع النهضة في الصريح . فان لك
اجلاً لا يمدوك . وصن وجهك عن مسألة احد شيئاً فبذلك يتم سودوك

« ثم انشأ يقول »

أأسيد ان مالا ملكا * تفسر به سيرا جميلا
 آخ الكرام ان استطعت * الى اخائهم سييلا
 واشرب بكأسهم وان * شربوا به السم الثميلا
 اهن اللئام ولا تكن * لآخائهم جملا ذولا
 ان الكرام اذا توا * خيهم وجدت لهم قبولا
 ودع الذي يعد العشير * ان يسيل وان يسيل
 ابني ان المال لا * يبكي اذا فقد الخيلا

(ومنهم الاوس بن حارثة)

قال ابو بكر ابن دريد حدثني عمي عن ابيه عن هشام بن محمد
 ابن السائب الكلبي عن عبد الحميد ابن ابي عبدس الانصاري قال عاش
 الاوس بن حارثة دهرأ وليس له ولد الا مالك وكان لآخيه الخزرج
 خمسة اولاد عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب . فلما حضره
 الموت قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزوج في شبابك فلم تتزوج حتى
 حضرك الموت . فقال الاوس لم يهلك هالك . ترك مثل مالك . وان
 كان الخزرج ذاعد . وليس لمالك ولد . فلعل الذي استخرج العذق
 من الجريمة . والنار من الوثيمة . ان يجمل لمالك نسلا . ورجالا يسلا .
 يامالك المنية ولا الدنية . والعتاب قبل العقاب . والتجلد لا التبلا . واعلم
 ان القبر خير من الفقر . وشر شارب المشتف . واقبح طاعم المقتف .

وذهاب البصر . خير من كثير من النظر . ومن كرم الكريم . الدفاع
عن الحريم . ومن قل ذل . ومن امر قل . وخير الغنى القناعة . وشر
الفقر الضراعة . والذهب يومان فيوم لك ويوم عليك . فاذا كان لك فلا
تبطر . وان كان عليك فاصبر . فكلها سينحسر . فانما تعز من ترى
ويمزك من لا ترى . ولو كان الموت يشتري لسلم منه اهل الدنيا ولكن
الناس فيه مستوون . الشريف الا بلج . والاثيم الملعج . والموت المفيت .
خير من ان يقا لك هييت . وكيف بالسلامه . لمن ليست له اقامه .
وشر من المصيبة سوء الخلف . وكل مجموع الى تلف . وحياك الهك .
قال فنشر من مالك بعدد بنى الخزرج او نحوهم
(ومنهم اكرم بن صيفي التيمي)

قد ذكرت نبذة لطيفة من ملحه وفصح كلامه عند الكلام على
حكام العرب وقد اقتضى المقام ايراد شئ من كلامه . المزرى بعقد
الدر ونظامه . فمن ذلك قوله يخطب قومه بنى تميم ويوصيهم . يا بنى
تميم لا يفوتنكم وعظي ان فاتكم الذهب بنفسى . ان بين حيزومى وصدرى
لكلاما لا اجل له مواقع الا اسماءكم . ولا مقار الا قلوبكم . فتلقوه
باسماع مصغية . وقلوب واعية . تحمدوا مغبته . الهوى يقظان .
والعقل راقد . والشهوات مطلقه . والحزم معقول . والنفس مهملة .
والروية مقيدة . ومن جهة التواني وترك الروية يتناف الحزم .
وان يعدم المشاور مرشدا . والمستبد برأيه موقوف على مداحض

الزلل . ومن سمع سمع به . ومصارع الرجال تحت بروق الطمع . ولو
اعتبرت مواقع المحن ما وجدت الا في مقائل الكرام . وعلى الاعتبار
طريق الرشاد . ومن سلك الجدد امن العثار . ولن يدمم الحسود
ان يتعب قلبه . ويشغل فكره . ويورث غيظه . ولا يتجاوز مضرتة
نفسه . يا بني تميم الصبر على جرع الحلم اعذب من جناء ثمر الندامة .
ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم . وكلم اللسان . انكى
من كلم السنان . والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم . فاذا نجمت فهي
اسد محرب . او نار تلهب . ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز . ونفاذ
الرأى في الحرب . اجدى من الطعن والضرب .

وكان يزيد بن المهلب يسلك طريقة الاكم بن صيفى في خطبه
ووصاياه وحكمه ونصائحه فانها احسن مسالك البلقاء . وارشق اساليب
الفصحاء . فمن ذلك ما اوصى به ابنه مخلد ا حين استخلفه على جرجان .
وهو قوله يا بني انى قد استخلفتك على هذه البلاد . فانظر هذا الحى
من اليمن فكأن لهم كما قال الشاعر .

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى
وانظر هذا الحى من ربيعة فانهم شيئتك وانصارك فاقض حقوقهم .
وانظر هذا الحى من تميم فامطرهم ولا تزه لهم ولا تدنهم فيطعموا
ولا تقصهم فيقطعوا . وانظر هذا الحى من قيس فانهم اكفاء قومك
في الجاهلية . ومناصفوهم المنابر في الاسلام . ورضاهم منك البشر

يا بني ان لا يبك صنائع فلا تفسدها فانه كفى بالمرء نقصاً ان يهدم ما بنى
ابوه . واياك والدماء فانها لا تقيه معها . واياك وشتم الاعراض فان
الحر لا يرضيه عن عرضه عوض . واياك وضرب الا بشار فانه عار باق
ووتر مطلوب . واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى . ولا
تزل الا عن عجز او خيانة . ولا يمنعك من اصطناع الرجل ان يكون
غيرك قد سبقك اليه . فانك انما تصطنع الرجال لفضلها . وايمكن صديقك
عند من يكافيك عنه العشاير . احمل الناس على احسن ادبك يكفوك
انفسهم . واذا كتبت كتابا فاكثر النظر فيه . وايمكن رسولك فيما بيني
وبينك من يفقه عني وعنك . فان كتاب الرجل موضع عقله . ورسوله
موضع سره . واستودعك الله فلا بد للمودع ان يسكت . وللمشيع
ان يرجع . وما عف من المنطق وقل من الخطيئة . احب الى ابيك .

(وكذلك سلك هذا المسلك المحمود قيس بن عاصم المنقري)

فن خطابه الرشيقه . ووصاياه الانيقه . قوله يوصي بنيه يا بني
خذوا عني . فلا احد انصح انكم مني . اذا دفتنوني فانصرفوا الى
رحالكم فسودوا اكبركم . فان القوم اذا سودوا اكبرهم خافوا
اباهم . واذا سودوا اصغرهم ازدرى ذلك بهم في اكفائهم واياكم
ومعصية الله وقطيعة الرحم . وتمسكوا بطاعة امرائكم . فانهم
من رفعوا ارتفع . ومن وضعوا اتضع . وعليكم بهذا المال فاصطوبوه
فانه منبهة للكريم . وجنة لعرض اللئيم . واياكم والمسألة فانها آخر

كسب الرجل . وان احداً لم يسأل الا ترك الكسب . واياكم والنياحة
فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينهى عنها . وادفونى
فى ثيابى التى كنت اصى فيها واصوم . ولا يعلم بكر بن وائل بمدفى
فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والاسلام . واخاف
ان يدخلوا عليكم بى عاراً . وخذوا عنى ثلاث خصال . اياكم وكل
عرق لثيم ارا تلبسوه فانه ان يسرركم اليوم يسوءكم غداً . واكظموا
الغيظ . واحذروا بنى اعداء آبائكم فانهم على منهاج آباءهم . ثم قال .
احيا الضغائن اباء انا سلفوا * فلن تيسد وللآباء ابناء
قال ابن الكلبي فيحكى الناس هذا البيت سابقاً للزبيرى وما هو الا
لقيس بن عاصم .

(ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبي)

فانه كما كان يعد من فحول الشعراء . كذلك كان من مصاقع الخطباء .
وله فى هذا الباب كلام حسن . على اسلوب مستحسن . من ذلك قوله
يخاطب بنيه . يا بني انى قد بلغت من العمر ما لم يبلغ احد من آبائى
واجدادى . ولا بد من امر مقتبل وان ينزل بى منزل بالآباء والاجداد .
والامهات والا ولاد . فاحفظوا عنى ما اوصيكم به . انى والله ما عبرت
رجلاً قط امراً الا عير بى مثله . ان حقاً فحقاً وان باطلاً فباطلاً
ومن سب سب . فكفوا عن الشتم فانه اسلم لاعراضكم . وصلوا
ارحامكم تعمر داركم . واكرموا جاركم يحسن لناؤكم . وزوجوا بنات

العم بنى العم . فان تعديتم بهن الى الغرباء . فلا تألوا بهن الاكفاء .
وابعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فانه اغض للبصر . واعف
للذكر . ومتى كانت المماينة واللقاء . ففي ذلك داء من الادواء . ولا
خير فيمن لا يغار غيره كما يغار نفسه . وقل من انتهك حرمة لغيره
الا انتهك حرمة . وامنعوا القريب . من ظلم الغريب . فانك تذلل
على قريبك . ولا يحمل بك ذل غريبك . واذا تنازعتم في الدماء .
فلا يكن حقكم للقاء . قرب رجل خير من الف . وود خير من حلف .
واذا حدثتم فعوا . واذا حدثتم فاوجزوا . فان مع الاكثار . يكون
الاهذار . وموت عاجل . خير من ضنى آجل . وما بكيت من زمان .
الا دهاني بعده زمان . وربما شجاني . من لم يكن امره عنائي . وما
عجبت من احدوثة . الا رأيت بمدى العجوبة . واعلموا ان اشجع القوم
العطوف . وخير الموت تحت ظلال السيوف . ولا خير فيمن لا روية
له عند الغضب . ولا فيمن اذا عوتب لا يعتب . ومن لا يرجي خيره .
ولا يخاف شره . فبكؤه خير من دره . وعقوقه خير من مره .
ولا تبرحوا في حبكم فانه من ابرح في حب آل ذلك الى قبيح بغض .
وكم زارني انسان وزرته . فانقاب الدهر بنا فبرته . واعلم ان الحليم
سليم . وان السيف كلیم . اني لم امت ولكن هرمت . ودخلتني ذلة
فسكت . وضعف قلبي فاهتت . سلمكم ربكم وحياكم . وقد ذكرت
نبذة من غرر شمائل عمرو المذكور عند ذكر شعر آء العرب .

(ومنهم نعيم بن ثعلبة الكنانى)

كان يخطب العرب فى الموسم . وينقادون لاوامره ويمثلونها
وينتهون عما نهى عنه . وهو اول من نسا الشهور . قال ابو بكر
الانبارى كانوا اذا صدروا من منى قام رجل يقال له نعيم بن ثعلبة
من بنى كنانة . فقال انا الذى لا اعاب ولا يردلى قضاء . فيقولون
انستنا شهراً اى اخر عنا حرمة المحرم فاجعلها فى صفر . وذلك انهم
كانوا يكرهون ان تتوالى عليهم ثلاثة اشهر لا يمكنهم الاغارة فيها لان
معاشرهم كان من الاغارة فيحل لهم المحرم ويحرم عليهم صفرآ . فاذا كان
فى السنة المقبلة حرم عليهم المحرم واحل لهم صفرآ . فقال الله
عز وجل انما النسي زيادة فى الكفر . وقال الشاعر .

السنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

« وقال آخر »

وكنا الناسئين على معد * شهورهم الحرام الى الحليل

« وقال آخر »

نسؤ الشهور بها وكانوا اهلها * من قبلكم والعز لم يحول
وقد استوعبنا الكلام على النسي فى الاعمال التى ابطالها الاسلام .
والمقام اقتضى ايراد شئ منه .

(ومنهم ابو سياره العدوانى)

وهو رجل من بنى عدوان اسمه عميلة بن خالد الاعزل . وكان

احد خطباء العرب المذكورين وكان له حمار اسود اجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى اربعين سنة . وكان يقول اشرق ثبير . كيما نغير . ويقول لاهم انى بائع بياعه . ان كان اثم فعلى قضاءه . لاهم مالى فى الحمار الاسود . اصبحت بين العالمين احسد . هلا يكاد ذوالبجير الجلعد . فق ابا سيارة المحسد . من شر كل حاسد اذا حسد . ومن اداة النافثات فى العقد . اللهم حبيب بين نساءنا . وبغض بين رعائنا . واجعل المال فى سمحائنا . وفيه يقول الشاعر .

خلوا الطريق عن ابي سياره * وعن مواليه بنى فزاره
حتى يحبز سالما حماره * مستقبل القبلة يدعو جاره
* فقد اجاره الله من اجاره *

وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين ويجعلان ابا سيارة لهما قدوة .
(ومنهم الحارث بن ذبيان بن نجا بن مسهب اليماني)

كان من مشاهير خطباء العرب وفصحائهم فى عصره . وله كلام مستحسن تكلم به فى الجامع والمشاهد العظيمة . والخطوب الصعبة .
« روى ابوبكر بن دريد » بسنده الى ابن الكلبي عن ابيه قال اجتمع طريف ابن العاصى والحارث بن ذبيان وهو احد المعمرين . عند بعض مقاويل حمير فتفاخرا . فقال الملك للحارث يا حار ان تخبرنى بالسبب الذى اخرجكم من قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان . فقال اخبرك ايها

الملك خرج هجينان منا يربان غنماً لهما فتشاولا بسيفيهما . فاصاب
صاحبهم عقبة صاحباً فعات فيه السيف فتزف فوات . فسألونا اخذ
دية صاحبنا دية المحجين وهي نصف دية الصريح . فابى قومي وكان
لنا رباء عليهم فابينا الادية الصريح وابو الادية المحجين . وكان اسم
هجيننا زكرآء واسم صاحبهم غنفش بن مهيرة . وهي سودآء ايضاً
قتفاقم الامر بين الحيين . فقال رجل منا .

حلومكم يا قوم لانعزبها * ولا تقطعوا ارحاءكم بالتداب
وادوا الى الاقوام عقل ابن عمهم * ولا ترهقوهم سبة في العشاير
فان ابن زكرآء الذي قاد لم يكن * بدون خليف او اسيد بن جابر
فان لم تماطوا الحق فالسيف بيننا * وبينكم والسيف اجور جار
فتضافروا علينا حسداً فاجمع ذوو الحى منا ان نلحق بامنع بطن من الازد
فلحقنا بالغر بن عثمان . فوالله ماقت في اعضادنا نأينا منهم . ولقد
اثارنا بصاحبنا وهم راغمون . فوثب طريف بن العاصى من مجلسه
فجلس بازآء الحارث . وقال والله ما سمعت كاليوم قولاً ابعد من صواب
ولا اقرب من خطل . ولا اجلب لقتل من قول هذا . والله ايها
الملك ما قتلوا المحجين نبرجا . ولا رقوا ندحا . ولا انطوا به عقلا . ولا
احتفوا به حشلا . ولقد اخرجهم الخوف عن اهلهم . واجلاهم
عن محلهم . حتى استلثوا خشونة الازعاج . ولجؤا الى ضيق الولا
قلا وذلا . فقال الحارث السمع باطريف . انى والله ما اخالك كافا عزب

لسانك . ولا منها شرة نزواتك . حتى اسطوبك سطوة تكف
 جاحك . وترد طماحك . وتكبت تقرر عك . وتقمع تسرعك .
 « فقال طريف » مهلا يا جابر لا تعرض لطحمة اساني . وغرب لساني .
 وذرب شباني وميسم سناني . فتكون كالاطل الموطوء . والجب الموجوء .
 « فقال الحارث » اياي تخاطب بمثل هذا القول . والله لو وطئتك لاسختك
 ولو وهصتك لا وهطتك . ولو بعجتك لافدتك « فقال طريف » ممتلا
 وان كلام المرء في غير كهه * اكالنبيل تهوى ليس فيها نصالها
 اما والاصنام المحجوبة . والا نصاب المنصوبة . لئن لم تربع على ظلمك
 وتقف عند قدرك . لادعق حزنك سهلا . وعمرك فخلا . وصفاك
 وحلا « فقال الحارث » اما والله لورمت ذلك لمرغت بالحضيض .
 واغصصت بالجريض . وضافت عليك الرحاب . وتقطعت عليك
 الاسباب . ولا لقيت لقي تماواه الروامس . بالسهب الطامس .
 « فقال طريف » دون ماناجتك به نفسك . مقارعة ابطال . وحياض
 احوال . وخفر آجال . يمنع منه نظامن الامهال « فقال الملك » ايها عنكما
 فما رايت كايوم مقال رجلين لم يقصبا ولم يثلبا ولم ياصوا ولم يقفوا
 وشرح هذه الالفاظ يطول . فمن اراد ذلك فليراجع كتب اللغة .
 (واما خطب اهل الصدر الاول من الاسلام)

فهي الغاية في الفصاحة . والمنتهى في البراعة والبلاغة . وفي كتب الادب
 الدائرة في الايدي شي كثير من خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم مما تهمير

منه اولو الالباب . وتقضى منه العجب العجيب . قد اشتملت على الحكم والاسرار . وما يستوجب خيري الدنيا والاخرة دار القرار . وما يقرب الى مرضاة الله تعالى ويباعد عن دار البوار . هذا كتاب نهج البلاغة قد استودع من خطب الامام علي ابن ابي طالب سلام الله عليه ما هو قبس من نور الكلام الآلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي . وكذلك اهل القرن الثاني فليسوا باقل فصاحة من العرب العرباء . ولا من اوائك الخطباء . روى ابو بكر بسنده الى ابن الكلبي عن ابيه قال لما قتل عبد الملك مصعباً بن الزبير دخل الكوفة فصعد المنبر فحمد الله واتى عليه . ثم قال ايها الناس ان الحرب صعبة مرة . وان السلم امن ومسرة . وقد بنتنا الحرب وزيناها . ففرقناها والفناها . فحنن بنوها وهي امنا . ايها الناس فاستقيموا على سبل الهدى ودعوا الاهواء المردية . وتجنبوا فراق جماعة المسلمين . ولا تكلفونا اعمال المهاجرين الاولين . وانتم لا تعلمون اعمالهم . ولا اظنكم تزدادون بعد الموعدة الا شرا . وان تزداد بعد الاعذار اليكم . والحجة عليكم الاعقوبة . فمن شاء منكم ان يعود بعد مثلها فليعد . وانما مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعه .

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة * يصل بنار كريم غير غدار
انا التذير لكم منى مجاهرة * كي لا الام على نهى وانذار
فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * ان سوف تلقون خزيا ظاهرا عار

لترجمـن احاديثا ملفقة * لهو المقيم ولهو المدلج السارى
من كان في نفسه حوجاء يطالبها * عندي قاني له رهن باسحار
اقيم عوجيه ان كان ذاعوج * كما يقوم قدح الذبعة البارى
وصاحب الوتر عندي ليس مدركه * عندي واني لدراك لا وتارى
« وروى ابو بكر ايضا » قال ولى جعفر بن سليمان اعرابياً بعض مياهم
فخطبهم يوم الجمعة فحمد الله واشى عليه . ثم قال اما بعد فان الدنيا
دار بلاغ . والآخرة دار قرار . فخذوا من عمركم لمقرم . ولا
تهتكوا استاركم . عند من يعلم اسراركم . واخرجوا الدنيا من قلوبكم
قبل ان تخرج منها ابدانكم . ففيها حياتكم واغيرها خلقتكم . ان الرجل
اذا هلك . قال الناس ماترك وقالت الملائكة ما قدم قلله اباؤكم قدموا
بعضا . يكن لكم قرضا . ولا تخافوا كلا . اقول قولى هذا واستغفر الله
لى ولكم « وروى ابو بكر » قال حدثنا ابو عثمان عن الثورى عن ابى
عبدة . قال قعد المأمور الحارثى فى نادى قومه فنظر الى السماء والنجوم
ثم فكر طويلا ثم قال ارعوني اسماعكم واصغوا الى قلوبكم يباغ الوعظ
منها حيث اريد . طمع بالا هواء الاشر . وران على قلوبكم الكدر .
وطع خداح الجهل النظر . ان فيما يرى لمعتبر لمن اعتبر . ارض موضوعة .
وسماء مرفوعة . وشمس تطلع وتغرب . ونجوم تسرى فتعزب .
وقر تطلعه البحور . وتمحقه ادبار الشهور . وعاجز مئثر . وقول مكدر .
وشاب محتضر . ومفن قد غبر . ورائحون لا يؤبون . وموقوفون

لا يوطون . ومطر يرسل بقدر . فيحيى البقر . ويورق الشجر . ويطلع
 الثمر . وينبت الزهر . وما يتفجر من الصخر الا ير . فيتصدع المدر .
 عن افنان الخضر . فيحيى الانام . ويشبع السوام . وثمر الانعام . ان
 في ذلك لاوضح الدلائل على المدبر المقدر . البارئ المصور . يا ايها العقول
 النافرة . والقلوب النائرة انى تؤفكون . وعن اى سبيل تعمهون .
 وفى اى حيرة تهيمون . والى اى غاية توفضون . لو كشفت الاغطية
 عن القلوب . وتجلت الغشاوة عن العيون . اصرح الشك عن اليقين .
 وافاق من نشوة الجهالة . من استولت عليه الضلالة . وما ذكرناه
 من بديع الخطب . ومستحسن كلام الرب . وان كان قطرة
 من مستعذب بحر . ودرة فريدة من عقد نحر . فهو كاف فى هذا
 المقام . وكافل بادآء المتصود والمرام .

(ومن علومهم علم الانساب)

وهو علم يتعرف به انساب الناس . والعرب فى الجاهلية كان
 لهم مزيد اعتناء بضبطه ومعرفة قاته احد اسباب الالفه والتناصر
 وهم كانوا احوج شئ الى ذلك . حيث كانوا قبائل متفرقين . واحزابا
 مختلفين . لم تزل نيران الحروب متسعة بينهم والغارات نائرة فيهم
 فانهم امتنعوا عن سلطان يهزمهم ويكف الاذى عنهم فحفظوا انسابهم
 ليكونوا متظافرين به على خصومهم . ومتناصرين على من شاققهم
 وعاداهم لان تعاطف الارحام وحمة الاقارب يبعثان على التناصر

والالفة. ويمنعان من التخاذل والفرقة. انفة من استعلاء الاباعد على الاقارب. وتوقياً من تسلط الغرباء الاجانب. وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الرحم اذا تماست تعاطفت وقد بلغت العرب بالفة الانساب تناصرها على القوى وتأيدت به. واستحكمت به ركن مجدها العلى. وقد اعذر نبي الله لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث اليهم لو ان لي بكم قوة او آوى الى ركن شديد يعنى عشيرة مانعة. وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعده نبياً الا في ثروة من قومه وقال وهب لقد وردت الرسل على لوط وقالوا ان ركنك لشديد. وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان لا يترك المرء مفرجا حتى يضمه الى قبيلة يكون منها. وكل ذلك حث منه صلى الله تعالى عليه وسلم على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كثر سواد قوم فهو منهم. واذا كان النسب بهذه المنزلة من الالفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المتنافية لها. فلزم ان نصف حال الانساب. وما يمرض لها من الاسباب. فجملة الانساب انها تنقسم الى ثلاثة اقسام. قسم والدون. وقسم مولودون. وقسم مناسيون. ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض يطرا فيهم على العقوق والقطيعة. فاما الوالدون فهم الآباء والأمهات والاجداد والجندات وهم موسومون مع سلامة احوالهم

بخلقين . احدهما لازم بالطبع . والثاني حادث باكتساب . فاما ما كان لازماً بالطبع فهو الحذر والاشفاق وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الولد مَجْمَلَةٌ مَجْمَلَةٌ محبنة محزنة فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف ويحدث هذه الاخلاق . وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التي لا يقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعاً . وحدوثها حتماً . وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بالك تكره الولد فقال مالى وللولد ان عاش كدنى وان مات هدى . وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام الا تتزوج فقال انما يحب التكاثر في دار البقاء . واما ما كان حادثاً بالاكتساب فهي المحبة التي تنمى مع الاوقات . وتتغير مع تغير الحالات . وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الولد انوط يعنى ان حبه يلتصق بنياط القلب . وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لكل شئ ثمرة وثمره القلب الولد فان انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبغض منه وان كان لسوء حدثت عن عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذي لا يزول عنه ولا ينتقل منه . فقد قال محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى رضى الآباء للابناء فحذرهم فنبههم ولم يوصهم بهم ولم يرض الابناء للآباء فآوصاهم بهم . وان شر الابناء من دعاء التقصير الى العقوق وشر الآباء من دعاء البر الى الافراط . والامهات اكثر اشفاقا واوفر حياء لما باشرن

من الولادة وعين من التربية . فانهم ارق قلوبا والين نفوساً وبحسب ذلك وجب ان يكون التعطف عليهن او فرج جزاء افعلهن وكفاء لحقهن وان كان الله تعالى قد اشرك بينهما في البر وجمع بينهما في الوصية . فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسناً . وقد روى ان رجلاً اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان لي امّاً انا مطيعها اقمدها على ظهري ولا اصرف عنها وجهي واردا اليها كسبي فهل جزيتها قال لا ولا بفرقة واحدة . قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهي تحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها . وقال الحسن البصري حق الوالد اعظم . وبز الوالد الزم . وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال انهاكم عن عقوق الامهات وواد البنات ومنع وهات . وروى خالد بن معدان عن المقدم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب . واما المولودون فهم الاولاد واولاد الاولاد . والعرب تسمى ولد الولد الصفوة وهم مختصون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم والاخر منتقل . فاما اللازم فهو الانفة للاباء من تهضم او خول والانفة في الابناء في مقابلة الاشفاق في الاباء . وقد لحظ ابو تمام الطائي هذا المعنى بقوله .

فاصحت يلقاني الزمان لاجله * باعظام مولود واشفاق والد

فاما المنتقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال في الابناء في مقابلة المحبة في الاباء لان المحبة بالاباء اخص . والادلال في الابناء اعم .

وقد روى عن عمر انه قال قلت يا رسول الله ما بالنا نرق على اولادنا ولا يرقون علينا قال لانا ولدناهم ولم يلدونا ثم الادلال في الابناء قد ينتقل مع الكبر الى احد امرين اما البر والاعظام . واما الى الجفاء والعقوق . فان كان الولد رشيداً او كان الاب برّاً عطوفا صار الادلال برّاً واعظاما . وقد روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله ان حق الوالد على الولد ان يخشع له عند الغضب . ويؤثره على نفسه عند النصب والسغب . فان المكافى ليس بالواصل ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها . وان كان الولد غاوياً . او كان الوالد جافياً . صار الادلال قطيعة وعقوقا . ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله امراً اعان ولده على بره . وبشر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بمولود فقال ربحانة اشتمها ثم هو عن قريب ولد بار . او عدو ضار . واما المناسبون فهم من عدا الاباء والابناء ممن يرجع بتعصيب او رحم . والذي يختصون به الحمية الباعثة على النصره وهى ادنى رتبة الالفه لان الالفه تمنع من التهضم وايس لها فى كراهة التحول نصيب الا ان يقترن بها ما يبعث على الالفه وحمية المناسبين انما تدعو الى النصره على البعداء والاجانب . وهى معرضة لحسد الادانى والاقارب . موصولة الى منافسة صاحب بالصاحب . فان حرست بالتواصل والتلاطف تأكدت اسبابها . واقترن بحمية النسب مصافاة المودة . وذلك اوكد اسباب الالفه . وقد قيل

لبعض قريش ايما احب اليك اخوك او صديقك قال اخي اذا كان صديقاً . وقال مسلة بن عبد الملك العيش في ثلاث سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل . وقال بعض اهل العلم البعيد قريب بمودته . والقريب بعيد بعداوته . وان اهملت الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب واعتماداً على حمية القرابة غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسبة عداوة والقرابة بعدا . وقال الكندي في بعض رسائله الاب رب والولد كمد والاخ فخ والم غم والحال وبال والاقارب عقارب . وقال ابن المعتز في معنى ذلك .

لحومهم لحمي وهم يأكلونه * وما داهيات المرء الا اقاربه
ومن اجل ذلك امر الله تعالى بصلة الارحام واتى على واصلها . فقال تعالى والذين يصلون ما امر الله ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . قال المفسرون هي الرحم التي امر الله بوصلها ويخشون ربهم في قطعها ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها . وروى عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهي الرحم اشتقت لهما من اسمي اسماً فن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال صلة الرحم مناة للعدد ثمرة للمال محبة في الاهل منساة في الاجل . وقال الازدي .

وحسبك من ذل وسوء صنعة * مناواة ذي القربى وان قيل قاطع

ولا يكن اواسيه وانسى ذنوبه * لترجمه يوما الى الرواجع
 ولا يستوى في الحكم عبدان واصل * وعبد لارحام القرابة قاطع
 والمقصود ان اعتناء العرب بحفظ الانساب لما يترتب عليه من مقاصدهم
 التي ذكرناها والشرية اكدت ما كانوا عليه وندبت بنصوصها اليه
 خلافا لمن زعم ان علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر . وقد رد
 ابن حزم في مقدمة كتاب النسب على من زعم ذلك بان في علم النسب
 ما هو فرض على كل احد وما هو فرض على الكفاية وما هو مستحب
 قال فمن ذلك ان يعلم ان محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 هو ابن عبد الله الهاشمي فمن زعم انه لم يكن هاشمياً فهو كافر . وان يعلم ان
 الخليفة من قریش . وان يعرف من يلقاء بنسب في رحم محرمة ليجتنب
 تزويج ما يحرم عليه منهم . وان يعرف من يتصل به بمن يرثه او يجب عليه
 بره من صلة او نفقة او معاونة . وان يعرف امهات المؤمنين وان
 نكاحهن حرام على المؤمنين . وان يعرف الصحابة وان حجبهم مطلوب .
 وان يعرف الانصار ليحسن اليهم لثبوت الوصية بذلك . ولان حجبهم ايمان
 وبغضهم نفاق . قال ومن الفقهاء من يفرق في الجزية وفي الاسترقاق
 بين العرب والجم فحاجته الى علم النسب أكد وكذا من يفرق
 بين نصارى بنى تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة . قال وما
 فرض عمر رضي الله تعالى عنه الديوان الاعلى القبائل . ولولا علم
 النسب ما تخاص له ذلك وقد تبعه على ذلك عثمان وعلى وغيرها .

وقال ابن عبد البر في اول كتابه النسب ولعمري لم ينصف من زعم ان علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر . وقال صاحب كتاب نهاية الارب . في معرفة قبائل العرب . لا خفاء ان المعرفة بعلم الانساب من الامور المطلوبة . والمعارف المندوبة . لما يترتب عليها من الاحكام الشرعية . والمعامل الدينية . فقد وردت الشريعة المطهرة باعتبارها في مواضع . منها العلم بنسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها الى المدينة المنورة فانه لا بد لصحة الايمان من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم في الجهل به وناهيك بذلك . ومنها التعارف بين الناس حتى لا يعتزى احد الى غير آباءه . ولا ينتسب الى سوى اجداده . والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر واثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وعلى هذا يترتب احكام الورثة فيحجب بعضهم بعضا واحكام الاولياء في النكاح فيقدم بعضهم على بعض واحكام الوقف اذا خص الواقف بعض الاقارب او بعض الطبقات دون بعض واحكام العاقلة في الدية حتى يضرب الدية على بعض العصابات وما يجري مجرى ذلك فلولا معرفة الانساب لفات ادراك هذه الامور وتعذر الوصول اليها . ومنها اعتبار النسب في كفاء الزوج والزوجة في النكاح ففي مذهب الامام الشافعي لا يكافي الهاشمية والمطالية غيرها من قریش . ولا يكافي القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي وفي الكنيانية وجهان

اصحهما ان لا يكافيا غيرها ممن ليس بكناني ولا قرشي . وفي اعتبار النسب في العجمي ايضاً وجهان اصحهما الاعتبار . وفي مذهب الامام ابي حنيفة قريش بعضهم اكفاء بعض وبقية العرب بعضهم اكفاء بعض . واما في العجم فلا يعتبر النسب عندهم فاذا لم يعرف النسب تعذرت معرفة هذه الاحكام . ومنها مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لدينها وحسبها ومالهها وجمالها . فراعى صلى الله تعالى عليه وسلم في المرأة المنكوحة الحسب وهو الشرف في الاءاء . الى غير ذلك من الاحكام الجارية هذا المجرى .

(طبقات الانساب)

قال الامام الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية وقد رتبت انساب العرب ست مراتب فجعلت طبقات انسابهم وهي شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة . فالشعب النسب الابعد مثل عدنان وقحطان سمي شعباً لان القبائل منه تشعبت . ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة ومضر سميت قبيلة لتقابل الانساب فيها . ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم . ثم الفخذ وهو ما انقسمت فيه انساب البطن مثل بني هاشم وبني امية . ثم الفصيلة وهي ما انقسمت فيه

انساب الفخذ مثل بنى ابي طالب وبنى العباس . فالفخذ يجمع الفصائل
والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمار
والشعب يجمع القبائل . واذا تباعدت الانساب صارت القبائل شعوبا
والعمار قبائل انتهى . وقد قسمها الزبير بن بكار في كتاب النسب
الى شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة
وزاد غيره قبل الشعب الجذم وبعد الفصيلة العشيرة . ومنهم من زاد
بعد العشيرة الاسرة ثم المتر . فثال الجذم عدنان ومثال الشعب
مضر ومثال القبيلة كنانة ومثال العمارة قريش وامثلة مادون ذلك
لا تخفى . قال ويقع في عباراتهم اشياء مرادفة لما تقدم كقولهم حتى
ويت وعقيلة وارومة وجرثومة ورهط وغير ذلك . ورتبها محمد بن
اسعد النسابة المعروف بالحراني جمعها واردها فقال جذم ثم جمهور
ثم شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم عشيرة ثم فصيلة ثم
رهط ثم اسرة ثم عتره ثم ذرية . وزاد غيره في اثنائها ثلاثة وهي
بيت وحى وجماع فزادت على ما ذكر الزبير عشيرة . وقال ابو اسحق
الزجاج القبائل للعرب كالاسباط ابني اسرائيل ومعنى القبيلة الجماعة
ويقال لكل ما جمع على شئ واحد قبيلة اخذا من قبائل الشجرة
وهو غصونها او من قبائل الرأس وهو اعضاؤها سميت بذلك لاجتماعها
والمراد بالشعوب في الاية النسب البعيد . وهو قول مجاهد اخرج
الطبري عنه وذكر ابو عبيدة . مثال الشعب مضر وربيعه ومثال القبيلة

من دون ذلك . وانشد لعمر بن احرر .
 من شعب همدان اوسعد العشيرة او * خولان او مذحج هاجوا له طربا
 ويقال المراد بالشعوب في الاية بطون العجم وبالقبائل بطون العرب والله
 اعلم . وترتيب الامام الماوردي هو الاول بالاعتبار . وكان العرب رتبوا
 ذلك على بنية الانسان فجعلوا الشعب منها بمثابة اعلى الرأس والقبائل
 بمثابة قبائل الرأس وهى القطع المشعوب بعضها الى بعض يتصل بها
 الشؤون وهى القنوات التى فى القحف لجريان الدمع . وقد ذكر الجوهري
 ان قبائل العرب انما سميت بقبائل الرأس وجعلوا العمارة تلو ذلك
 اقامة للشعب والقبيلة مقام الاساس من البناء وبعد الاساس تكون
 العمارة وهى بمثابة العنق والصدر من الانسان وجعلوا البطن تلو
 العمارة لانها الموجود من البدن بعد العنق والصدر وجعلوا الفخذ
 تلو البطن لان الفخذ من الانسان بعد البطن وجعلوا الفصيلة تلو
 الفخذ لانها النسب الادنى الذى يفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم
 اذا المراد بالفصيلة العشيرة الاذنون بدليل قوله تعالى وفصيلته التى
 تؤويه اى تضمه اليها ولا يضم الرجل الا اقرب عشيرته . واعلم ان اكثر
 ما يدور على اللسان من الطبقات الست المتقدمة القبيلة ثم البطن
 وقل ان تذكر العمارة ثم الفخذ والفصيلة وربما عبر عن كل واحد
 من الطبقات الست بالحى . اما على العموم مثل ان يقال حى من العرب
 واما على الخصوص مثل ان يقال حى من بنى فلان . ثم ان ترتيب

العرب في الديوان اذا اُبتوا فيه كالترتيب الذي فعله عمر رضي الله تعالى عنه حين دواهم فانهم تجمعهم انساب وتفرق بينهم انساب . فترتب قبائلهم بالقرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبدأ بالترتيب في اصل النسب ثم بما تفرع عنه . فالعرب عدنان وقحطان فقدم عدنان على قحطان لان النبوة فيهم . وعدنان تجمع ربيعة ومضر فقدم مضر على ربيعة لان النبوة فيهم . ومضر تجمع قريشاً وغير قريش فقدم قريشاً لان النبوة فيهم . وقريش تجمع بني هاشم وغيرهم فقدم بني هاشم لان النبوة فيهم . فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ثم بمن يليهم من اقرب الانساب اليهم حتى استوعب قريشاً . ثم بمن يليهم في النسب حتى استوعب جميع عدنان . والله يختص بفضله من يشاء .

(مايجب للناظر في علم الانساب)

لا بد للناظر في علم الانساب من امور منها ما ذكره الجوهري ان القبيلة هي بنو اب واحد . وقال ابن حزم جميع قبائل العرب راجعة الى اب واحد سوى ثلاث قبائل . وهي تنوخ والعنق وغسان فان كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون . نعم الاب الواحد قد يكون ابا عدة بطون . ثم ابو القبيلة قد يكون له عدة اولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة او قبائل فينسب اليه من هو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد او يولد له ولم يشتهر ولده فينسب الى القبيلة الاولى « ومنها » اذا اشتغل النسب على طبقة فاكثر كهاشم وقريش ومضر وعدنان جاز لمن في الدرجة

الاخيرة من النسب ان ينتسب الى الجميع فيجوز لبني هاشم ان ينتسبوا الى هاشم والى قريش والى مضر والى عدنان . فيقال في احدهم الهاشمي وانقرشي والمضري والعدناني . بل قد قال الجوهرى ان النسبة الى الاعلى مغن عن النسبة الى الاسفل فادا قلت فى النسبة الى كلب بن وبرة الكلابى استغنيت عن ان تنسبه الى شىء من اصوله . وذكر غير ما نه يجوز الجمع فى النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل ان يقال الاموى العثماني وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال العثماني الاموى «ومنها» ان الرجل قد ينضم الى غير قبيلته بالخلف والموالاة فينسب اليهم فيقال فلان حليف بنى فلان او مولاهم ومنها ان الرجل اذا كان من قبيلة ثم دخل فى قبيلة اخرى جاز ان ينسب الى قبيلته الاولى وان ينسب الى القبيلة التى دخل فيها وان ينسب الى القبيلتين جميعاً مثل ان يقال التميمي ثم الوائلى او الوائلى ثم التميمي وما اشبه ذلك «ومنها» ان القبائل فى الغالب تسمى باسم الاب الوالد للقبيلة كربيعة ومضر والاوز والحررج ونحو ذلك . وقد تسمى القبيلة باسم ام القبيلة كخندف وبجيلة ونحوها . وقد تسمى باسم خاصته ونحوها وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان فانهم نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به . وربما وقع اللقب الواحد عليه فسموا به وقيل غير ذلك مما هو مذكور فى كتب الانساب «ومنها» اذا كان فى القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والحارث مثلاً واحدهما من ولد

الاخر وبعده في الوجود عبروا عن الوالد السابق منهما بالأكبر وعن
اللاحق بالصغر .

(مذهب العرب في اسماء القبائل)

اسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة اوجه (الاول)
ان يطلق على القبيلة لفظ الاب كعاد وثمود ومدين ومن شاكلهم
وبذلك ورد القرآن كقوله تعالى والى عاد والى ثمود والى مدين
يريد بنى عاد وبنى ثمود وبنى مدين ونحو ذلك . واكثر ما يكون
ذلك في الشعوب والقبائل العظام لاسيما في الازمان المتقدمة . بخلاف
البطون والافخاذ ونحوها (الوجه الثانى) ان يطلق على القبيلة
لفظ البنوة فيقال بنو فلان واكثر ما يكون ذلك في البطون والافخاذ
والقبائل الصغار لاسيما في الازمان المتأخرة (الوجه الثالث) ان ترد
القبيلة بلفظ الجمع مع الالف واللام كالطائيين والجهافرة ونحوها
واكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم (الوجه الرابع)
ان يعبر عنها بال فلان كآل ربيعة وآل فضل وآل على وما شبه ذلك
واكثر ما يكون هذا في الازمنة المتأخرة لاسيما عرب الشام
(الوجه الخامس) ان يعبر عنها باولاد فلان ولا يوجد ذلك
الا في المتأخرين من افخاذ العرب على قلة .

(مذهب العرب في التسمية والكنى)

الغالب على العرب تسمية ابنائهم بمكروه الاسماء ككلب وحنظلة

وضرار وحرب وما اشبه ذلك . وتسمية عبيدهم بمحجوب الاسماء
 كفلاح ونجاح ونحوهما . والسبب في ذلك ما يحكى انه قيل لابي الدقيس
 الكلابي لم تسمون ابناكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب . وعبيدكم
 باحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح . فقال انما نسمي ابناؤنا لاعدائنا
 وعبيدنا لانفسنا . يريد ان الابناء معدة للاعداء . فاختاروا لهم
 شر الاسماء والعبيد معدة لانفسهم فاختاروا لهم خير الاسماء . كذا
 في كتاب نهاية الارب . وقال الحافظ ابن القيم في كتاب مفتاح دار
 السعادة كانت للعرب مذاهب في تسمية اولادهم . فمنهم من سمي تفؤلا
 بالظفر على اعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وغارم ومنازل
 ومقاتل ومعارك ومسير ومؤرق ومصبح وطارق . ومنهم من تفال
 بنيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد واسعد وسعود وسعدى وغام
 ونحو ذلك . ومنهم من قصد التسمية بما غاظ وخشن من الاجسام
 تفؤلا بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل . ومنهم من كان يخرج
 من منزله وامراته تخض فيسمى ماتلده باسم اول ما يلقاه كائنا ما كان
 من سبع او ثعبان او ضب او ظبي او كلب او حشيش او نحو ذلك . وكان
 القوم على ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام انتهى . وغالب اسماء
 العرب كما في النهاية منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه
 ويمجاورونه . اما من الحيوان كاسد ونمر . واما من النبات كنبت
 وحظلة . واما من الحشرات كحية وحنش . واما من اجزاء الارض

كفهر وصخر ونحو ذلك . ورأيت في سبب تسمية الموضع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بوادي السباع وهو من نواحي الكوفة بين البصرة ومكة . ان اسماء بنت دريم بن القين بن اهوز بن بهراء كان يقال لها ام الاسبع وولدها بنو وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم السباع . وهم كلب واسد والذئب والفهد والثعلب وسرحان ونزك بفتح النون وسكون الزاي وهو الحريش ويقال له الكركدن له قرن واحد يحمل الفيل على قرنه على ما قيل وجعثم وهو الضبيع والفزر وهو البيرنوع من الضباع دون جرم الفهد الا انه اشد واجراً منه وعنزة وهي دابة طويلة الخطم تعد من رؤس السباع تأتي الناقة فتدخل خطمها في حياتها وتأكل ما في بطنها . وتأتي البعير فتتملخ عينيه . وهو وضيع والسمع بالكسر وهو ولد الذئب من الضبع وديسم وهو الثعالب وقيل ولد الذئب ونمس وهو دويبة فوق ابن عرس يأكل اللحم وهو اسود ملع بياض والعقر جنس من البير وسيد والدل والظربان دويبة منتنة الفساء ووعوع وهو ابن اوى الضخم . وكانت تنزل مع اولادها بهذا الوادي فسمى وادي السباع باولادها تغليباً . فان السباع جمع سبع . وهو يقال على ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها مثل الاسد والذئب والفهر . فلما الثعلب فانه وان كان له ناب فانه ليس بسبع لانه لا عدوان له وكذلك الضبع . قال ابن حبيب مر وائل

ابن قاسط باسماء هذه ام ولد وبرة وكانت امرأة جميلة وبنوها يرعون حولها فهم بها فقالت له اعلك اسررت في نفسك مني شيئاً فقال اجل فقالت لئن لم تنه لاستصرخن عليك اسبى فقال والله ما ارى بالوادي احداً فقالت لودعوت سباعه لمنعتني منك واعانتني عليك فقال او تفهم السباع عنك قالت نعم . ثم رفعت صوتها ياكلب ياذئب يافهد يادب ياسرحان ياسد فجاؤا يتعادون ويقولون ما خبرك يا اماء قالت ضيفكم هذا احسنوا قراء ولم تر ان تفضع نفسها عند بنينا فذبخوا له واطعموه فقال وائل ما هذا الا وادي السباع فسمى بذلك انتهى . وقد ذكرت هذه القصة ايضاً في القاموس مع اختصار . ومنهم من كان يسمى بعبد العزى وعبد ود وعبد مناة ونحو ذلك مما فيه اضافة العبودية لاحد اصنامهم . ومنهم من كان يسمى بيت شعر ونحوه مما يطول ذكره (واما الكنى) فقد وقعت في كلامهم قديماً وحديثاً وكانت العرب تقصد بها التعظيم فان بعض النفوس تأفف ان تخاطب باسمها ولذلك يجاء بها للانسان في مقام الاكرام والاحترام كما يشير الى ذلك قول الشاعر .

اكنيه حين ناديه لاكرمه * ولا القبه والسوءه اللقبه

واصل الكنية من الكنايه وهو ان تنكلم بالشيء وتريد به غيره ويقال كنيته وكنوت بكذا وعن كذا كنية وكنية والجمع الكنى واكتنى فلان بكذا ويكنى بكذا وكنيته ابا كذا وبابى كذا وجاء التخفيف والتثقيب والتخفيف اكثر وقلان كنى فلان اذا شاركه في الكنية كما يقال سمي

اذا شاركه في الاسم (وسبب الكنى في العرب) ان ملكا من ملوكهم الاول ولد له ولد توسم فيه امارات النجابة فشغف به فلما نشأ وترعرع وصلاح لازيؤدب ادب الملوك احب ان يفرد له موطئاً بعيداً من العمارة يكون فيه مقيماً يتخلق باخلاق مؤدبيه ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه فبنى له في البرية منزلاً ونقله اليه ورتب له من يؤدبه بانواع الاداب العلمية والمملكية . واقام له ما يحتاج اليه من امر دنياه ثم اضاف اليه من هو من اقارانه واضرا به من اولاد بنى عمه وامراته ليونسوه ويتأدبوا بادابه ويحببوا له التأدب بموافقتهم له عليه وكان الملك في رأس كل سنة يمضى الى ولده ويستصحب معه من اصحابه من له ولد عند ولده ليبصروا اولادهم . فكانوا اذا وصلوا اليهم سأل ابن الملك عن اولئك الذين جاؤا مع ابيه ليعرفهم باعيانهم فيقال له هذا ابو فلان وهذا ابو فلان يعنون اباء الصبيان الذين هم عنده فكان يعرفهم باضافتهم الى ابنائهم فمن هنالك ظهرت الكنى في العرب . ثم انتشرت واتسعت حتى صاروا يكونون كل انسان باسم ابنه . ثم اتسع الامر فصاروا يكونون من لم يكن له ابن وكان له بنت بنته كما قيل لمسروق بن الاعدع ابو عائشة ومن لم يكن له ابن ولا بنت يكنونه باقرب الناس اليه . كما كنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن الزبير وهو صبي بابي بكر وهو جد لامه اسماء . ثم لما ولد له ولد سماه خبيبا وتكنى به فصار له كنيتان وجروا في كنى النساء بالامهات هذا المجري فقالوا ام سلمة

وام زينب في الكنى بالاولاد . وام عبد الله في كنية عائشة رضى الله تعالى عنها يمتون عبد الله بن الزبير وهو ابن اختها اسماء حيث لم يكن لها ولد . ثم لما شارك الناس في الولادة باقى الحيوانات كنوا ماكنوا منها بالاباء والامهات كابى معاوية لابن آوى وام عامر للضيع واجروها في ذلك مجرى الاناسى . وكذلك فعلوا في اضافة الابناء والبنات اكراما واحتراما لهم باضافتهم الى آباءهم مع ترك اسمائهم فقالوا ابن عباس وابن عمر . وكانوا يقولون للحسين ابن بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة له بامه واجروا غير الاناسى مجراها في ذلك فقالوا ابن قنبر للحية وبنت حذف لضرب من غنم الحجاز . ولما توسعوا في اجراء الحيوانات الهجم مجرى الناس في الكنى والابناء حملوا عليها بعض الجمادات فاجروها مجراها . فقالوا ابا جابر للخبز وام قار لاداهية وابن ذكاء للصبي وبنت الارض للحصاة . ثم انهم لم يجروه على سنن واحد فكنوا بالاباء مذكراً على الاصل فقالوا للذئب ابو جمعة وللنمر ابو جهل . وكنوا بها مؤنثاً من الجمادات فقالوا للنار ابو سريع وابو حباب وكذا في الامهات فقالوا للقوس ام السهام ولجبل معروف ام سخل وجروا فى البنين والبنات هذا المجرى فقالوا للغراب ابن داية ولطائر معروف بنت الماء . وقد جروا فى الاسماء والكنى على قسمين معتاد ونادر فمن المعتاد الكنية بالاولاد والنادر كابى تراب لعلى كرم تعالى وجهه واستعملوها ايضاً فى ذى وذات . فمن المعتاد ذوالجلال

وذات البروج . ومن النادر ذوالنون وذات النطاقين . ومن الكنى والابناء ما جعل علماً للمسمى لالمعنى فيه ومنها ما جعل صفة لمعنى فيه . وينقسم ماسمونه من هذه الاسماء والكنيات والاضافات الى ثلاثة اقسام . الاول ما يلزم ال كابي الحارث الاسد وابي الحصين للشعلب . والثاني ما لا تدخله ال كابي جمعة وام عاصروا بن داية وبنت طبق للحبة . والثالث ما يجوز ادخال ال فيه واسقاطها كابي مضاء للفرس وام رثال للنعمانة وابن ماء لطير الماء . وقد اتسعوا في الام اكثر من اتساعهم في الاب . واتسعوا في الابن والبنت اكثر من اتساعهم في الام حتى قالوا للقصيدة من الشعر هي ابنة ليلى وفلان ابن بطنه وابن فرجه اذا كان همه فيهما وابن يومه اي لا يتفكر في غده . وقالوا هؤلاء ابناء فارس والروم وابناء مكة وخراسان ولم يستعملوا هذا في الاء والامهات ولم يقصروا هذا التوسع في هذه الاسماء خاصة بل اجروه في غيرها . فقالوا لمن صاحب شيئاً او عانا او اكثر من استعماله هو اخوه واخته . ومن ذلك قول الشاعر .
اخا الحرب اباساً اليها جلالها * وليس بولاج الخوالف اعزلا
وقول ابي الاسود الدثلي في الخمر والنبيذ .

قالا يكنها او تكنه فانه * اخوها غدته امه بلبانها

ومن الاشخاص من له اسم ولا كنية له وهو الاكثر ومن له اسم وكنية وهو دون الاول في الكثرة . ومن يكون له علم وكنية واسم جنس كاسامة وابي الحارث والاسد . ومن له كنية وليس له اسم غيرها

كأبي براقش لحيوان معروف وام رباح بالباء الموحدة لطائر اغبر احمر
 الجناحين والظهر يا كل العنب . ومن له كنيستان في حالين كما صر بن
 الطفيل كان يكنى في السلم بأبي علي وفي الحرب بأبي عقيل . ومن يكون
 له كنيستان او أكثر في حالة واحدة وهو كثير . وقد الف الامام
 العالي كتابا حافلا في الكنى وما يناسبها وهو كتاب جليل والله الموفق
 (من اشتهر من العرب في معرفة النسب)

كانت العرب لمزيد اعتنائها بحفظ الانساب اكثر الناس معرفة
 بها ولم تخل قبيلة من قبائلهم من نسابة يلحق الفروع باوصولها وينفى
 عنها من ليس منها حتى كادوا يكونون جميعاً على هذه الصفة واستيعاب
 ذكرهم في هذا المقام مما لا يمكن غير انا نذكر من ضرب به المثل
 في هذا الباب .

(منهم دغفل بن حنظلة السدوسي من بني شيبان)

فن امثالهم فلان النسب من دغفل وهو رجل من بني ذهل
 ابن ثعلبة بن عكابة كان اعلم اهل زمانه بالانساب زعموا ان معاوية
 سأل عن اشياء فخبّره بها فقال بم علمت قال بلسان سؤال . وقلب عقول .
 على ان للعلم آفة واضاعة . ونكدا واستجاعة . فآفته النسيان واضاعته
 ان تحدث بها من ليس باهله واستجاعته ان صاحبه منهوم لا يشبع ونكده
 الكذب فيه . وقال القتيبي هو دغفل بن حنظلة السدوسي ادرك
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ووفد على معاوية

وعنده قدامة بن جراد القريني فنسبه دغفل حتى بلغ ابيه الذي
ولده فقال وولد جراد رجلين اما احدهما فشاعر سفيه والاخر
ناسك فايهما انت قال انا الشاعر السفيه وقد اصبحت في نسبتي وكل
امري فاخبرني بابي انت متى اموت قال دغفل اما هذا فليس عندي
وقته الا زارقة . قال الميداني عند الكلام على قولهم ان البلاء موكل
بالمنطق . روى عن المفضل ان اول من قال ذلك ابو بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس قال حدثني علي ابن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه لما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب وانا معه وابو بكر فدفعنا
الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر وكان نسيابة فسلم فردوا
عليه السلام فقال بمن القوم قالوا من ربيعة . فقال امن هاتما ام من
لهازمها قالوا من هاتما العظمى . قال فاي هاتما العظمى اتم قالوا
ذهل الاكبر . قال افنكم عوف الذي يقال له لاجر بوادي عوف
قالوا لا . قال افنكم بسطام ذواللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا . قال
افنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار قالوا لا . قال افنكم
الحوفزان قاتل الملوك وسالباها نفسها قالوا لا . قال افنكم المزداف صاحب
العمامة الفردة قالوا لا . قال فنكم اخوال الملوك من كندة قالوا لا .
قال فنكم اصهار الملوك من لخم قالوا لا . قال فلستم ذهلا الاكبر اتم ذهل
الاصغر . فقام اليه غلام قد بقل وجهه . يقال له دغفل فقال .

ان على سائلنا ان نسأله * والعاب لا تعرفه او تحمله
يا هذا انك قد سألتنا فلم نكتبك شيئاً فمن الرجل قال رجل من قريش
قال بخ بخ اهل الشرف والرياسة . فمن اى قريش انت قال من تيم
ابن مرة . قال امكنت والله الراعى من صفا الثغرة . افنكم قصي
ابن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى بجعماً قال لا .
قال افنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه . ورجال مكة مستنون
عجاف قال لا . قال افنكم شعبة الحمد مطعم طير السماء . الذى كان
في وجهه قمريضي في ليل الظلام الداجي قال لا . قال افن المفيضين
بالتناس انت قال لا . قال افن اهل الندوة انت قال لا . قال افن
اهل الرقادة انت قال لا . قال افن اهل الحجابة انت قال لا . قال
افن اهل السقاية انت قال لا . قال واجتذب ابو بكر زمام ناقته
فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقال دغفل .
صادف درء السيل درءاً يدفعه * يريضة حيناً وحيناً يصدعه
اما والله يا اخا قريش لو ثبت لا خبرتك انك من زمعات قريش ولست
من الذوائب او ما انا بدغفل . قال فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم . قال على رضى الله تعالى عنه قلت لابي بكر اقد وقعت من الاعرابي
على باقة قال اجل ان لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق .
وكما كان هذا الرجل مشاراً اليه بالبنان في معرفة انساب العرب كذلك
كان في معرفة الانواء وعلم السماء وسائر علوم العرب واحوال القبائل

روى الهيثم بن عدي عن عوانة قال سأل زياد دغفلا عن العرب فقال الجاهلية ليمن والاسلام امضر والفتنة لربيعة . قال فاخبرني عن مضر قال فاخر بكنانة وكابر بتميم وحارب بقيس ففيها الفرسان والنجوم . واما اسد ففيها ذل وكيد . وقيل له ماتقول في بني عامر ابن صعصعة قال اعناق طباء . واعجاز نساء . فما تقول في بني اسد قال عافة قافة فصحاء كابة . فما تقول في بني تميم قال حجر اخشن ان صادفته اذاك وان تركته اعفالك . فما تقول في خزاعة قال جوع واحاديث . فما تقول في اليمن قال سيود ايوك . قال نصر بن سيار انا وهذا الحى من يمن * عند الفخار اعزة اكفاء قوم لهم فينا دماء حمة * وانسا لديهم اجنة ودماء وربيعة الاذئاب فيما بيننا * لاهم لنا سلمولا اعداء ان ينصرونا لانا من ينصرهم * اويخذلونا فالسما سماء وعن ابن الاعرابي قال بلغني ان جماعة وقفوا على دغفل النسابة بعد ما كف فسلموا عليه . فقال من القوم فقالوا سادة اليمن . قال امن مجدها القديم وشرفها المميم كندة قالوا لا . قال فاتم الطوال قصبا المحضون نسبا بنو عبدالمدان قالوا لا . قال فاتم اقودها للزحوف واخرقها للصفوف واضربها بالسيوف رهط عمرو بن معديكرب قالوا لا . قال فاتم احضرها قرى واطيشها قنى واشدها اقي رهط حاتم بن عبد الله الطائي قالوا لا . قال فاتم الغارسون للنخل والمطعمون

في المحل والقائلون بالمدل الانصار قالوا نعم . فانظر الى هذه الفطنة والذكاء
(ومنهم ورقاء الاشعر)

كان ايضاً ممن يضرب به المثل في معرفة انساب العرب فمن امثالهم
النسب من ابن اسان الحمرة وهو احد بنى تيم اللات بن ثعلبة وكان
من علماء زمانه واسمه ورقاء الاشعر ويكنى ابا الكلاب . قال الميداني
وكان انساب العرب واعظهم كبرا . وفي القاموس وابن لسان الحمرة
كسكرة خطيب بليغ نسابة اسمه عبد الله بن حصين او ورقاء بن الاشعر
(ومنهم زيد بن الكيس النخري)

وهو من بنى عوف بن سعد بن تغلب بن وائل . قال في القاموس
كان نسابة . وقال ابو عبيدة ان زيد بن الكيس ممن يقارب دغفلا
في العلم بالانساب من العرب . وفيه وفي دغفل يقول مسكين بن عامر
فحكم دغفلا وارحل اليه * ولا تدع المطي من الكلال
او ابن الكيس النخري زيدا * ولو امسى بمنحرق الشمال
(ومنهم النخار بن اوس بن الحارث بن سعد بن هذيم القضاعي)

كان هذا الرجل ايضاً من المتقدمين في علم النسب قال ابو عبيدة
انه انساب العرب . وفي القاموس وشرحه وكشاده النخار بن اوس
ابن اير القضاعي انساب العرب وهو من ولد سعد هذيم ودخل على
معاوية فازدراه وكان عليه عباءة فقال ان العباءة لا تكلمك انتهى .
وروى عن ابي بكر بن دريد قال حدثنا ابو حاتم عن ابي عبيدة قال

كان ابو زرازة بجال بن حاجب العلقمي من ولد علقمة بن زرازة
خرج يريد بني شيبان بن علقمة حاجاً فرأى حين شارب البلد شيخاً
يحفه ركب على ابل عتاق برحال ميس ملبسة ادما قال فعدت وسلمت
عليهم وبدأت به فقلت من الرجل ومن القوم فازم القوم ينظرون
الشيخ هيبة له . فقال الشيخ رجل من مهرة بن جندان بن عمرو بن
الحاف بن قضاة فقلت حياكم الله وانصرفت . فقال الشيخ قف ايها
الرجل تسبنا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تكلمنا . قال ابوبكر وروى
السكن بن سعد عن محمد بن عباد شامتنا مشامة الذئب الغنم ثم انصرفت
قلت ما انكرت سوءاً ولكنتي ظننتكم من عشيرتي فاناسبكم فانتسبتم
نسباً لا اعرفه ولا اراه يعرفني . قال فامال الشيخ اثامه وحسر عمامته
وقال لعمرى لئن كنت من جذم من اجذام العرب لا عرفتك قلت
فاني اكرم اجذامها . قال فان العرب بنيت على اربعة اركان وبيعة
ومضر واليمن وقضاة فمن ايهم انت قلت من مضر . قال افن
الارعاء انت ام من الفرسان فعلت ان الارعاء خندف وان الفرسان
قيس . قلت من الارعاء . قال فانت اذا من خندف . قلت اجل .
قال افن الارنية ام الجمجمة . فعلت ان الارنية مدركة وان الجمجمة
طابخة . فقلت من الجمجمة . قال فانت اذا من طابخة قلت اجل .
قال افن الصميم انت ام من الوسيط . فعلت ان الصميم تميم . وان
الوسيط الرباب قلت من الصميم قال فانت اذا من تميم . قلت اجل .

قال افن الاحلين ام الاكرمين ام الاقلين . فعلت ان الاحلين عمرو بن تميم . وان الاكرمين زيد مناة . وان الاقلين الحارث بن تميم . قلت من الاكرمين . قال فانت اذا من زيد مناة قلت اجل قال افن الحدود . ام من النجور . ام من الثماد . فعلت ان الحدود مالك وان النجور سعد . وان الثماد بنو امرئ القيس بن زيد مناة فقلت من الحدود . قال فانت اذا من بنى مالك . قلت اجل . قال افن الذرى ام من الاردا ففعلت ان الذرى حنظلة وان الاردا فربيعة ومعاوية وهما الكردوسان قلت من الذرى قال فانت اذا من بنى حنظلة قلت اجل . قال افن البدور انت ام من الفرسان ام من الجرائم فعلت ان الجرائم البراجم وان الفرسان يربوع وان البدور مالك فقلت من البدور قال فانت اذا من بنى مالك بن حنظلة قلت اجل . قال من الارنية انت ام من اللحيين ام من القفا . فعلت ان الارنية دارم وان اللحيين طهية والعدوية وان القفا فربيعة بن مالك بن حنظلة قلت من الارنية قال فانت اذا من دارم . قلت اجل . قال افن اللباب ام من الهضاب ام من الشهاب فعلت ان اللباب عبد الله وان الهضاب مجاشع وان الشهاب نهشل قلت من اللباب قال فانت اذا من بنى عبد الله قلت اجل . قال افن البيت ام من الزوافر . فعلت ان البيت بنو زرارة وان الزوافر الاحلاف فقلت من البيت . قال فانت اذا من بنى زرارة قلت اجل . قال فان زرارة ولد عشرة حاجبا ولقيطا

وعلقمة ومعبدا وخزيمة ولييدا وابا الحرث وعمرا وعبد مناة ومالك
فمن ايهم انت قلت من بنى علقمة قال فان علقمة ولد شيبان ولم يلد
غيره فتزوج شيبان ثلاث نسوة مهدد بنت حمران بن بشر بن عمرو
ابن مرثد فولدت له يزيد : وتزوج عكيرشة بنت حاجب بن زرار
ابن عدس فولدت له المأمور . وتزوج عمرة بنت بشر بن عمرو بن
معدس فولدت له المقعدة . فلايتهن انت قلت لمهدد . قال يا ابن اخي
ما افترقت بعد مدركة الا كنت في افضلهما انت حتى زاحمك اخواك
فانهما ان تلدني امهما احب الى من ان تلدني امك . يا ابن اخي اتراني
عرفتك قلت اى وابيك اى معرفة . فله تعالى در هذا النسابة وما بلغه
من العلم ومعرفة الناس واحوالهم ولو كان ابا لهم لربما اختلف عليهم
احوال بعضهم وهم بهذا العدد الكثير . والجمع الغفير . ولكن
المواهب الالهية . والحنانيات الربانية . اذا توفق لها احد سهلت
عليه صواب الامور وبلغ ما لم يبلغه الساعي وان استوعب بمسعاء الدهور
(ومنهم صمصعة بن صوحان)

قد كان صمصعة هذا من المشاهير بمعرفة انساب العرب ومن
المقدمين بعلم احوال قومه في الجاهلية وقد ادرك الاسلام ففي كتاب
الامالي روى عن ابي بكر بسنده الى الشعبي قال دخل صمصعة بن
صوحان على معاوية اول ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه
فقال له معاوية ممن الرجل قال رجل من نزار قال وما نزار قال اذا

غزا احتوش واذا انصرف انكمش واذا اتى افترس قال فمن اى
ولده انت قال من ربيعة قال وماربيعة قال كان يغزو بالحيل ويغير بالليل
ويجود بالليل . قال فمن اى ولده انت قال من اسد قال وما اسد قال
كان اذا طلب اقصى واذا ادرك ارضى واذا اب انضى . قال فمن
اى ولده انت قال من جديلة قال وما جديلة قال كان يطيل التجار
ويعيد الجياد . ويحيد الجلاد . قال فمن اى ولده انت قال من دعى
قال وما دعى قال كان ناراً ساطعاً . وشرأ قاطعاً . وخيراً نافعاً .
قال فمن اى ولده انت قال من اقصى . قال وما اقصى قال كان ينزل
المقارات . ويكثر الغارات . ويحمى الجارات . قال فمن اى ولده
انت قال من عبد القيس . قال وما عبد القيس قال ابطال ذادة .
جحاحجة قادة . صناديد سادة . قال فمن اى ولده انت قال من اقصى
قال وما اقصى قال كان ذارماح مشرعة . وقذور مترعة . وجفان
مصرعة . قال فمن اى ولده انت قال من اكيز . قال وما اكيز قال
كان يباشر القتال . ويعانق الابطال . ويبيد الاموال . قال فمن اى
ولده انت قال من مالك . قال وما مالك . قال الهمام للهمام . والقهمقام
للقهمقام . قال معاوية والله ما تركت لهذا الحى من قریش شيئاً . قال
بلى قد تركت اكثره واكبره . قال وما هو قال تركت لهم الوبر والمدر .
والابيض والاصفر . والصفاء والمشعر . والقبعة والمفخر . والسرير
والمنبر . والملك الى المحشر . فقال اما والله لقد كان يسبوتنى ان اراك

خطيباً . فقال وانا والله لقد كان يسوءني ان اراك اميرا . ثم خرج فبعث
اليه ورده فوصله واكرمه . ولصعصة هذا اخبار كثيرة يطول ذكرها
(ومنهم عبدالله بن عبدالحجر بن عبد المدان)

وهو النسابة الشهير . وصاحب الفهم الغزير . روى عن ابي
بكر قال اخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس بن هشام
قال سأل معاوية بعد الاستقامة عبد الله بن عبدالحجر بن عبد المدان
وكان عبدالحجر وقد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسماء عبدالله
فقال له كيف علمك بقومك قال كعلمي بنفسى . قال فما تقول في مراد .
قال مدركوا الاوتار . وحماة الذمار . ومحرروا الحطار . قال فما تقول
في النخع قال مانعوا السرب ومسعروا الحرب . وكاشفوا الكرب .
قال فما تقول في بنى الحارث بن كعب . قال فراجوا الالكاك . فرسان
العراك . ولزاز العكاك . تراك تراك . قال فما تقول في جعفى قال
فرسان الصباح . معملوا السلاح . مبادوا الرياح . قال فما تقول
في سعد العشيرة . قال مانعوا الضيم . بانوا الريم . وسافروا الغيم . قال
فما تقول في بنى زبيد قال كاة انجاد سادة ايجاد . يفرجون عن الكظيم
وحماة الحريم . قال فما تقول في صيد آء قال سحام الاعداء . ومساعى
الهجاء . قال فما تقول في رها . قال يلهبون عادية الفوارس . ويردون
الموت ورد الخوامس . قال انت اعلم بقومك .

(ومن امثال العرب قولهم انسب من كثير)

انسب هنا من النسب وهو ذكر الشاعر المرأة بالحسن والاخبار
عن تصرف هواها به وليس هو الغزل وانما الغزل الاشتهار بمودات
النساء والصبوة اليهن والنسب ذكر ذلك والخبر عنه . وقولهم انسب
من كثير اخذ من قول الشاعر .

وكان قساً في عكاظ يخطب * وابن المقفع في اليتيمة يسهب

وكان لبلى الاخياية تندب * وكثير غزوة يوم بين ينسب

قال الجهمي كان لكثير في النسب نصيب وافر وكان له من قنون
الشعر ما ليس لجميل واسمه بضم الكاف وقع المثلثة وكسر الياء المشددة
التحتية . وهو كثير بن عبد الرحمن ابن ابى جمعة بن الاسود بن عامر
وقال اللخمي هو كثير ابن ابى جمعة . وكانت امه جمعة بنت الاشيم
وكان الاشيم يكنى بابنه هذه فلذلك قيل كثير ابن ابى جمعة . وهو
خزاعي وابو خزاعة الصلت بن النضر بن كنانة . وفي ذلك يقول كثير
اليس ابى بالنضر ام ليس والدى * لكل نجيب من خزاعة ازهر

فحق كثير انه من قريش وقيل انه ازدي من قحطان وهو شاعر
هجازي من شعراء الدولة الاموية ويكنى ابا صخر واشتهر بكثير غزوة
وهي محبوبته وغالب شعره مشبب بها وهي كما قال ابن الكلبي غزوة
بنت حميل بضم المهملة بن حفص من بني حاجب بن غفار وكنيتها
ام عمرو الضمرية نسبة الى قبيلة ضمرة وكثيراً ما يطلق عليها الحاجية
نسبة الى جدها الاعلى . كقوله من قصيدة .

خليلى ان الحاجية طلحت * قلو صيكنما وناقى قد اطلت
قال ابن قتيبة في كتاب الشعر آء بشت عائشة بنت طلحة بن عبد الله
الى كثير يا ابن ابى جمعة ما الذى يدعوك الى ما تقول من الشعر فى عزه
وايست على ما تصف من الجمال لو شئت صرفت ذلك الى من هو اولى
به منها انا ارمثلى وانما اردت تجربته بذلك فقال .

اذا وصلت خلة كى تزيلاها * ايننا وقلنا الحاجية اول
لها مهمل لا استطاع دراكه * وسابقة ملحب لا تهول
سنوايك عرفان اردت وصاننا * ونحن نملك الحاجية اوصل
فقات والله لقد سميتنى لك خلة وما انا لك وعرضت على وصالك
وما اريد هلا قلت كما قال جميل .

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخطه بقول الهازل
فاجبتها بالرفق بعد تسر * حبي بينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى قلبى كقدر قلامة * وصلت ككتبي او اتك رسائلى
وروى القالى فى اماليه عن العتبى فقال دخلت عزه على عبد الملك بن
سروان فقال لها انت عزه كثير فقالت نعم قال لها اتروين قول كثير
وقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعر لا يتغير
قالت لا اروى هذا ولكنى اروى قوله .

كأنى انا دى صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشى بها المعصم ذات
صفوحا فما تلقاك الابحيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وروى ابن قتيبة في كتاب الشعر آء ان عائشة بنت طلحة قالت لعزة
ارأيت قول كثير .

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
ماكان ذلك الدين قالت وعدته قبلة فخرجت منها فقالت اقضيها وعلى
ائمها . وانما صغراسمها اشدة قصره وحقارته قال الوقاصى رأيت كثيرا
يطوف بالبيت فمن حدثك انه يزيد على ثلاثة اشبار فلا تصدقه .
وهجاء الحر بن الكنانى بقوله .

قصير قميص فاحش عند بيته * يعض القراد باسته وهو قائم
وكانت وفاته فى خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة المنورة على ساكنها
افضل الصلوة واكمل السلام . قال جويرة بن اسماء مات كثير وعكرمة
مولى ابن عباس فى يوم واحد فقال الناس اليوم مات افقه الناس
واشعر الناس ولم يخلف رجل ولا امرأة عن جنازتهما وذلك
فى سنة خمس اوسبع ومائة . وغلبت النساء على جنازة كثير . وقد
اطب الاصبهانى فى الاغانى فى ترجمته . والمقصود ان لفظ النسب فى المثل
من النسب لامن النسب . وكذلك قولهم نسب من قطاة هو من النسبة
وذلك انها اذا صوتت فانها تنتسب لانها تصوت باسم نفسها فتقول قطا
قطا . والقطاة طير معلوم . وهى مشهورة بسرعة الطيران والله اعلم
(علم العرب بالاخبار)

من تتبع شعر العرب واستقراءه . ووقف على ما قالوه من مثل

واستقصاء . تين له ما كان للعرب الاولين . من اليد الطولى والقدم
الراسخة في معرفة اخبار الامم الماضية . واخلاقهم وسيرهم . ودولهم
وسياستهم . لاسيما شعرهم فهو سجل اخلاقهم . وخزانة معارفهم .
ومستودع علومهم . وحافظ آدابهم . ومعدن اخبارهم . ومرجعهم
عند اختلافهم في الانساب والحروب . فلذلك قيل الشعر ديوان
العرب . وعايه قول قائلهم .

الشعر يحفظ ما اودى الزمان به * والشعر افخر ما ينبي عن الكرم
لولا مقال زهير في قصائده * ما كنت تعرف جودا كان في هرم
ومن شعرهم دون الناس ايامهم وحروبهم كابى عبيدة وابى الفرج
الاصبهاني وغيرهما . ومن شعرهم الف ابو حاتم السجستاني كتاب
المعمرين . ومن شعرهم الف من الف في احوال شعر آئهم المتقدمين
ككتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . ومن شعرهم الف من الف
في جزيرة العرب ووصف ما فيها من البلاد والجبال والاودية والوهاد .
ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة في اخبار ملوكهم واحوالهم .
ومن شعرهم اخذ ما الف في الحيوان والنبات ككتاب الحيوان للجاحظ
وكتاب النبات لابى حنيفة الدينورى . ومن شعرهم دونت الكتب
المؤلفة في احوالهم واديانهم وما كانوا عليه ايام جاهليتهم . ومن
شعرهم ترجح القول بان ذا القرنين كان من العرب فقد اكثر واذكره
في اشعارهم . قال اعشى بن ثعلبة .

. والصعب ذو القرنين امسى ثاوريا * بالحنو في جدث هناك مقيم

« وقال الربيع بن ضبيع »

. والصعب ذو القرنين عمر ملكه * الفين امسى بعد ذلك وميما

« وقال قس بن ساعدة »

. والصعب ذو القرنين اصبح ثاوريا * بالحمد بين ملاعب الارياح

« وقال تبع الحميري »

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتحشد

من بعده باقيس كانت عمتي * ملكهم حتى اتاها الهدهد

وقال بعض الحارثيين يفخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب
قوما من مضر .

سموا لنا واحداً منكم فنعرفه * في الجاهلية لاسم الملك محقلا

كالتبعين وذى القرنين يقبله * اهل الحجى واحق القول ما قبله

« وقال النعمان بن بشير الانصاري »

ومن ذاي عادي من الناس معشر * كرام وذو القرنين منا وحاتم
ووقع ذكر ذي القرنين ايضاً في شعر امرئ القيس واوس بن حجر
وطرفة بن العبد وغيرهم . ويؤخذ من اكثر هذه الشواهد ان الراجح
في اسمه الصعب . ومن شعرهم علنا حال قس بن ساعدة وما
كانت العرب تعتقده فيه حتى عظمت تعظيماً وضربت شعر آؤها بحكمته
الامثال . وفي كتاب الاصابة شواهد ذلك . وهكذا حال لقمان بن

عاد الاكبر والاصغر ولقيم بن لقمان . فقد كانوا يعظمون شأنهم في النباهة وعلو القدر والعلم والحكم واللسان والحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون . ولا ارتفاع قدره وعظم شأنه . قال النمر بن تولب .

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنا
ليالى محق فاستحضت * عليه فغمر بها مظلم
فغمر بها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

وذلك ان اخت لقمان قالت لامرأة لقمان انى امرأة محقه ولقيم رجل منجب محكم وانا في ليلة طهرى فهبى لى ليلتك ففعلت فبات في بيت امرأة لقمان فوق عليها فاجلها بلقيم . فلذلك قال النمر بن تولب ما قال . والمرأة اذا ولدت الحقى فهى محقه ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها اكياساً . وقد اطال القول في لقمان ولقيم الجاحظ في كتاب البيان . واورد شواهد العرب في احواله . ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة في الاضياف والفرسان وغير ذلك . وقد بالغ العلامة الهمداني على ما ذكر في كتاب الوشى المرقوم فقال لم يصل الى احد خبر من اخبار العرب والعجم الا من العرب وذلك لان من سكن مكة احاط بعلم العرب العاربة واخبار اهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون اخبار الناس . وكذلك من سكن الحيرة وجاور الاعاجم علم اخبارهم . وايام حمير وسيرها

في البلاد . وكذلك من سكن الشام خبر باخبار الروم وبني اسرائيل
واليونان . ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه اتت اخبار السند وفارس
ومن سكن اليمن علم اخبار الامم جميعاً لانه كان في ظل الملوك السيادة
الى ان قال والعرب اصحاب حفظ ورواية . والمقصود ان العرب
كما لا يخفى على من سبر اقوالهم واشعارهم كان لهم حظ وافر من رواية
الاخبار . ومن طالع الكتب المؤلفة في امثالهم وقف على كثير
من المواد التاريخية التي لاشبهة فيها .

(التاريخ عند العرب في الجاهلية)

لما بسطنا القول على ما كان للعرب ايام جاهليتهم من السابقة
في رواية الاخبار ومعرفة القرون الخالية . واحوال الامم الماضية .
وسير الاجيال السالفة . كما دل على ذلك شعرهم وامثالهم وسائر
اقوالهم . اتبعناه بذكر مذهبهم في التاريخ وكيفية ضبطهم للوقائع
ومبدأ الحوادث . وقد لحصت ذلك من كتاب ادب الكتاب للامام
ابي بكر الصولي وهو كتاب فريد في فنه . فاقول ومنه المعونة .
تاريخ كل شئ غاية ووقته الذي ينتهي اليه . ومنه فلان تاريخ
قومه في الجود اى الذي انتهى اليه ذلك . وسئل بعض اهل اللغة
مامعنى ذلك فقال معناه التأخير . وقال آخر هو اثبات الشئ .
ويقال ورخت الكتاب تورينخاً لغة تميم وارخته تاريخاً لغة قيس
وتاريخ وتاريخان وتواريخ . وارخ كتابك هذا وورخه ولكل نبوة

وعملكة تاريخ « فاما العرب » فكانوا يؤرخون بالنجوم قديماً وهو اصل ومنه صار الكتاب يقولون نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم والنجم جمع نجوم . والعرب تخص بالنجم الثريا . ومنه قولهم طلع النجم غصديه * فابتنى الراعى كسيه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها . كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم يراد الجنس . وعلى هذا قرأ ابو عمرو بن العلاء (وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار) والنجم ما نجم من النبات ومن الراى ما ظهر وهو غير هذا . وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه امر مشهور معارف فارخوا بعام الفيل . وفيه ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى انوشروان . وقد مرت قصة الفيل اوائل الجزء الاول عند ذكر مكة شرفها الله تعالى . وارخت العرب بعام الحتان لانهم تهاونوا فيه وعظم عندهم امره . فقال النابتة الجمعدى

فمن يك سائلا عنى فانى * من الشبان ايام الحتان

حضت مائة لعام ولدت فيه * وعشر بعد ذاك وحجتان

وارخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم . ولذلك قال شاعرهم .

واصبح بطن مكة مقشعراً * كأن الارض ليس بها هشام

وروى عن الزهرى والشعبي ان بنى اسمعيل ارخوا من نار ابراهيم

عليه السلام الى بناء البيت حين بناء مع اسمعيل . وان بنى اسمعيل
ارخوا من بنيان البيت الى تفرق بعد فكان كلما خرج قوم ارخوا
بمخرجهم . ومن ابقى بهامة من بنى اسمعيل يؤرخون من خروج
سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة ثم كانوا يؤرخون بشئ شئ
الى موت كعب بن لوى . ثم ارخوا بعام الفيل الى ان ارخ عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه من هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وكان سبب ذلك ان ابا موسى كتب اليه انه يأتينا من قبل امير المؤمنين
كتب ليس لها تاريخ فلاندرى على ايها نعمل . وروى ايضا انه
قرأصكاحله شعبان فقال اى الشعابن الماضى ام الاتى . فكان سبب
التاريخ من الهجرة بعد ان قالوا تؤرخ بعام الفيل وقالوا من المبعث .
ثم اجتمع الراى على الهجرة . وقالوا ما يكون اول التاريخ فقال بعضهم
شهر رمضان . وقال بعضهم رجب فانه شهر حرام . والعرب تعظمه .
ثم اجمعوا على المحرم فقالوا شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج وكان
آخر الاشهر الحرم فصروه اولا لانها عندهم ثلاثة سرد ذوالقعدة
وذوالحجة والمحرم والفرد رجب . فكانت الاربع تقع في سنتين فلما صار
المحرم اولا وقعت في سنة قال الصولى ، وسألت ابا دكران عن ارخت
وورخت فقال مثله أكدت الامر تأكيذاً ووكدته توكيداً لغة تميم وبها
نزل القرآن ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . واما التاريخ بلغة قيس
فهو الذى يستعمله الناس . واما التورخ لغة تميم فما استعمله كاتب

قط . وان كانت العرب تتكلم به . وغلبت العرب الليالي على الايام في التاريخ لان ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلد لها وولدت . ولان الاهلة لليالي دون الايام . وفيها دخول الشهر . وما ذكرها الله عز وجل الا قدم الليالي قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وانماناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال سخرها عليهم سبع ليالي وثمانية ايام حسوما . وقال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل . وقال جل اسمه سيروا فيها ليالي واياما آمين . والعرب تستعمل الليل في الاشياء التي يشاركون فيها النهار دون النهار لاستثقالهم الليل فيقولون ادركني الليل بموضع كذا لهيبته . وقال النابغة .

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع وقالوا صمنا عشرأ من شهر رمضان وانما الصوم للايام ولكنهم اجازوه اذ الليل اول شهر رمضان . وانشد ابو عبيدة .

فصامت ثلاثا من مخافة ربها * ولو مكثت خسأ هناك لصلت واما الشهور فانهما كلها مذكرة الاجادى الاولى وجادى الاخرة . ويكتبون من شهر كذا الا في ثلاثة اشهر يكتبون في شهر رمضان لقول الله عز وجل ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القران ويقولون شهر ربيع الاول وشهر ربيع الاخر . لان الربيع وقت من السنة فخافوا اذا قالوا من ربيع ولم يذكروا الشهر ان يظن انه من الوقت قال الراعي .

شهرى ربيع مآذوق لبونهم * الاحوضاً وخة وذويلا .
كل ما انكسر واسود من النبت فهو ذويل . فاذا رأوا الهلال اول
ليلة كتبوا وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل كذا ومهل شهر كذا
لانهم يقولون استهل الهلال واهل الهلال ولا يقولون هل ولا اهل
ولا استهل ومن قال ذلك فقد اخطأ . والاستهلل الصوت والصياح
ومنه استهلل الصبي صياحه وبكاؤه اذا ولد . فلما كانوا يكبرون عند
رؤية القمر كل اول ليلة من الشهر وفي اول سائر الشهور اقربهم بمضى
الخارج من وقت الحج وسرورهم بالموسم نسبوا الرؤية الى فعلهم
فقالوا استهل واهل وسموا القمر هلالا لهذا المعنى . وكان اهل مكة
يجتمعون ويوقدون النار وتلعب ولدانهم وعبيدهم عندها كل اول
ليلة من سائر الشهور افرحهم بقرب وقت الحج . ويكتبون ليلة الاحلال
لغرة كذا ولا يكتبون ليلة خلت ولا ليلة مضت الا من الغد لان
الليلة قد مضت وان كتبوا يوم الجمعة قالوا اول يوم من شهر كذا .
ولا يكتبون مستهل ولا مهل لان الهلال انما يرى بالليل . ويكتبون
فى اليوم الثانى لليلتين مضتا فاذا جاز ذلك كتبوا الثلاث خلون واربع
مضين . وكتبوا ثمان خلون فيحذفون الياء ويثبتون الالف فى الخط
فاذا اضافوا الليالى اثبتوا الياء الاضافة لانه لا يكون تنوين مع اضافة
وانما سقط الياء للتنوين فيسقطون الالف عند ذلك فى الخط فيكتبون
لثنى ايال ومنهم من يثبتها وانما انشوا الى قولهم له شر خلون لتقدم

الابالى على الايام كما سبق . فاذا جاوزوا العشرة قالوا لاحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولائنتى عشرة ليلة . وانما قالوا ههنا خلت ومضت لان الترجمة بليلة فوحدوا الفعل لذلك . ويكتبون الخمس عشرة ليلة وان شاؤا كتبوا للنصف من شهرا كذا . ولا يكتبون الخمس عشرة ليلة بقيت كرهوا ذلك لانه شبيه الاستثناء ولا يكون الا اقل مما استثنى منه . ولكن يكتبون بعد النصف بيوم لاربعة عشرة ليلة بقيت . وقد كره اهل الورع ذلك لانهم لا يدرون كم بقى لنقصان الشهر وتمامه فيكتبون لاحدى وعشرين ليلة خلت والكتاب على غير هذا . فاذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا سلخ كذا لانهم يقولون انسلخ الشهر انسلخا وسلخت اشهر كذا سلخا وسلو خا . ولو كتب كاتب في ربيع الاول ولم يقل في شهر او في رمضان ولم يقل في شهر جاز وليس بالختار . قال الشاعر

جارية في رمضان الماضى * تقطع الحديث بالاياماض

ولا يدخلون في شهر من الشهور الالف واللام الا في المحرم لانه اول السنة فعرفوه لذلك كأنهم قالوا هذا الذى يكون ابدا اول السنة . ولا يكتبون لليلة بقيت وانت فيها كما لم يكتبوا لليلة خلت وانت فيها . والعرب تسمى اول ليلة من الشهر ليلة البرآء لتبرء القمر من الشمس . ويسمونها النخيرة لان الهلال نحرها اى رؤى في نحرها واولها قال ابن احرر .

ثم اسقر عليها واكف همع * في ليلة نحرت شعبان اورجبا
نحرت شعبان كانت في نحرة وصدره لانها اوله كما نحرها الهلال اذا

رؤى في اولها ونخيرة فعبلة من نحررت مثل قلت فهي قتيلة » قال الصولى » قال بعض الكتاب التاريخ عمود اليقين . ونافى الشك . به تعرف الحقوق . وتحفظ العهود . قال ولا يقع التاريخ فى شئ من الكتب السلطانية من رئيس او مرؤس الا فى اعجاز الكتب . وقد يؤرخ النظار والتابع ما خاص من الكتب فى صدور ها . وقيل الكتاب بغير تاريخ نكرة بلا معرفة . وغفل بغير سمة . قال بعض الشعراء فى تاريخ شخص توفى .

وكان يؤرخ علم القرون * فها هو ذا اليوم قد ارخا
فاما الذى يروى للمستوعر بن ربيعة فهو قوله وهو عجيب من العمر
فى مثل زمانه .

واقدر سئمت من الحياة وطولها * وازددت من عدد السنين سنينا
ماية اتت من بعدها مايتانلى * وازددت من عدد الشهور مثينا
هل مابق الا كما قد فاتنا * يوم يكرر وايالة تحذونا
وقد ذكرنا عند الكلام على مجامعهم اسماء الاشهر ايام العرب العرباء
واسماءها لدى المستعربة وغير ذلك مما يناسبه . ثم ان الصولى رحمه
الله تعالى اظن فى بيان ثنية الايام والشهور وجموعهما . وفى ذكر فوائده
آخر تتعلق بفرضه . وقد اهل كثيراً مما كان الرب تؤرخ به . فقد
كان لهم فى اليمن والحجاز ونجد تواريخ كثيرة يتعارفونها خافاً عن سلف
وقد كان كل طائفة منهم تؤرخ بالحادثات المشهودة فيها . وحيث ان

استيعاب ذلك يطول اقتصرت على بيان ما كان شائعاً عند جميعهم
وهو زمن الفطحل . فلا بد من تفصيل القول فيه وبالله التوفيق .
(زمن الفطحل)

هو زمن كانوا يؤرخون به كل ما قدم عليه العهد ومرت عليه
العصور والدهور . واختاف أئمة اللغة في تفسيره فقال الخليل هو
الزمن الذي لم يخلق فيه الناس بعد . ومنهم من قال هو زمن نوح
عليه السلام . ومنهم من قال هو الزمن الذي كانت الحجارة فيه رطاباً
واذ كل شيء ينطق . وبذلك اجاب رؤية حين سئل عنه . وفي الصحاح
قال الجرمي سألت ابا عبيدة عنه . فقال الاعراب تقول هو زمن
كانت الحجارة فيه رطبة . وهو معنى قول بعضهم زمن الفطحل اذ
السلام رطاب . وقال ابو حنيفة الدينوري تقول ايتك عام الفطحل
والهديلة يعنى زمن الحصب والريف . وانشد ابو عبيدة لرؤية بن
الحجاج وقد نزل ماء من المياها فاراد ان يتزوج امرأة . فقالت له المرأة
ماسنك مامالك ماكذا . فانشأ يقول .

لما ازدرت نقدي وقلت ابلى * تألفت واتصلت بعكلى
تسأني عن السنين كملى * فقلت لو عمرت عمر الحسلى
او عمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتلى كطين الوحلى
اوانى اوتيت علم الحسلى * علم سليمان كلام النمل
* كنت رهين هرم او قتل *

الحكل بالضم من الحيوان مالا يسمع صوته كالذر والنمل . وبعض أئمة
اللغة يقول هو العجم من الطيور والبهائم . وقال الليث الحكل في رجز
رؤبة اسم لسليمان عليه السلام . وهو قوله .

لوانى اوتيت علم الحكل * علمت منه مستسر الدخل

علم سليمان كلام النمل * مارد اروى ابدأ عن عدل

قال الامام العالي نقلا عن القاضى عبدالمحسن . اما قولهم ايام كانت
الحجارة رطبة واذكل شئ ينطق فهما من الامور التى يتداولها جهالة
الامم . وهو الظاهر بين اغفال العرب هذا وامية ابن ابى الصلت
وهو من حكماء العرب والمختصين منها بالرواية قال .

واذهب لالبوس لهم عراة * واذهب الصلاب لهم رطاب

باية قام ينطق كل شئ * وكان امانة الديك الغراب

وعن مقاتل بن سليمان انه كان يقول ان الصخور كانت لينة . وان
قدم ابراهيم عليه السلام انما اثرت فى صخرة المقام للين الصخور يومئذ .
قال تعالى وليس مذهب هؤلاء فيما رواء مذهب من جعلها اجزاء
من الارض تستصلب وتتكسر وتتحجر . فزعم انها تيبس عن ندوة
وتصلب بعد رخاوة . ولو ارادوا ذلك لوجدوا متسعا فى القول .
لكن الاوهام التى صورت ان البهائم كانت ناطقة عاقلة . وفروع
السعدان ملساء لينة . واغصان العوسج خضرة ناعمة . هى التى ارتهم
ذلك . وما يبعد ان يكون القول لما رأوا الحكماء قصدوا استعطاف

الاوهام الى الحكمة فوضعوا امثالا ووشعوا ببعض الهزل وادرجوا
الجد في اثناء المزح ليخف على القلوب احتمالها . ويسرع اليها التفاتها
ظن من لم يقع من التمييز موقع الكمال بالبهائم انها تنطق وتفصح وتبين
عن نفسها وتعرب . فاختلفوا احاديث اضافوها اليها . وكان للعرب
خصوص في ذلك ما زادت به على سائر الامم افضل ما فيها من اللبس
بالكلام . وما اوتيت من القدرة على التصرف في المنطق . فنظمت لها
قربضا . وفصلت سجعها كالذي حكى عن الضب انه قال في صبره
على الماء . وهو عندهم اصبر ذى نفس عليه . اصبح قلبي صردا .
لا يشتهي ان يردا . الا اعرادا عردا . وصلينا بردا . وعكنا ملتبدا .
ومنهم من يروها هكذا . آليت ان لا اردا . الا اعرادا عردا . وصلينا
صردا . وعكنا ملتبدا . وزعموا ان القطا قال للحجل . حجل
حجل . تفر في الجبل . من خشية الوجل . فقالت لها الحجل . قطا
قطا . ارى قفاك امعطا . بيضك ثنتان وبيضى مٹطا . هكذا جاءت
الرواية والامثال تجري على الفاظها . وهذا الوجه الذي ذكره
التمالي هو المتعين . واشباه ذلك في كلامهم ومحاوراتهم كثيرة .
مذكورة في كتب الادب . ومن ذلك ما حكاه اصحاب اللغة في وجه تسمية
بعض الكواكب وعدوه من اكاذيها وخرافاتهما . مع ان الوجه ما اختاره
التمالي . من ان ذلك لا غراض مقصودة لهم فقالوا الشعرى كوكبان
احدهما الشعرى العبور . والاخرى الشعرى الغميصاء . اما العبور

فانها من نجوم الجوزآء ويسمى كلب الجبار . وسميت بالعبور لانها كانت والغميصاء وسهيل مجتمعة فأنحدر سهيل فصار يمانيا وتبعته العبور فعبرت المجرة . واقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمضت . والغمض في العين نقص وضعف . واما الغميصاء فاقبل نوراً من العبور وهي من نجوم الذراع المبسوطة . وبينها وبين العبور المجرة واصحاب الصور يعدونها في صورة الكلب الاكبر وهي تقطع السماء عرضاً وليس غيرها من الكواكب كذلك . وهي التي عناها الله تعالى بقوله وانه هورب الشعرى . واما خصها بالذكر لان خزاعة كانت تعبدها واول من سن ذلك لهم ابو كبشة وجزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف . وقالوا في وجه تسمية كوكبي الدبران والعيوق . ان العيوق عاق الدبران لما ساق الى الثريا مهرأً وهي نجوم صغار مجتمعة . فهو يتبعها ابدأ خاطباً لها والدبران يموقه . ولذلك سموها هذه النجوم القلاص . وعليه قول الشاعر .

هذا ابو الطرق قد اوفى بذمته * كما وفي بقلاص النجم حاديهما
ولو تتبعنا امثال ما ذكر مما قصدوا به المعنى الشعرى ولم يريدوا به
الحقيقة اطلال الكلام . وما اوردناه واف بالمرام .

(ماكان للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو)

كل من استقصى شعر العرب الاولين وما صح عنهم من الامثال
والاقوال عرف ان اوائل العرب كان لهم بحث عن الاجرام العلوية

والاثار الجوية . وانهم اشتغلوا بالرصد ومعرفة حركات الكواكب وطلوعها وغروبها . لاسيما ما يتعلق بها غرضهم وتمس اليها حوائجهم وقد ألف الساف من ائمة اللغة فيما كان لهم من ذلك كتباً مفيدة جمعوا فيها ما كان للعرب من العلم بالسماء . وهي كثيرة منها كتاب الانواء لابي فيد ابن عمر النحوي . و آخر لابي بكر محمد بن حسن المعروف بابن دريد اللغوي . و آخر لابي عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي . و آخر لابي الحسن النضر بن شميل النحوي . و آخر لابي اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي . وكل هذه الكتب مشتملة على مسائل مفيدة من مذاهب العرب واعتقاداتهم . واتمها فائدة كتاب ابي حنيفة الدينوري . فانه تضمن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والانواء ومهاب الرياح وتفصيل الازمان وغير ذلك . واني مستعيناً بالله ذاكر في هذا المقام نبذة من ذلك عازياً كل بحث الخصة ههنا الى محله مما عثرت عليه من كتب هذا الفن . لتلايق جيد هذا الكتاب عاطلاً من هاتيك الفرائد الغالية الثمن .

(السموات والافلاك)

السماء عند العرب كل ما علاك قاطلك . ولذلك قيل للسقف والسحاب ولا على الفرس سماء . ومن اسمائها الجرباء لاشتباك كواكبها والخلقاء اذا لم تر نجوئها كالمساء والرقيع وجربة النجوم . قال قائلهم وخوت حربة النجوم فئاته * رب اروية يمرى الجنوب

واصل الجربة القراح من الارض . وكانوا يعتقدون فيها اعتقاد المليون
ويثبتون العرش والكرسى . وكانوا يسمون السماء الدنيا الرقيع .
والسما الثالثة الصاقورة والحاقورة . والسماء الرابعة الحضراء .
ويقولون لما واينا منها بطن السماء وظهر السماء لما يخالفه . والهواء
الفتق بين السماء والارض وهو السكاك والسكاكة واللوح . وعنان
السماء ماعن منها اذا نظر اليها ولونها العوهق . والفلك مدار النجوم
الذى يضمها . ومجرة السماء كثر الجمر فيها يسمونها ام النجوم « ومن
كواكبها الشمس » لانها في السماء الرابعة تشبها لها بشمس القلادة .
ويقال لها ذكاء والاهة والضخ والجونة والغزاة والجارية والسراج
والبيضاء وبوح وبراح ومهامة والشرق الا انه لا يقال غاب الشرق
ولا غابت الغزاة . قال قائلهم .

تروحنا من اللعاء قصرا * واعجلنا الالهة ان تؤا
« وقال آخر »

ثم يجلو الظلام رب رحيم * بمهامة شعاعها منشور
ودارتها الطفافة . واياتها ضوءها . واعابها مآراء في شدة الحر كنسج
العنكبوت ينحدر من السماء كاللآب من الحيوان . ويقال شرقت الشمس
وذرت ذروها اى طلعت واشترقت اى انساح ضوءها . وكسفت
ذهب ضوءها . والفي الظل بعد الزوال . وظل دوما لا تنسخها الشمس
وظلمات وجمعت مات للغروب . ودنقت ايضا . واشتت غابت الا

شفأ اي قليلا . ووجبت غابت . وذلك اصفرت للغيوب . وصامت الشمس ركبت نصف النهار كأن لها وقفة وابطاء عن الزوال ودومت قال ذو الرمة .

حرور يارمض الرضراض ركضه * والشمس جرى لها بالجو تدويم
وقرن الشمس وحاجبها اول نواحيها . والمشرق المطلع والمغرب
المتيب وهما مشرقان ومغربان . مشرق الصيف وهو مطلع الشمس
في اطول يوم . ومشرق الشتاء وهو اخفض مطالعها في اقصر يوم
والمغربان على ذلك ودراري النجوم كبارها .

(ومنها القمر)

ويقال له اول مايهل هلال الى ثلاث ليال ثم هو قر الى ان يهل ثانيا
قال قائلهم .

ثم استمرت كشقة القمر البدر * ر خفوق الاحشاء والكبد
ويقال لكل ثلاث ليال من اول الالهلال الى ان ينسلخ الشهر اسم
قالا اول غرر وبعدها نفل ثم تسع ثم عشر وثلاث بيض وثلاث درع
وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دأدى واحدها دأداة وثلاث
محاق . وقد نظمها بعضهم فقال .

ثم ليالى الشهر قد ما عرفوا * كل ثلاث بصفات تعرف
فغرر ونفل وتسع * وعشر فالبيض ثم الدرع
وظلم حنادس دأدى * ثم المحاق لانمحاق بادى

وليلة السواء ليلة تمام القمر . وهو وفاء ثلاث عشرة . وبعدها
ليلة البدر . وميسان ليلة النصف . تقول اسوينا وابدرنا وانصفنا
اي صرنا في ذلك وهذه الليالي الثلاث بيض ثم بدرع الشهر .
اي تسود او آئل لاياليه من قولك شاة درعاء اذا اسود مقدمها وابيض
سائرها . ثم ينتقص القمر حتى يمتحق وهو ان يطلع مع الشمس
فيحترق . وليلة ثمان وعشرين الدجاء وبعدها الدهاء وليلة الثلاثين
الليلاء . وابنا جبر يومان في الحاق يستمر فيهما القمر . والبراء آخر
ليلة من الشهر لتبرء القمر فيه من الشمس وهو السرار . وقيل بل هو
اول يوم من الشهر . والناحر والخير كذلك . وقيل ما الهلال ابن ليله .
فقالوا ارضاع سخيله . حل اهلها برميله . وابن ايلتين . حديث امتين .
تكذب ومين . وابن ثلاث حديث قتيات . غير جد مؤتافات . وابن اربع .
عقمة ربيع . لاجائع ولا مرضع . وابن خمس . عشاء خلفات قمس .
وابن ست . سر وبت . وابن سبع . دلجة الضبع . وابن ثمان . قرأضحيان .
وابن تسع . ملتقط الجزع . وابن عشر . مخنق الفجر . ويقال ان ما بعدها
موضوع . وهو مذكور في كثير من كتب الادب .

(والدارة حول القمر الهالة) ويقال حاق القمر . والقمر
الليلة في الهالة وحجر اذا استدار بنخط . ويقال للقمر الزبرقان
والازهر والشهر والساهور . وقيل غلافه الذي يستتر فيه اذا خسف
وفي التسع البواقي . وقال امية ابن ابي الصلت .

لأنقص فيه غير أن خفيه * قر وساهور يسلم ويحمد
والشامة السوداء في القمر وبذلك الغز بعضهم .
وذو شامة سوداء في حروجه * مجللة لا تجلى لزمان
ويدرك في تسع وخمس شبابه * ويهرم في سبع معاً وثمان
ويقولون أضأت القمر آء وليلة قر آء وضحياء وضحيانة وبيضاء
والحمقات الليالي البيض تقيم فيها السماء فتري ضوء ولا ترى قرأ
فتظن أنك مصبح وعليك ليل . يقال غرني غرور الحمقات . وبزغ
القمر طلع وافل غاب والفخت ضوء القمر . ويقال جلسنا في الفخت
وقيل الدأء الليلة التي يشك فيها من الشهر الماضي هي أم من الداخل
وليلة غمي يحال فيها دون الهلال . وانشد شاعرهم .
وليلة مشتبه أهوالها * ليلة غمي طامس هلالها
وقد سمعت العرب كواكب كثيرة يطول استقصاؤها واقتصرنا على
ذكر النيرين الاعظمين .

(منازل القمر وانواؤها)

المنازل جمع منزل والمراد به المسافة التي يقطعها القمر في يوم
وليلة وهي عند أهل الهند سبعة وعشرون لأن القمر يقطع فلك
البروج في سبعة وعشرين يوماً وثلاث فخذوا الثلث لأنه ناقص عن النصف
كما هو مصطلح أهل التنجيم . وعند العرب وساكني البدو ثمانية
وعشرون لأنهم تيمموا الثلث واحداً كما قال بعضهم بل لأنه لما كانت

سنوهم باعتبار الالهة مختلفة الاوائل لوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء اخرى وكذا اوقات تجارتهم وزمان اعيادهم احتاجوا الى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يشتغلوا في استقبال كل فصل بما يهمهم في ذلك الفصل من الانتقال الى المراعى وغيرها فاحتالوا في ضبطها فنظروا اولا الى القمر فوجدوه يعود الى وضع له من الشمس في قريب من ثلاثين يوما ويختفي آخر الشهر ليلتين او اقل او اكثر فاسقطوا يومين من زمان الشهر فبقى ثمانية وعشرون وهو زمان ما بين اول ظهوره بالمشيات مستهلا اول الشهر و آخر رؤيته بالغدوات مستترا آخره . فقسموا دور الفلك عليه . فكان كل قسم اثني عشرة درجة واحدى وخسين دقيقة تقريبا وهو ستة اسباع درجة فنصيب كل برج منه منزلان وثلاث . ثم لما انضبط الدور بهذه القسمة احتالوا في ضبط سنة الشمس بكيفية قطعها لهذه المنازل فوجدوها تستر دائما ثلاثة منازل . ما هي فيه بشعاعها . وما قبلها بضياء الفجر . وما بعدها بضياء الشمس . ورصدوا ظهور المستر بضياء الفجر . ثم بشعاعها ثم بضياء الشفق فوجدوا الزمان بين كل ظهوري منزلتين ثلاثا عشر يوما تقريبا . فاياهم جميع المنازل تكون ثلاثمائة واربعة وستين . لكن الشمس تقطع جميعها في ثلاثمائة وخمس وستين فزادوا يوما في ايام منزل غفر . وزادوه ههنا اصطلاحا منهم او اشرفه على ما سمعه ان شاء الله . وقد يحتاج الى زيادة يومين

ليكون انقضاء الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ويرجع الامر الى
النجم الاول . واعلم ان العرب جعلت علامات الاقسام الثمانية
والعشرين من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب طريقة
القمر في عمره او يحاذيه فيرى القمر كل ليلة نازلا بقرب احدها .
واحوال كواكب المنازل مع المنازل . كاحوال كواكب البروج مع
البروج عند اهل الهيئة من انها مسامة للمنازل وهي في فلك الافلاك .
واذا اسرع القمر في سيره فقد يخلى منزلا في الوسط وان ابطأ فقد
يبقى ليلتين في منزل اول الليلتين في اوله وآخرها في آخره . وقد
يرى في بعض الليالي بين منزلتين . وما يقال في الشهور ان الظاهر
من المنازل في كل ليلة يكون اربعة عشر وكذا الحقي . وانه اذا طلع
منزل غاب رقبه وهو الخامس عشر من الطالع سمي به تشبيها له برقيب
يرصده ليسقط في المغرب اذا ظهر ذلك في المشرق . ظاهر الفساد . لانها
ليست على نفس المنطقة ولا ابعاد ما بينهما متساوية . ولهذا قد يكون
الظاهر ستة عشر وسبعة عشر . وقد يكون الحقي ثلاثة عشر
(وللمنازل انواع مختلفة علمائها فيها) ولنذكر ملخص ما اورده
ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي في كتابه المؤلف في الانواع
« قال » السنة اربعة اجزاء لكل جزء منها سبعة انواع لكل نوع ثلاثة
عشر يوما الا نوع الجهة فانها اربعة عشر يوما وهو المقدار الذي
تقطع فيه الشمس بروج الفلك الاثنى عشر وكل برج منزلتان وثلاث

منزلة وكلما نزلت منزلا من هذه المنازل سترته لانها تستر ثلاثين درجة
 خمس عشرة درجة من خلفها ومثلها من امامها فاذا انتقلت عنه
 ظهر كذا . قال الزجاجي فاذا اتفق ان يطلع منزل من هذه المنازل
 مع الغداة ويغرب رقيبته فهو النوء ولا يتفق ذلك لكل منزل منها
 الا مرة واحدة في السنة . وهو مأخوذ من ناء ينوء اذا نهض متاقلا
 فالعرب تجعل النوء للغارب لانه ينهض للغروب متاقلا وعلى ذلك
 اكثر اشعارهم . وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى ما ان مفاتيحه لتنوء
 بالعصبة اولى القوة اى تميل بهم الى الارض . وهذا التفسير اوجه
 من قول من يجعل الكلمة من المقلوب . قال وبعضهم يجعله للطالع
 وهذا مذهب المنجمين لان الطالع له التأثير والقوة والغارب ساقط
 لاقوة له ولا تأثير . قال المبرد النوء على الحقيقة للطالع من الكواكب
 لا الغارب وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ويغرب
 في المغرب كل يوم وليلة وتلك دورة من دوراته .

(الربع الاول من السنة الربيع)

ابتداءؤه في تاسع عشر يوما من آذار وبعضهم يجعله في عشرين
 يوما منه فيستوى حينئذ الليل والنهار . ويطلع مع الغداة فرغ
 الدلو الاسفل وهو المؤخر وتسقط العواء واليه ينسب النوء وهى
 تمد وتقصر وصورته خمسة كواكب كأنها الف معطوفة الذنب الى
 اليسار وبذلك سميت تقول العرب عويت الشئ عطفته . وقال آخرون

بل هي كأنها خمسة اكاب تعوى خلف الاسد وقال ابن دريد بل دبر
الاسد والعواء في كلامهم الدبر (النوء الثاني السماء) وهي سماكان
احدهما الاعزل وهو نجم وقاد شبهوه بالاعزل من الرجال وهو
الذي لاسلاح معه وهو منزل القمر والآخر كوكب يقدمه آخر
شبهوه بالرمح وهما ساق الاسد وسمى سماكا لعلوه ولا يقال لغيره اذا علا
سماكا . هكذا قال سيديويه فيما حكى الزحاجي عن ابي اسحق الزجاج
غير انه قال في الاعزل . وقيل انما سمي الاعزل لان القمر لا ينزل
فيه وهذا مخالف لما عليه جميع الناس (النوء الثالث الغفر) وهو
ثلاثة كواكب غير زهر وبذلك سميت من قولك غفرت الشيء اذا غطيته
ومنه سميت الغفارة التي تلبس . وقيل انما سمي غفرا من الغفرة وهي
الشعر الذي في طرف ذنب الاسد . وقال ابو عبيدة الغفر كل شعر
صفر دون الكبير وكذلك هو في الريش . وقال قوم هو من النكس
يقال اغفر المريض اذا نكس كأن النكس غطي العافية (النوء الرابع
الزبانا) وهو كوكبان متفرقان وهما قرنا المقرب وقيل يداها .
وسميا الزبانيين لبعد كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زبنت كذا
اذا دفعته لتبعده ومنه اشتقاق الزبانية لانهم يدفعون اهل النار اليها
(النوء الخامس الاكيل) وهو ثلاثة كواكب على رأس المقرب
ولذلك سميت الاكالا (النوء السادس القلب) وهو كوكب احمر
وقاد جعلوه للمقرب قابلا على معنى التشبيه (النوء السابع الشولة)

وهو كوكبان احدهما اخفى من الاخر وهما ذنب العقرب وذنب العقرب
شائل ابدا فشببه به. هذا قول بعضهم وبعضهم يجعل الشولة الابرة التي
في ذنب العقرب وهم اهل الحجاز فهو اصح على مذهب من زعم
انهما كوكبان فقط .

(الربع اثناني الصيف)

اول انواعه النعام وهي ثمانية كواكب نيرة اربعة منها في المجرة
تسمى الواردة واربعة خارجة منها تسمى الصادرة وشبهت بالخشببات
التي تكون على البئر تعلق فيها البكرة والدلاء (الثاني من الصيف
البلدة) وهي فرجة لطيفة لاشئ فيها ليكن في جوارها كواكب تسمى
القلادة وانما قيل لتلك الفرجة بلدة تشبهها بالفرجة التي بين الحاجيين
اذا لم يكونا مقرونين يقال منه رجل ابلد ويقال بل شبهت بالبلدة وهي
باطن الراحة وقيل باطن ما بين السبابة والابهام (الثالث منه سعد
الذابح) وهو نجمان صغيران احدهما مرتفع في الشمال معه كوكب
آخر يقال له شاته التي تذبح والاخر هابط في الجنوب (الرابع
منه سعد بلع) وهو كوكبان صغيران مستويان في المجرى شبها بفم
مفتوح يريد ان يتناع شيئاً وقيل انما قيل له بلع لانه كان قد بلع شاته
وبلع غير مصروف لانه معدول عن بالع مثل زفر وقثم وسعد مضاف
اليه (الخامس منه سعد السعود) وهو كوكبان احدهما انور
من الاخر تسمى بذلك لان وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش

به الحيوان من النبات (السادس منه سعد الاخوية) وهو كوكبان
عن شمال الحباء والاخوية اربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى
الحباء لانه على صورة الحباء . وزعم ابن قتيبة انه انما سمي بذلك
لظلمته وقت انتشار الحيات والهوام وخروج ما كان محتبياً منها
(السابع منه فرغ الدلو الاعلى) وهو المقدم وبمضهم يسميه العرقوة
العليا تشبيهاً بعرقوة الدلو . وهو كوكبان متفرقان نيران . وقيل له
الفرغ لانه تأتى فيه الامطار العظيمة . ويقال بل سمي بذلك لانهما
مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء .

(الربع الثالث الخريف)

(اول انوائه فرغ الدلو الاسفل) وصورته كوكبان مضيئان بينهما
بعد صالح يتيمان العرقوة العليا (ثم الحوت) وهو كوكب ازمز
يز في وسط السمكة مما يلي رأسها ويسمى قلب السمكة (ثم الشرطان)
وهو كوكبان متفرقان مع الشمالى منهما كوكب دونه في القدر وسميا
شرطين لان سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله وكل من جعل
لنفسه علامة فقد اشراطها ومنه سمي الشرط لان لهم علامات يعرفون
بها (ثم البطين) وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن
الحمل الا انه قد صغر (ثم الثريا) وهي النجم وصورتها ستة كواكب
مقاربة حتى تكاد تتلاصق واكثر الناس يحملها سبعة وقد جاء الشعر
بالقولين جميعاً سميت بذلك لان مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد

والغنى وهى تصغير تروى ولم ينطق بها الا مصغرة (ثم الدبران) وهو كوكب وقاد على اثر نجوم تسمى القلاص وقيل له دبران لانه دبر الثريا اى جاء خلفها . ويقال له ايضا الراعى والتالى والتابع والحادى على التشبيه (ثم الهقعة) سميت بهذا تشبيهاً بالدارة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس وصورتها ثلاثة انجم صغار متقاربة كانه رؤس اصابع ثلاثة فى ترى اذا جمعت الوسطى والسبابة والابهام وهى رأس الجوزاء .

(الربيع الرابع الشتاء)

وهو آخر ارباع السنة (اول انواعه الهنعة) سميت بذلك لانها كوكبان مقترنان كل واحد منهما معطوف على صاحبه من قولك هنعته اذا عطفت بمضه على بعض واقترانها فى المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة (الثانى ذراع الاسد المقبوضة) وقيل لهما مقبوضة لانقباضها عن سمت الذراع المبسوطة والمقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الاظفار . وانواع الاسد احدى الانواع ولذلك كثر ذكرها فى الشعر بين العرب . قال الشاعر .

يامن رأى عارضاً اسربه * بين ذراعى وجبهة الاسد

والذراعان والجهة من المنازل فالذراعان اربعة كواكب كل كوكبين منها ذراع . قال ابو اسحق ذراع الاسد المقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار يقال لهما الاظفار كأنها فى موضع مخالب الاسد فلذلك

قيل لها الاظفار وانما قيل لها الذراع المقبوضة لانها ليست على سمت الذراع الاخرى وهي مقبوضة عنها . ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثاني يسقط الذراع في المغرب غدوة وتطلع البلدة والنسر الطائر في المشرق غدوة وفيه يجمد الماء ويشد البرد والجهة اربعة كواكب فيها عوج احدها براق وهو اليماني منها . وانما سميت الجهة لانها جهة الاسد ونوءها يكون لعشر تمضي من شباط تسقط الجهة في المغرب غدوة ويطلع سعد السعود من المشرق غدوة وفيه تقع الجمرة الثالثة ويحرك اول العشب ويصوت الطير ويورق الشجر ويكون مطر جود ويسمى نوء الاسد لانه يتصل بها كواكب في جهة الاسد . وخص الشاعر هاتين المنزلتين لان السحاب الذي ينشأ بنوء من منازل الاسد يكون مطره غزيرا فلذلك يسميه . قال الاعلم وصف عارض سحاب اعترض بين نوء الذراع ونوء الجهة وهما من انواء الاسد وانو آؤه احمد الانواء . وذكر الذراعين والنوء انما هو للذراع المقبوضة منهما لاشتراكهما في اعصاب الاسد ونظير هذا قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يريد من البحرين الملح والعذب وانما يخرج اللؤلؤ من الملح لانهما . وقال شاعر من بني سعد .

وخيفاء القى الليث فيها ذراعه * فسرت وسائت كل ماش ومصرم
تمشى بها الدرماء تسحب قصيها * كأن بطن حبل ذات اوين متمم
الحيفاء روضة فيها رطب وييس وهما لونان اخضر واصفر وكل لونين

خيف وبه تسمى الفرس اذا كانت احدى عينيها كحلاء والاخرى زرقاء
وسمى الخيف خيفاً لان فيه حجارة سوداً وبيضا. وقوله القى الليث فيها
ذراعه يقول مطرت بنوء الذراع وهى ذراع الاسد فسرت الماشى
اى صاحب الماشية وسائت المصرم الذى لامال له لان الماشى يرعيها
ماشيته والمصرم يتلف على ما يرى من حسنها وليس له ما يرعيها .
وقوله تمشى بها الدرماء يعنى الارنب وانما سميت الدرماء لتقارب
خطوها وذلك لان الارانب تدرم درما تقارب خطوها وتخفيه لثلا
يقص أثرها فيقال درماء وكان ينبغى ان يقول دارمة . وقوله تسحب
قصها وهذا مثل والقصب المعى مقصور والجمع اقصاب وانما اراد
بالقصب البطن بعينه واستعاره . يقول فالارب قد عظم بطنها من اكل
الكلاء وسمنت فكانها حبل . والاونان العدلان يقول كأن عايبها عداين
لخروج جنبها وانتفاخهما ويقال اون الحمار وغيره اذا شرب حتى
ينتفخ جنباه ومتى اسم فاعل من اتأمت المرأة اذا وضعت اثنين فى بطن
فهى متى . والشعر فى هذا الباب كثير (الثالث من انواع الشتاء
النثرة) وهى لطخة ضعيفة بين كوكبين وهى ما بين فم الاسد وانفه
ومن الانسان فرجة ما بين الشاربين حبال وترة الالف . وقيل
انما سميت نثرة لانها كقطعة سحب نثرت (الرابع الطرف) وهو
عينا الاسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى رأى العين
(الخامسة الجهة) وهو كما سبق اربعة كواكب معوجة فى اليمانى لها

بريق وهي جهة الاسد عندهم (السادس الزبرة) وهو كوكبان
 نيران في زبرة الاسد وهي موضع الشعر في كتفيه ويقال لهما الخرتان
 كأنهما نفذا الى جوف الاسد مشتق من الخرت وهو الثقب . وزعم
 قوم انهما عجز الاسد والعيان يبطل ذلك كما قاله الزجاجي (السابع
 الصرفة) وهو كوكب وقاد عنده كراكب طمس سمي بذلك لانصراف
 البرد بسقوطه والخربطلوعه . فهذه عدة المنازل وصفاتها وانما اضيفت
 الى القمر دون الشمس وحظهما فيها واحد لظهورها معه . وتسمى
 نجوم الاخذ لان الارض تأخذ عنها بركات المطر . وقيل لاخذ
 الشمس والقمر سمتها في سيرها .

(اقسام الانواء واياها لدى العرب)

اعلم ان العرب قسمت المنازل بالنسبة الى انوائها الى سبعة اقسام
 على غير الوجه الذي نقلناه عن ابي اسحق الزجاجي فيما سبق (القسم
 الاول من الانواء البدرى) وهو تسعة وثلاثون يوما من ثمانية ايام
 خلون من ايلول الى سبعة عشر يوما خلت من تشرين الاول ونوء
 على قول من يجعل النوء سقوط الكوكب في الغرب مع الغداة سقوط
 فرغ الدلو المقدم والفرغ المؤخر والحوت (القسم الثاني الوسمى)
 وهو اثنان وخمسون يوما ومبدؤه من سبعة عشر يوما خلت من تشرين
 الاول الى تسعة ايام تمضي من كانون الاول ونوء سقوط الشرطين
 والبطين والثريا والدبران (القسم الثالث الولي) وهو مائة وثلاثون

يوما . ومبدؤه من تسعة ايام تمضى من كانون الاول الى ثمانية عشر
يوما تمضى من نيسان ونوء سقوط الهقمة والهنة والذراع والنثرة
والطرف والجهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك (القسم الرابع
الغمير والمد) وهما متداخلان وهما اثنان وخمسون يوما . ومبدؤه
من ثمانية عشر يوما من نيسان الى تسعة ايام تمضى من حزيران ونوء
سقوط النفر والزباني والاكيل والقلب (القسم الخامس البسرى)
وهو ستة وعشرون يوما ومبدؤه تسعة ايام تمضى من حزيران الى
خمس ايام تمضى من تموز وتسميه العامة النفاخ لانه يكبر فيه البلح
فيصير بسرا وكذلك الفواكه والسماك ونوء سقوط الشولة والنعام
(القسم السادس بارح القيظ) ويسمى ايضا رباح القيظ الشديدة وهى
السحوم وتسميه العامة الطباخ لانه يطبخ البسر الذى ينفخه البسرى
فيصير رطبا وهو تسعة وثلاثون يوما ومبدؤه من خمسة ايام مضين
من تموز الى ثلاثة عشر يوما خلت من آب ونوء سقوط البلدة
وسعد بلع وسعد الذابح (القسم السابع احراق الهوى) وهو
ستة وعشرون يوما . من ثلاثة عشر يوما من آب . الى ثمانية ايام
من ايلول ونوء سقوط سعد السعود وسعد الاخبية .

(البعد بين المنازل)

اعلم ان البعد من الشرطين الى البطين اثنا عشرة درجة .
ومن البطين الى الثريا ثلاث عشرة درجة . ومن الثريا الى الدبران خمس

عشرة درجة . ومن الدبران الى الهقعة اربع عشرة درجة . ومن الهقعة الى الهنعة ست عشرة درجة . ومن الهنعة الى الذراع كذلك . ومن الذراع الى النثرة ثلاث عشرة درجة . ومن الطرف الى الجبهة عشر درجات . ومن الجبهة الى الزبرة اربع عشرة درجة . ومن الزبرة الى الصرفة ثلاث عشرة درجة . ومن الصرفة الى العواء ست عشرة درجة . ومن العواء الى السماك اثنا عشرة درجة . ومن السماك الى الغفر مثل ذلك . ومن الغفر الى الزباني مثل ذلك ايضاً وتسمى هذه متساوية الابعاد . ومن الزباني الى الاكليل اربع عشرة درجة . ومن الاكليل الى القلب خمس عشرة درجة . ومن القلب الى الشولة ست عشرة درجة . ومن الشولة الى النعائم عشرون درجة . ومن النعائم الى البلدة تسع درجات وهن اوسط الابعاد . ومن البلدة الى سعد الذابح احدى عشرة درجة . ومن سعد الذابح الى سعد بنع عشر درجات . ومن سعد بلع الى سعد السعود مثل ذلك . ومنه الى سعد الاخبية مثل ذلك . ومنه الى الفراغ المقدم مثل ذلك . وهذه الاربعة متساوية الابعاد . ومنه الى الفراغ المؤخر تسع عشرة درجة .

(ما قوله العرب في طلوع المنازل والكواكب)

قال ابن قتيبة في كتاب الانواء يقول ساجع العرب (اذا طلع الشرطان) استوى الزمان . وحضرت الاوطان . وتهادى الجيران

(اذا طلع البطين) اقضى الدين . وظهر الرين . واقتفى بالطار
والقين (اذا طلع النجم) يعنى الثريا فالحر فى حدم . والعشب فى حطم
والعانات فى كدم (اذا طلع الدبران) توقدت الحزان . وكرهت
النيران . واستعرب الزبان . ويبدت الغدران . ورمت بانفسها حيث
سائت الصبيان (اذا طلعت الهقعة) تقوض الناس للقعة . ورجعوا
عن النجعة واردفتمها الهنعة (اذا طلعت الجوزاء) توقدت المعزاء .
وكفست الظباء . وعرقت العلباء . وطاب الحباء (اذا طلعت العذرة)
لم يبق بعمان بسرة . الا رطوبة او تمرة (اذا طامع الذراع) حسرت الشمس
القناع . واشعلت فى الافق الشعاع . وترقرق السراب بكل قاع .
(اذا طلعت الشعرى) نشف الثرى . وجعل صاحب النخل يرى
(اذا طلعت النثرة) قنأت البسرة . وجنى النخل بكرة . واوت
المواشى حجرة . ولم تترك فى ذات در قطرة (اذا طلعت الطرفة)
بكرت الحرفة . وكثرت الطرفة . وهانت للضيف الكلفة (اذا طلعت
الجبهة) تهافت الولهة . وتنازت السفهة . وقلت فى الارض الرفهة
(اذا طلعت الصرفة) احتال كل ذى حرفة . وحفر كل ذى نطفة
وامتيز عن المياه زلفة (اذا طامع المواء) ضرب الحباء وطاب المواء
وكره العراء . وشنن السقاء (اذا طلع السماك) ذهب المكاك . وقل على
الماء اللكاك (اذا طلع الغفر) اقشعر السفر . وتزيل النظر . وحسن
فى العين الحجر (اذا طلع الزباني) احدث لكل ذى عيال شانا .

ولكل ذى ماشية هوانا . وقالوا كان وكانا . فاجع لاهلك ولا توانى
 (اذا طلع الاكليل) هاجت الفحول . ونخوفت السيول (اذا
 طلع القلب) جاء الشتاء كالكلب . وصار اهل البوادي في كرب .
 ولم يمكن الفحل الا ذات ترب (اذا طلعت الشولة) اعجلت الشيخ
 البولة . واشتدت على العائل العولة . وقيل شتوة زولة (اذا طلعت
 العقرب) جس المذب . وقر الاشيب . ومات الجندب . ولم يصر
 الاخطاب (اذا طلعت النعائم) توسقت البهائم . وخلص البرد الى
 كل نائم . وتلاقت الرعاء بالتمائم (اذا طلعت البلدة) خمت الجمعة
 وانحلت القشدة وقيل للبرد اهده (اذا طلع سعد النايح) حى
 اهله النايح . ونفع اهله الرابع . وتصبح السارح . وظهر فى الحى
 الانافح (اذا طلع سعد باع) اقتحم الربع . ولحق الهبع . وصيد المرع .
 وصار فى الارض لمع (اذا طلع سعد السعود) نضر العود . ولانت
 الجلود . وكره فى الشمس القعود (اذا طلع سعد الاخبية) وهنت
 الاسقية . ونزلت الاحوية . وتجاورت الابنية (اذا طلع الدلو)
 هيب الجذو . وانسل العفو . وطلب اللهو والخلو (اذا طلعت
 السمكة) امكنت الحركة . وتعلقت الحسكة . ونصبت الشبكة .
 وطاب الزمان للنسكة . ولهم غير ذلك من الاسجاع فى سائر الكواكب
 وانوائها واستيعابها فيما اعد لها من الكتب ..

(الطالع والغارب من المنازل والرقيب منها)

اعلم ان المنازل لما كانت ثمانية وعشرين كانت ثلاثة عشر منها ظاهرة في الافق الاعلى وثلاثة عشر في الافق الاسفل والطارع في حكم الطلوع والغارب في حكم الغروب . فاذا عرفت الطالع كان رقيبہ الخامس عشر . وانما سمي الغارب رقيباً تشبيهاً له برقيب يرصده ليسقط من المغرب اذا ظهر ذلك من المشرق والطارع والغارب كما يمدان لاهل الافق الاعلى كذلك يمدان لاهل الافق الاسفل . وبقية الثلاثة عشر الظاهرة . واحد متوسط في خط السماء . وستة منها الى جهة المشرق . وستة الى المغرب . وكذلك الثلاثة عشر السفلية . فاذا غربت منزلة طلعت من المشرق اخرى فيتوسط ما بعد المتوسط في العدد ومهما كان الطالع فالخامس عشر منه والثامن منه متوسط .

(بروج الفلك الاثنا عشر)

قسم الغرب الفلك الى اثني عشر قسماً وسموا كل قسم برجاً . وهي الحمل والثور والجوزاء ويسمى التوأمين والسرطان والاسد والسنبلة وتسمى العذراء ايضاً . وهذه البروج الست شمالية والميزان والعقرب والقوس ويسمى الرامي ايضاً والجدي والدلو ويسمى ساكب الماء والدالي ايضاً والحوت ويسمى السمكتين ايضاً . وهذه الست جنوبية وجعلوا كل ثلاثة منها لفصل من فصول السنة الاربعة ونظم بعضهم هذه البروج على الترتيب المعتبر عندهم فقال .
حمل الثور جوزة السرطان • ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس جديا * نزلت دلوها بركة الحيتان
وهذه الاسامي المذكورة مأخوذة من صور توهمت على المنطقة
من كواكب ثابتة تنظمها خطوط موهومة وقعت وقت التسمية في تلك
الاقسام (فللمحمل) ثلاثة عشر كوكباً على صورة غنم ذى قرنين مقدمه
الى المغرب ومؤخره الى المشرق وظهره الى الشمال ورجلاه في الجنوب
وقد التفت الى خلفه (وللثور) اثنان وثلاثون كوكباً على صورة مقدم
ثور مقطوع من سرته وقد نكس رأسه مقدمه الى المشرق ومؤخره
الى المغرب ومن كواكبه الثريا والديران (وللنومنين) ثمانية عشر على
صورة صبيين عريانين معتقين في جوز السماء اى وسطها رأسها
في الشمال والمشرق اى فيما بينهما . وارجلها الى المغرب والجنوب
(وللسرطان) تسعة كواكب على صورته مقدمه الى المشرق والشمال
ومؤخره الى المغرب والجنوب (وللأسد) سبعة وعشرون على
صورته وجهه الى المغرب وظهره الى الشمال والذير الذى هو فيها
هو قلب الأسد . ومنها الهلبة وهى كواكب مجتمعة متكاثفة من جملتها
الضفيرة (وللعدراء) ستة وعشرون كوكباً على صورة جارية ذات
جناحين ارسلت ذيلها ورأسها الى المغرب والشمال . وقدمها الى
المشرق والجنوب ويدها اليسرى مسبلة مع جنبها واليمنى مرفوعة
حذو منكبيها . وقد قبضت بها سذيلة والذير الذى على كفها اليسرى
هو السماك الاعزل (وللميزان) ثمانية على صورة ميزان كفتاه نحو

المغرب وعموده نحو المشرق (وللمقرب) احد وعشرون على صورتها
 رأسها الى الشمال وحتمها نحو الجنوب والمشرق والاحمر الذي فيه
 هو قاب المقرب (وللراعى) احد وثلاثون كوكباً على صورة كأنها
 جسد دابة الى العنق وهو في المشرق ثم يخرج من مغرز العنق نصف
 رجل من عند الحقو عاياه عمامة ذات ذوائب وقد وضع السهم في قوسه
 واغرق في النزاع نحو المغرب (وللجدي) ثمانية وعشرون كوكباً
 على صورة النصف المقدم من جدي ذى قرنين رأسه ويداه نحو
 المغرب وظهره الى الشمال والباقي كمؤخر سمكة الى ذنبها (ولساكب الماء)
 اثنان واربعون كوكباً على صورة رجل قائم رأسه في الشمال
 ورجلاه في الجنوب متوجه الى المشرق ماد اليدين باحداها كوز
 قد قلبه وانصب الماء الى مقام رجله وجري من تحتها الى فم الحوت
 (وللسمكتين) اربعة وثلاثون على صورة سمكتين قد وصل ذنب
 احداها بذنب الاخرى بخيط طويل من كواكب على تعريج يسمى
 خيط الكتان احداها وهي المتقدمة رأسها الى المغرب وذنبها الى
 المشرق ورأس الاخرى الى الشمال وذنبها الى الجنوب . ولا يذهب
 عليك ان هذه الكواكب عند البروج متحركة بحركة الفلك الثامن فلا
 محالة تنتقل هذه الصور عن مواضعها في تلك الاقسام والله تعالى اعلم
 (فصول السنة على مذهب العرب ومالهم فيها من الاختلاف)
 اعلم ان العرب قسموا السنة الى اربعة اجزاء (فجعلوا الجزء

الاول الصفرية) وسما مطره الوسمى واوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى و آخره سقوط الهقمة (وجعلوا الجزء الثاني الشتاء) واوله عندهم سقوط الهنعة و آخره سقوط الصرفة (وجعلوا الجزء الثالث الصيف) واوله عندهم سقوط العوآء و آخره سقوط الشولة (وجعلوا الجزء الرابع القيظ) وسما مطره الخريف واوله عندهم سقوط النعائم و آخره سقوط عرقوة الدلو العليا كذا في كتاب در الاتالي . وقال ابن قتيبة في باب ما يضعه الناس في غير موضعه وهو اول كتابه ادب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنور ولا يعرفون الربيع غيره . والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده . ثم فصل الصيف بعده الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع . ثم فصل القبط بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف . ومن العرب من يسمى الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول . ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكماة والنور الربيع الثاني . وكلهم مجمعون على ان الخريف هو الربيع . قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين لانهم كانوا يحملون حلول الشمس برأس الحمل اول الزمان وشبابه . واما العرب فانهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان اول فصول السنة الاربعة وسماه الربيع

واما حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيعان . وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد واما الربيعان من الشهور فلا خلاف بينهم انهما اثنان ربيع الاول وربيع الاخر . وقال المرزباني في كتاب صنفه في الانواء اتى فيه بفوائد كثيرة مقداره مائة وعشرون كراسة . ومن العرب من يقسم السنة نصفين ويبدأ بالشتاء لانه ذكر والصيف اثنى قال وانما جعلوه اثنى لان النبات يظهر فيه . ثم يقسم الشتاء نصفين فيجعل الشتاء اوله والربيع آخره . ويقسم الصيف نصفين فيجعل الصيف اوله والخريف آخره . وفي بعض التعاليق ان من العرب من يجعل السنة ستة ازمنة (الاول الوسمى) وحصته من السنة شهران ومن النجوم اربعة انجم اولها العوآء (الزمن الثانى الشتاء) وحصته من السنة شهران ومن النجوم اربعة وثلاثا نجم (الزمن الثالث الربيع) وحصته شهران ومن النجوم اربعة وثلاثا نجم (الزمن الرابع الصيف) وحصته شهران ومن النجوم اربعة وثلاثا نجم (الخامس الحميم) وحصته شهران واربعة انجم وثلاثا نجم (السادس الخريف) وحصته شهران واربعة انجم وثلاثا نجم . والذي عليه الغالب من العرب ان الفصول اربعة وهى المشهورة بين الناس وان لكل فصل من فصول السنة سبعة منازل فللربيع من الشرطين الى الذراع . وللصيف من النثرة الى السماك . وللخريف من الغفر الى البلدة . وللشتاء من سعد الذابح

الى الرشا . والاوائل من الاطباء وان كانوا يقسمون السنة على اربعة اقسام الا انهم يجعلون الصيف والشتاء اطول زمانا من الربيع والخريف فيجعلون للشتاء اربعة اشهر وللصيف كذلك وللربيع والخريف اربعة اشهر لكل شهر ان لكونهما متوسطين بين الحر والبرد فكانهما وصلتان بين الشتاء والصيف . وقد اعرضنا عما يستشهد به من الشعر لكل مذهب لئلا يطول الكلام .

(الجمرات وسقوطها وهل هي كواكب ام لا)

قال بعض من تكلم في الانواء ان بعض الاعراب كانوا اذا اشتد عليهم البرد دخلوا مغارات في الجبال واسعة وادخلوا معهم اغنامهم ومواشيهم من الابل والبقر والغنم ونحو ذلك . وخصوا لهم موضعاً والاغنام موضعاً . ونحو البقر موضعاً . وادقدوا لكل ناراً دفماً سورة البرد فاذا احسوا بتصرمه اطفؤا ناراً فنارا الى ان يطفؤا الثلاث فعبروا عن ذلك بسقوط الجمرات وعن اطفاء كل نار بسقوط جرة . ونحوه ما قيل ان ملوك المغل ونحوهم من سكان البلاد كانوا اذا اشتد البرد اوقدوا في مجالسهم ثلاث مجامر فاذا احسوا بتصرمه رفعوها واحدة فواحدة فعبروا عن ذلك بما ذكر . وشاع استعماله فيما بين الناس غير اولئك الفريقين كناية عن انكسار سورة البرد في الماء والهواء والتراب . وعندى ان هذا الوجه في غاية البعد فان اللفظ من اللغة العربية وعوائد المغل لم تكن معهودة للعرب يومئذ . ورأيت

لبعض المحققين في ذلك وهو الحرى بالاصغاء اليه ان الجمرات عبارة عن كواكب ثلاثة رأس الحية وهو كوكب من كواكب الطرف والذراع الشامي وهو كوكب من كواكب الهنعة وقلب الاسد وهو كوكب من كواكب الجبهة وسميت بالجمرات لتوقدها وضربها الى الحمرة وسقوطها ميلها للغروب . وقد جرت عادة الله تعالى بظهور اثر الحرارة في الماء عند سقوط رأس الحية في الغداة سابع شباط وميله للغروب في ذلك الوقت وبظهور اثرها في الهواء عند سقوط الذراع الشامي في الغداة ايضاً في رابع عشره وبظهوره في التراب عند سقوط قلب الاسد في ذلك الوقت في الواحد والعشرين منه . ولهذه المناسبة قالوا للاولى جمره الماء . وللثانية جمره الهواء . وللثالثة جمره التراب . وربما وقع في التقاويم في الترتيب سقوط جمره الماء ثم سقوط جمره التراب ثم سقوط جمره الهواء . وفي بعضها سقوط جمره الهواء ثم سقوط جمره الماء ثم سقوط جمره التراب فلعل ذلك بناء على الاختلاف في ترتيب ظهور الآثار . وفي تقييد السقوط بقوله بالغداة اندفع اشكال لا يخفى على من يعرف الطالع والغارب وذلك اذا اريد بالغداة مايم وقت طلوع الشمس وما بعده الى الزوال . وقد يقال الامر ايضاً سهل اذا اريد بها وقت الطلوع بناء على ان قلب الاسد مثلاً في الدرجة الرابعة والعشرين من برجه وانهم يبنون الامر على الترتيب كما لا يخفى على من راجع كتب الاحكام . من ذوى الافهام . وفي كتب الانواء

زيادة تفصيل لمثل هذه المطالب

(مخائل العرب في الانواء)

١. كانت العرب ايام جاهليتهم في ضنك من العيش . وكلف من الحاجة . وشدة من العوز . الحوا في تتبع مواقع القطر . واوغلوا في بطون الاودية . وجابوا منابت الشجر سداً لفم حواشجهم . وارتباداً لما يقوم بمؤنهم . ويصلح اعلف دوابهم . ومراعى ابلهم وسائر مواشيهم وكانت دارهم كثيرة القحط قليلة الانهار والعيون . فامتدت اعناقهم نحو السماء لمطالعة علام الظفر بمقصودهم ومطلوبهم . فكانت لهم مخائل لصوادق الانواء لا تكذب . فعرفوا السحاب الممطر من غيره وميزوا البرق الخلب عما سواه . ووصفوا الغيث والمطر باقسامه . ووقفوا على الرياح وخواصها . وادركوا ما يعقبها من الحوادث من غير استناد الى آلة حدثت بعدهم بقرون بل فهموا ذلك من علام ظهرت لهم . وقد استوى في معرفتها صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم . ولذلك شواهد في منظوم كلامهم ومنتوره توقف الناظرين اليها في موقف الحيرة . لما كان عليه القوم من فصاحة المنطق وذب اللسان . وحلاوة التعبير وسعة نطاق البيان . بيداني اورد من ذلك غالب ما ذكره الامام ابو بكر محمد بن الحسن الشهير بابن دريد الازدي في كتاب المطر والسحاب محيلاً شرح الالفاظ الى ذلك الكتاب وما للاختصار . وهو كتاب جليل جمع فيه ما ذكرته العرب في جاهليتها

واسلامها من وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع مع الشرح المبسوط لالفاظه (روى ابوبكر ابن دريد بسنده) قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالساً مع اصحابه اذ نشأت سحابة . فقالوا يا رسول الله هذه سحابة . قال كيف ترون قواعدها . قالوا ما احسنها واشد تمكها . قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما احسنها واشد استقامتها . قال وكيف ترون برقها او ميضاً ام خفوا ام يشق شقاً . قالوا بل يشق شقاً . قال وكيف ترون جونها قالوا ما احسنه واشد سواده . فقال الحيا فقالوا يا رسول الله مارأينا الذي هو افصح منك قال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلساني بلسان عربي مبين (وروى بسنده عن الاصمعي) قال خرج معقر ابن حماد البارقي ذات يوم وقد كف بصره وابنته تقوده فسمع رعداً فقال لابنته ما ترين قالت اراها حاء عفاقة . كأنها حولاء عفاقة . اها سيروان وصردان . فقال مري فلأبأس عليك . ثم سمع رعداً آخر فقال ما ترين فقالت اراها كأنها لحم نثت منه مسيك ومنه منهرت . فقال والبي الجيبي الى قفلة فانها لا تبيت الا بمنجاة من السيل .

(وروى بسنده الى عم الاصمعي) قال سئل اعرابي عن مطر فقال استقل سد مع انتشار الطفل . فشصا واحزال . ثم اكفهرت ارجاؤه . واحمومت ارجاؤه . وابدعرت فوارقه . وتضاحكت بوارقه . واستطار وادقه . وارتقت جوبه . وارثعن هيدبه . وحشكت

اخلافه . واستقلت اردافه . وانتشرت اكثافه . فالرعد صرّيجس
والبرق مختلس . والماء منجس . فاترع الغدر . وانبت الوجر .
وخلط الاوعال بالآجال . وقرن الصيران بالرنال . فللاودية هدير
وللشراج خرير . وللتلاع زفير . وحط النبع والعم . من القلل
الشم . الى القيعان الضخم . فلم يبق في القلل الامتعصم مجرثم .
اوداحض مجرجم . وذلك من فضل رب العالمين على عباده الجرمين .
(وروى بسنده عن الاصمعي) قال سألت اعرابياً من بني
عامر بن صعصعة عن مطر صاب بلادهم . فقال نشأ عارضا . فطلع
ناهضا . ثم ابتسم وامضا . فاعس في الاقطار فاسجاها . وامتد في الآفاق
فغطاها . ثم ارتجز فهمهم . ثم دوى قازلم . قازل وودث . وبغش
وطش . ثم قطقط فاخرط . ثم ديم فانمط . ثم ركد فأنجم . ثم وبل
فسجم . وجاد قائم . فقمس الزبي . وافرط الربى . سبعا تباعا .
مايزيد انتشاعا . حتى اذا ارتوت الحزون . واتضحضحت المتون .
ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء .

(وروى بسنده عن عبد الرحمن عن عمه) قال سئل رجل
من العرب عن مطر كان بعد جذب . فقال نشأ حملا سد . متقاذف
الاحضان . محمومى الاركان . لماع الاقرب . مكفهر الرباب . تحن
رعوده حنين اضطراب . وتزجر زجيرة الليوث الغضاب . لبوارقه
التهاب . ولرواعده اضطراب . فجاحفت صدوره الشعاف . وركبت

اعجازه النفاذ . ثم التى اعبائه وحط اثقاله . قتالو واصعق . وانجس
وانبمق . ثم انحم فانطلق . فغادر الهاء مترعة . والفيضان ممرعة .
حباء للبلاد . ورزقا للعباد .

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال سمعت اعرابياً من غنى
يذكر مطراً اصابهم غب جذب . فقال تدارك ربك خلقه . وقد كابت
الاحمال . وتفاصرت الامال . وعكف الياس . وكظمت الانفاس
واصبح الماشى مصرما . والمثرى معدما . وجفيت الحلائل . وامتهنت
العقائل . فانشأ الله سحابا نشأ ركاما . كنهورا سجاما . بروقه متألقه
ورعوده متعقمة . فسمع ساحيا ركدا ثلاثا غير ذى فواق . ثم امر
ربك الشمال فطحرت ركامه . وفرقت جهامه . فانقشع محمودا وقد
احيا قاغنى . وجاد فاروى . فالحمد لله الذى لا تكتم نعمه . ولا تنفد
قسمه . ولا يخيب سائله . ولا ينزر نائله .

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال كان شيخ من الاعراب
فى خبائه وابنة له بالفناء . اذ سمع رعداً فقال ماترين يابنية . فقالت
اراهما حواء قرحاه . كأنها اقرب اب اتان قرآه . ثم سمع راعدة اخرى
فقال كيف تريها . قالت اراها حمة الترجاف . متساقطة الاكناف .
تتالق بالبرق الولا ف . قال هلى المفرفة انى نؤيا .

(وعن الاصمعي ايضا) قال وقف اعرابى على ابى المكنون
انحوى وهو فى حلقته فسأله فقال له مكانك حتى افرغ لك فدعا واستسقى

ثم قال اللهم ربنا والهنا ومولانا صل على نبينا محمد ومن ارادنا بسوء
 فاحط ذلك السوء به . احاطة القلائد . بترائب الولائد . ثم ارسخه
 كرسوخ السجيل . على اصحاب الفيل . اللهم اسقنا غيثاً مزنّاً طبعاً
 مريماً تاماً مجلبلاً مسخفراً هزجاً سحاً سفوحاً غرقاً مشعجراً . قال
 فولى الاعرابي مدبراً . فقال له مكانك حتى اقضى حاجتك . قال الطوفان
 ورب الكعبة حتى آوى عيالى الى جبل يعصمهم من الماء .

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال مررت بغلة من الاعراب
 يتماقلون في غدير . فقلت لهم ايكم يصفلي الفيث واعطيه درهماً
 فخرجوا الى فقالوا كلنا وهم ثلاثة فقلت لهم صفوا فايكم ارتضيت وصفه
 اعطيته الدرهم « فقال احدهم » عن لنا عارض قصر اتسوقه الصبا
 وتحدوه الجنوب يحبو حبو الممتك حتى اذا ازلامت صدوره .
 وانحلت خصوره . ورجع هديره . واصعق زئيره . واستقل نشاصه .
 وتلام خصاصه . وارتعج ارتماصه . واوقدت سقابه . وامتدت اظنابه .
 تدارك ودقه . وتألق برقه . وحفزت تواليه . وانسفحت عزاليه .
 ففادر الزرى عمدا . والفرار ثدا . والحذاء عقدا . والضخاضع متواصية .
 والشباب متداعية « وقال الاخر » ترائت الخائل من الاقطار . نحن
 حين العشار . وتراعى بشب النار . قواعدها متلاحكة . وبواسقها
 متضاحكة . وارجاؤها متقاذفة . واعجازها مترادفة . وارجاؤها
 متواصفة . فواصلت الغرب بالشرق والوبل بالودق . سحادر اكا . متابعا

لكاكا . فضحضحت الجفاجف . وانهرت الصفاصف . وحوضت
الاصالف . ثم اقلعت محمودة الاثار . وموموقة الخيار « فقال انثالث »
والله ماخلته بلغ خمسا . فقال هلم الدرهم اصف لك فقات لا اوتقول
كما قال . قال لا بدنهما وصفا . ولاوقفنهما رصفا . فقلت هات لله
ابوك . فقال بينما الحاضر بين الباس والابلاس . قد غمرهم الاشفاق
رهبة الاملاق . وقد جفت الانواء . ورقرف البلاء . واستولى
القنوط على القلوب . وكثر الاستغفار من الذنوب . ارتاح ربك
لعباده فانشأ سحابا مستجھرا كنهورا . مغنوكا محلواكا . ثم استقل
واحزال . فصار كالسواء دون السماء . وكالارض المدحوة في لوح
الهواء . فاحسب السهول . واتاق المهجول . واحيا الرجاء . وامات
الضراء . وذلك من فضل رب العالمين . قال فلاء والله اليفع صدرى
فاعطيت كل واحد درهما وكتبت كلامهم .

(وروى عن ابى حاتم عن الاصمعي) قال سألت اعرابيا
عن مطر اصابهم بعد جدب . فقال ارتاح لاربك بعد ما استولى على
الظنون . وخامر القاب القنوط . فانشأ بنوء الجبهة قزعة كالفرص
من قبل العين فاحزألت عند ترجل النهار . لاذميم السرار . حتى
اذانهضت في الافق طالع امر مسخرها الجنوب . فتنسجت لها فانتشرت
احضانها . واحومت اركانها . وبسق عنانها . واكفهرت رحاها
وانبجت كلاها . وذمرت اخراها اولها . ثم استطارت عقايقها .

وارتجت بوارقها . وتقهقعت صواعقها . ثم ارتفعت جوانبها . وتداغت
سواكبها . ودرت حوالبها . فكانت الارض طبقة تسمع فهضب . وعم
فاحسب . فمل القيعان . وضخض الغيطان . وخوخ الاضواج . واترع
الشراج . فالحمد لله الذي جعل كفاء اسائننا احسانا . وجزاء ظلمنا غفرانا .
(وروى عن عبدالرحمن عن عمه) قال سمعت اعرابياً من بني
عاصر بن لوى بن صعصعة يصف مطراً فقال نشأ عند القصر بنوء
الغفر حياً عارضا . ضاحكا وامضا . فكللا ولا مكان . حتى سحبت
به اقطار الهواء . واحتجبت به السماء . ثم اطرق فاكفهر وتراكم
قادلهم . وبسق فازلا ثم . ثم حدث به الريح فخن فالبرق مرابعج
والرعد متبوج . والخروج تنبعج . فأنجم ثلاثا . متخيراً ههنا . اخلافه
حاشكة . ودفعه متواشكة . وسوامه متعاركة . ثم ودع منجما .
واقلع متهما . محمود البلاء . مترع النماء . مشكور النعماء . بطول
ذى الكبرياء .

(وروى بسنده عن اشياخ من بني الحرث بن كعب) قالوا
اجدبت بلاد مذحج فارسوا رواداً من كل بطن رجلا . فبعث بنو
زبيد رائداً . وبعثت جعفي رائداً . وبعثت النخع رائداً . فلما رجع
الرواد قيل لرائد بني زبيد ما ورائك . قال رأيت ارضاً موشمة البقاع
تاتجة النقا . مستحلسة الغيطان . ضاحكة القران . واعدة واجر
بوقائها . راضية ارضها عن سمائها . وقيل لرائد جعفي ما ورائك . فقال

رأيت ارضاً جمعت السماء اقطارها . فاترعت اصيارها . وديت اوعارها .
فبطانها عمقه . وظهرانها غدقه . ورياضها مستوسقه . ورقاقها رايخ .
وواطئها ساخ . وماشيا مزور . ومصرمها محسور « وقيل للنخى
ماوراءك » فقال مداحي سيل . وزهاء ليل . وغيل يواصي غيل
قدارتوت اجرازها . ودهث عزازها . والتبت اقوازها . فرأى لها
انق . وراعيها مستنق . فلا قضض ولا رمض . عازبها لا يفرع .
وواردها لا ينكع . فاخثاروا مرار النخى .

(وروى عن عمه عن ابن الكلبي) قال خطب ابنة الحسن
الايادية ثلاثة نفر من قومها . وارتضت انسابهم وجمالهم . وادارت
ان تسبر عقولهم . فقالت لهم اني اريد ان تترادولي مرعى . فلما اتوها
قالت لاحدهم ما رأيت . قال رأيت بقلا وبقيلا . وماء غدقا سيلا .
يحسبه الجاهل ليلا . قالت امرعت « قال الاخر » رأيت ديمة بعد
ديمه . على عهاد غير قديمه . قالناب يشيع قبل الفطيمه « قال الثالث »
رأيت غيتاً تغدا . مغدا متراكما جعدا . كافخاذ نساء بنى سعد . تشيع منه
الناب وهي تعد .

(وروى عن ابي حاتم عن ابي عبيدة) قال خرج النعمان
في بعض ايامه في عقب سماء فالتى اعرابياً على ناقة فامر فأتى به . فقال
كيف تركت الارض ورائك . فقال فيح رحاب . منها السيول ومنها
الصعاب . منشوطة بحبالها . حاملة لاثقالها . قال انما سألتك عن السماء

قال مطالة مستقلة على غير سقاب ولا اطناب . يختلف عصرها .
 ويتعاقب سراجها . قال ليس عن هذا اسألك قال فسل ما بدالك
 قال هل صاب الارض غيث . قال نعم اغمطت السماء في ارضنا ثلاثا
 رهوا فثرت وارزغت ورسفت . ثم خرجت من ارض قومي اقرؤها
 فاذا هي متواصية لا خفاطة بينها حتى هبطت بعشار . فتداعى السحاب
 من الاقطار . فجاءنا بالسيل الحرار . فعفا الآثار . وملا الجفار .
 وفور على الاشجار . فاحجر الخضار . ومنع السفار . ثم اقلع عن نفع
 واضرار . فلما اتلأبت لى القيمان . ووضحت السبل فى الغيطان .
 وفات العنان . من اقطار الاعنان . فلم اجد وزراً الا الغيران . فعات
 جار الضبع فغادرت السهول كالبحار . تتلاطم بالتيار . والحزون
 متلفعة بالغناء . والوحوش مقذوفة على الارحاء . فزال طأ السماء .
 واخوض الماء . حتى وطأت ارضكم .

(وروى عن ابى حاتم عن ابى عبيدة) قال وقف اعرابى
 على قوم من الحاج فقال يا قومى بدأ شانى والذى الفجنى الى مسألتكم
 ان الغيث كان قد قوى عنا . ثم تكرفا السحاب . وشصا الرباب . وادلهم
 سيقه . فارنجس ريقه . وقلنا هذا عام باكر الوسمى . محمود السمى .
 ثم هبت له الشمال . فاحزأت طخاريره . وتقزع كرفيه متباشرا .
 ثم تتابع لعان البرق . حيث تشبه الابصار . وتجدد النظار . وممرت
 الجنوب مائه . فمقوض الحى مزلا مین نحوه . فسر حنا المال فيه .

وكان وخماً وخيماً . فاساف المال . واضف الحال . فرحم الله امراً
جاد بغير . اودل على خير .

(وروى ابو حاتم عن العتبي) قال حدثني ابي قال خرج
الحجاج الى ظهرنا هذا فاقى اعراباً قد انحدروا للميرة فقال كيف
تركتم السماء ورائكم . فقال متكلمهم لمثل القوائم حيث انقطع الرمث
بضرب فيه تقير . وهو على ذلك يعضد ويرسخ . ثم اصابتنا سماء
امثل منها تسيل الدماء والتلعة الزهيدة . فلما كنا حذاء الحفر
اصابنا ضرر جود ملاً الاخاذ . فاقبل الحجاج على زياد بن عمرو
العتكي فقال ما يقول هذا الاعرابي . قال وما انا وما يقول انما انا
صاحب سيف ورمح . قال بل انت صاحب مجذاف وقلس اسبح
بجمل يفحص الثرى ويقول لقد رأيتني وان المصعب اعطيني المائة
الف وهانا اسبح بين يدي الحجاج .

وروى عن عبد الرحمن عن عمه) قال قال ابو مجيب وكان
اعرابياً من بني ربيعة بن مالك لقد رأيتنا في ارض عجفاء . وزمان
اعجف . وشجر اعسم . فوقف غليظ . فبينما نحن كذلك اذنأ
الله تعالى من السمام غيثاً مستكفأ نشوء . مسيلة عزاليه . ضخاما
قطره . جوداً صوبه . زاكياً انزله الله تعالى رزقانا . فتعيش به
امواتنا . ووصل به طرفنا . واصابنا وانا ابنوطه بعيدة الارحاء
فامر مع مطرها حتى رأيتنا وما نرى غير السماء والماء . وضهوات

الطلح . وضرب السيل النجاف . وملاً الاودية فرعتها فما لبثنا الا عشر احتى رأيتها روضة تندى .

(وعن عبد الرحمن عن عمه) قال شام اعرابي برقاً فقال لابنته انظري اين ترينه فقالت .

اناخ بذي بقر بركه * كأن على عضديه كتافا

ثم قال عودي فشيبي فقالت «

نحته الصبا ومرة الجنوب * وانجفته السماء انجافا

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال كان اعرابي ضرير تقوده

ابنته وهي ترعى غنيمات لها فرأت سحابة فقالت يا ابت جئتك السماء .

فقال كيف ترينها . قالت كأنها فرس دهاء تجر جلالها . قال

ارعى غنيماتك فرعت مليا . ثم قالت يا ابت جئتك السماء . قال

كيف ترينها . قالت كأنها عين جبل طريف . قال ارعى غنيماتك

فرعت مليا . ثم قالت يا ابت جئتك السماء . قال كيف ترينها . قالت

سطحت وابيضت . قال ادخلي غنيماتك . قال فجاءت السماء بشيء

شظا له الزرع واينع وخضر ونضر .

(وروى ابو الفرج الاصبهاني) في الاغانى بسنده قال كان

من حديث زهير بن خباب الكلبي انه كان قد بلغ عمراً طويلاً حتى

ذهب عقله وكان يخرج تائهاً لا يدري اين يذهب فتلقاه المرأة من اهل

والصبي فيرده . ويقول له اني اخاف عليك الذئب ان ياكلك فاين

تذهب . فذهب يوما من أيامه . ولحقته ابنة له فرجع معها يهدج
 كأنه رأل . وراحت عليهم سماء في الصيف فعاتتهم منها بغشة ثم اردفها
 غيث منكر . وسمع له زجلا منكرا . فقال انعته لى . فقالت اراه
 منبطحا مسلطحا . قد ضاق ذرعا . وركب ذرعا . ذاهيدب يطير .
 وهامهم وزفير . ينهض نهض الكسير . عليه مثل شباريق الساج .
 في ظلمة الليل الداج . يتضاحك مثل شعل النيران . يهرب منه الطير
 ويوائل منه الحشرة . قال اى بنية وائلى منه الى عصر . قبل ان لا
 عين ولا اثر . وفي هذا الفن كثير من المنظوم وقد ذكر منه نبذة
 غير يسيرة في كتاب جزيرة العرب للهمداني . والله ولى التوفيق .

(ومن علومهم علم القيافة والعيافة)

اعلم ان القيافة على قسمين قيافة الاثر ويقال لها العيافة وقيافة
 البشر . اما العيافة فهو علم باحث عن تتبع آثار الاقدام والاختلاف
 والحوافر في المقابلة للأثر . وهى التى تكون فى تربة حرة يتشكل بشكل
 القدم ونفع هذا العلم بين اذا لقائف يجد بهذا العلم الفار من الناس
 والضال من الحيوان يتتبع انارها وقوائمها بقوة الباصرة وقوة الخيال
 والحافظة حتى يحكى ان بعضهم يفرق بين اثر قدم الشاب والشبح
 وقدام الرجل والمرأة والبكر والثيب . واما قيافة البشر فهى الاستدلال
 بهيئات اعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب
 والولادة وفى سائر احوالهما واخلاقهما . وقد فسرهما ابو القاسم

الاصفهانى في كتاب الذريعة بتفسير اوجز فقال والقيافة ضربان. احدهما
بتتبع اثر الاقدام والاستدلال به على السالكين. والثاني الاستدلال
بهية الانسان وشكله على نسبه . وخص الاستدلال بالقيافة البشرية
من العرب بنو مدلج وبنو لهب وذلك لمناسبة طبيعية حاصلة فيهم
لا بتعليم . قال الاصفهانى خص الله تعالى بذلك العرب ليكون سبباً
لارتداع نسائهم عما يورث ثلب نسبهم وخيب حسهم وفساد بذورهم
وزروعهم صيانة للنسبة. ولاجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال تعالى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا اى ليعرف بعضكم بعضا بمعرفة اصله
انتهى . وبمثل ذلك قال بعض الحكماء . وحصول هذا العلم بالحرس
والتحمين . لا بالاستدلال واليقين . ولا يحصل بالمدارسة والتعليم
فلذا لم يصنف فيه مصنف لاحداث ولا قديم . والقيافة اليوم موجودة
في بعض قبائل عرب نجد . ويقال انهم بنو مرة وهم اعلم الناس
بها . وقد نقل الثقة عن سافر الى بلاد نجد ان كثيراً منهم يرى
الاثر فيقول هذا اثر فلان وفلان . وهذا اثر بعير فلان وفلان .
وهذا اثر اناس لم يبطؤوا الارض الفلانية . وهؤلاء اناس قدموا من كذا
وكذا فلم يخلوا بشئ منها. وسمعت ان اعرابياً اتبع اثر حمار له سرقة
الاصوص حتى دخل الحلة وهو ينشده حتى اوقفه اثره عليه من بين
اثار حمير لا تحصى . واذا نظروا الى عدة اشخاص الحقوا الابن بابيه
والاخ باخيه والقريب بقريبه وميزوا الاجنبى اذا كان بينهم . واهل

مكة فيهم من بقارب هؤلاء فتري كثيراً منهم يميز بين العراقي والشامي
والمصري والمدني والعربي والجمي . ولولم يكن بزيه وهيئته . وفي
هذا الباب حكايات لولا تواترها لحكم عليها بما يقرب من الاستحالة .
والقيافة محكوم بها في الشرع وهي احد الطرق الحكيمة . ففي الصحيح
من حديث مجززالاسلمى انه دخل فرأى اسامة بن زيد وزيدا وعليهما
قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت اقدامهما فنظرا اليهما مجززالاسلمى وقال
ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم . وهي ناشئة من كمال الفطنة والذكاء ومن توابع غزارة العقل .
(ومن علومهم علم الفراسة)

وهو الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله والوانه واقواله على
اخلاقه وفضائله ورذائله . وربما يقال هي صناعة صيادة لمعرفة اخلاق
الانسان واحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ان في ذلك
لايات للمتوسمين . وقوله تعرفهم بسيماهم . وقوله ولتعرفهم في لحن
القول . ولفظها من قولهم فرس السبع الشات فكأن الفراسة اختلاس
المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف
سببه . وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واياه عنى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله المؤمن ينظر بنور الله وهو الذي
يسمى صاحبه المروع والمحدث . وقال عليه الصلوة والسلام ان يكن
في هذه الامة محدث فهو عمر . وقيل في قوله تعالى وما كان لبشر

ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا . انما كان
وحياً بالقائه في الروح . وذلك للانبياء كما قال عز وجل نزل به الروح
الامين على قلبك وقد يكون بالهام في حال اليقظة وقد يكون في حال
النام ولاجل ذلك قال عليه الصلوة والسلام الرؤيا الصادقة جزء
من ستة واربعين جزءاً من النبوة (والضرب الثاني من الفراسة)
يكون بصناعة متعلمة وهي معرفة ما بين الالوان والاشكال وما بين
الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية . ومن عرف ذلك كان ذافهم
ناقب بالفراسة . وقد عمل في ذلك كتب كثيرة من تتبع الصحيح منها
اطلع على صدق مضمونه . والفراسة ضرب من الظن وهي من توابع
العمل وكلما كان العقل اكمل كانت الفراسة اقوى . ولهذا كانت
العرب فيها اوفر نصيباً من غيرهم . وما روى عنهم من عجائب هذا
الباب شئ كثير . من ذلك ما ذكره الامام الماردي في كتاب اعلام
النبوة . قال ان اول من اسس لعدنان مجداً . وشيد لهم ذكراً . معد
ابن عدنان . حين اصطفاه بنحت نصر . وقد ملك اقاليم الارض وكان
قدمهم بقتله حين غزا بلاد العرب فانذره نبي كان في وقته بان النبوة
في ولده فاستبقاه واكرمه ومكنه واستولى على تهامة بيد عالية وامر
مطاع . وفيه يقول مهلهل الشاعر .

غنيت دارنا تهامة بالامس * وفيها بنو معد حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار وانبسط به اليد وتقدم عند ملوك الفرس

واجتياه شتاسف ملك الفرس وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال الملك مالك يانزار وتفسيره في لغتهم يامهزول فغلب عليه هذا الاسم فسمى نزارا . وفيه يقول قعدة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

جديسا خلفناه وطسما بارضه * فاكرم بنا عذ الفخار فخارا
فنحن بنو عدنان خلدان جدنا * فسماء تستشف الهمام نزارا
فسمى نزاراً بعد ما كان اسمه * لدى العرب خلدان بنو خيارا
وكان لنزار اربعة اولاد مضر وربيعه واياذ وانمار . فلما حضرته
الوفاة وصاهم فقال يا بني هذه القبة الحمراء وما اشبهها لمضر . وهذا
الخباء الاسود وما اشبهه لربيعة . وهذه الخادمة وما اشبهها لاياذ .
وهذه الندوة والمجلس وما اشبهه لانمار . فان اشكل عليكم واختلتم
فمليكم بالافعى الجرهمى بنجران . فاختلفوا في القسمة فتوجهوا اليه
فبينما هم يسرون اذ رأى مضر كلاً فدرعى فقال ان البعير الذي
رعى هذا الكلاً لاعور وقال ربيعة هو ازور . وقال اياذ هو ابتر .
وقال انمار هو شرود . فلم يسروا قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على
راحلته فسألهم عن البعير . فقال مضر هو اعور قال نعم . وقال ربيعة
هو ازور قال نعم . وقال اياذ هو ابتر قال نعم . وقال انمار هو شرود
قال نعم . وهذه والله صفة بعيرى فدلوني عليه فقالوا والله ما رأينا
قال قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه وسار معهم الى بنجران حتى نزلوا

بالافعى الجرهمى قتاده صاحب البعير هؤلاء اصحاب بعيرى وصفوه لى
بصفته وقالوا لم نره . فقال اهام الافعى الجرهمى كيف وصفتموه ولم
تروه فقال مضر رأيت يرمى جانباً فعرفت انه اعور . وقال ربيعة
رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه ازرو
وقال اياد رأيت بعيره مجتمعاً فعرفت انه ابتر . وقال انمار رأيت يرمى
المكان الملتف ثم يجوز الى غيره فعرفته انه شرود . فقال الجرهمى
لصاحب البعير ليسوا اصحاب بعيرك فاطابه من غيرهم ثم سألهم من هم
فاخبروه انهم بنو نزار بن معد فقال المحتاجون الى واتم كما ارى
قدعا اهام بطعام فاكلوا واكل وبشراب فشربوا وشرب فقال مضر
لم ار كاليوم خمرأ اجود لولا انها نبتت على قبر . وقال ربيعة لم ار
كاليوم لحماً طيب لولا انه ربي بلبن كاب . وقال اياد لم ار كاليوم رجلاً
اسرى لولا انه يدعى لغير ابيه . وقال انمار لم ار كاليوم كلاماً انفع
فى حاجتنا . وسمع الجرهمى الكلام فتعجب لقولهم واتى امه فسألها
فاخبرته انها كانت تحت ملك لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت
رجلاً من نفسها كان نزل به فوطئها فحملت منه به . وسأل القهرمان
عن الخمر فقال من كرمه غرسها على قبر ابيك . وسأل الراعى
عن اللحم فقال شاة ارضعها بلبن كابة لان الشاة حين ولدت ماتت
ولم يكن ولد فى الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر من اين عرفت الخمر
ونباتها على قبر قال لانه اصابنى عليها عطش شديد . وقيل لربيعة

من اين عرفت ان الشاة ارتضعت على ابن كلبة قال لانى شئمت منه رائحة الكلب . وقيل لا ياد من اين عرفت ان الرجل يدعى اغير ابيه قال لانى رأيت يتكلف ما يعمل به . ثم اتاهم الجرهمى وقال صفوا الى صفتكم فقصوا عليه ما اوصاهم به ابوهم نزار فقضى لمضر بالقبه الحمراء والدنانير والابل وهى حمر فسمى مضر الحمراء . وقضى لربيعة بالحباء الاسود والحيل الدهم فسمى ربيعة الفرس . وقضى لا ياد بالحادمة الشطاء والماشية البلق وقضى لانمار بالارض والدرهم . وهذا الذى ظهر فى اولاد نزار من قوة الذكاء وحدة الفطنة تأسيساً لتمييزهم بالفضل واختصاصهم بوفور العقل مقدمة لما يراد بهم انتهى . فانظر الى هذه الفراسة التى كادت تصل الى حد الاعجاز . وكانت فى الوصول الى مكنون الحقائق اقوم مجاز . فله تعالى در العرب . فهم مظهر كل عجب . وقد ازدادت فيهم الفراسة بعد ان اشرفت انوار الاسلام على قلوبهم . فنظروا بنور الله تعالى المودع فى اعين بصائرهم ما خفى من غيوبهم . فقد ذكر ابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة ان الامام الشافعى القرشى كان له النصيب الاوفى منها فقد حكى انه ومحمد بن الحسن رأيا رجلا فقال محمد انه نجار . وقال الشافعى انه حداد فسألاه عن صنعه فقال كنت حداداً والان نجار . بل ان كثيراً من اعراب البادية اليوم من له حظ منها . وسمعت ان كثيراً منهم اذا نظر الى السحاب المهرق قال امطرت ارض كذا وكذا وسال

وادي كذا وكذا ولم تخطر ارض كذا وابتدى ارض كذا فيكون كما قال . وعرب اليمن اوفر حظاً من غيرهم في الضرب الثاني من الفراسة والامام الشافعي اخذ ذلك عنهم وله في هذا الفن طرائف . ففي مفتاح دار السعادة ان الامام الشافعي قال خرجت الى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها ثم لما كان انصرافي مررت في الطريق برجل وهو محتب بفناء داره ازرق العين ناتي الجبهة فقلت له هل من منزل قال نعم قال الشافعي وهذا النعمت اخبت ما يكون في الفراسة فانزاني فرأيت اكرم رجل بعث الى بعشاء وطيب وعلف للدواب وفراش ولحاف وجعلت اتقلب الليل اجمع ماذا اصنع بهذه الكتب فلما اصبحت قات للافلام اسرج فاسرج فركبت ومررت عليه وقلت له اذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فسل عن منزل محمد بن ادريس الشافعي فقال لي الرجل امولى لابيک كنت انا قلت لا قال فهل كانت لك عندي نعمة قلت لا . قال فاین ماتكلفت لك البارحة قلت وما هو قال اشتريت لك طاماما بدرهمين وادما بكذا وعطراً بثلاثة دراهم وعلفاً لدوابك بدرهمين . وكري الفراش واللحاف درهمان قلت فهل بقي شيء قال كري المنزل فاني وسعت عليك وضيق علي نفسي فقبضت نفسي حينئذ بتلك الكتب . فقلت له بعد ان اعطيته ما طلب هل بقي شيء قال امض اخزالك الله فما رأيت شراً منك . وفي الكتاب المذكور ايضاً عن الربيع انه قال اشتريت للشافعي طيباً بدينار

فقال لي ممن اشتريته فقلت من ذلك الاشقر الازرق فقال اشقر ازرق
 اذهب فردده . وعن حرملة قال سمعت الشافعي يقول احذروا من كل
 ذي عاهة في بدنه فانه شيطان قال حرملة قلت من اولئك قال الاصرج
 والاحول ونحوهما انتهى قال الاصفهاني في الذريعة ، ومن الفراسة علم
 الرؤيا وقد عظم الله تعالى امرها في جميع الكتب المنزلة وقال لنبيه صلى
 الله تعالى عليه وسلم وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
 الملعونة في القرآن . وقال اذيركم الله في منامك قليلا الاية . وقال
 في قصة ابراهيم يابني اني ارى في المنام اني اذبحك . وقوله يابنت اني
 رأيت احد عشر كوكبا . والرؤيا هي فعل النفس الناطقة ولولم يكن
 لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوة في الانسان فائدة والله يتعالى
 عن الباطل . وهي ضربان ضرب وهو الاكثر اضعاف احلام واحاديث
 النفس بالخواطر الردية لكون النفس في تلك الحال كالماء المتحجج لا يقبل
 صورة . وضرب وهو الاقل صحيح . وذلك قسمان قسم لا يحتاج الى تأويل
 ولذلك يحتاج المعبر الى مهارة يفرق بين الاضغاث وبين غيرها وليميز بين
 الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس اذ كان فيهم من
 لا تصح له رؤيا وفيهم من تصح رؤياه . ثم من صح له ذلك منهم من يرشح
 ان تلقى اليه في المنام الاشياء العظيمة الخطيرة . ومنهم من لا يرشح له
 ذلك . ولهذا قال اليونانيون يجب ان يشتغل المعبر بمباراة رؤيا الحكماء
 والملوك دون الطغام وذلك لان له حظاً من النبوة . وقد قال عليه

الصلوة والسلام الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وهذا العلم لا يحتاج الى مناسبة بين متحريه وبينه فرب حكيم لا يرزق حذقا فيه ورب نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم توجد له فيه قوة عجيبة . ويحكى عن العرب في التعبير حكايات عجيبة حتى عن المولدين منهم . قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة حكى عن المهدي انه رأى رؤيا ونسبها فاصح مغتماً بها فدل على رجل كان يعرف الزجر والقال والتعبير وكان حاذقا واسمه خويلد فلما دخل عليه اخبره بالذي اراده له قال له يا امير المؤمنين صاحب الزجر والقال الى الحركة ففضب المهدي وقال سبحان الله احكم يذكر بعلم ولا يدري ماهو ومسمع يده ووجهه وضرب بها على فخذه فقال له اخبرك برؤياك يا امير المؤمنين قال هات قال رأيت كأنك صعدت جبلا فقال المهدي لله ابوك يا سحر صدقت قال ماانا بسحر يا امير المؤمنين غير انك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك وعلمت ان الرأس ليس فوقه شئ الا السماء فاولته بالجبل ثم نزلت بيدك الى جبهتك فزجرت لك بنزولك الى ارض ملساء فيها عينان ما لحتان ثم انحدرت الى سفح الجبل فلقيت رجلا من فخذك قريش لان امير المؤمنين مسمع بعد ذلك بيده على فخذه فعملت ان الرجل الذي لقيته من قرابتك قال صدقت وامر له بمال وامر ان لا يحجب عنه ومثل هذه الحكاية كثير . قال الاصفهاني والزكاة ضرب من الفراسة ايضا وهي معرفة فعل باطن بفعل ظاهر

بضرب من التوهم . والقيافة ضرب من الزكاة لكنها اذق وقد ذكرناها سابقاً بقسميها . والله ولي الهداية والتوفيق .

(ومن علومهم علم الكهانة والعرافة)

كان هذا العلم في العرب ايام الجاهلية شائعاً فيهم وعليه مدار فصل خصوماتهم ومنازعاتهم وقد تكلم في الكهانة كثير من اهل العلم وبسطوا الكلام فيها واوجزوا ونحن نلخص هنا ما وقفنا عليه « فنقول » الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما قيل هي ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع في الارض مع الاستناد الى سبب والاصل فيها استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه في اذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم . ويطلق على من يقوم بامر آخر ويسمى في قضاء حوائجه . وقال في المحكم الكاهن القاضي بالغيب وقال في الجامع العرب تسمى كل من اذن بشئ قبل وقوعه كاهناً . وقال الخطابي الكهنة قوم لهم اذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فالقتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الامور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم اليه . قال بعض الافاضل وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم . وهي على اصناف منها ما يتلقونه من الجن فان الجن كانوا يصعدون الى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً الى ان يدنو الاعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه الى الذي يليه الى ان يتلقاه من يلقيه في اذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الاسلام

ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين وارسلت عليهم الشهب
فبقى من استراقهم ما يخطفه الاعلى فيلقيه الى الاسفل قبل ان يصيبه
الشهاب والى ذلك الاشارة بقوله تعالى الا من خطف الخطفة فاتبعه
شهاب ثاقب . وكانت اصابة الكهان قبل الاسلام كثيرة جدا كما
سنين من اخبار شق و سطج ونحوها واما في الاسلام فقد ندر ذلك
جداً حتى كاد يضمحل . ثانياً ما يخبر به الجنى من يواليه بما غاب
عن غيره مما لا يطلع عليه الانسان غالباً او يطلع عليه من قرب منه
لا من بعد . ثانياً ما يستند الى ظن وتخمين و حدس وهذا قد يجعل
الله تعالى فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه . رابعاً ما يستند
الى التجربة والمادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك . ومن
هذا القسم الاخير ما يضاهاى السحر وقد يعتضد بعضهم فى ذلك بالزجر
والطرق والنجوم . وقال الامام النوى فى شرح صحيح مسلم الكهانة
فى العرب ثلاثة اضرب . احدها ان يكون للانسان رثى من الجن يخبره
بما يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم . الثانى ان يخبره بما يطرأ ويكون فى اقطار
الارض وما خفى عنه مما قرب او بعد وهذا لا يبعد وجوده . ونفت
المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين واحالوها ولا استحالة فى ذلك
ولا بعد فى وجوده انهم يصدقون ويكذبون . والذى عن تصديقهم
والسمع منهم عام . الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى

في بعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه اغلب ومن هذا الفن العرافة فصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها كالزجر والطرق بالخصى . وهذه الاضراب كلها تسمى كهانة وقد اكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم واثباتهم انتهى . يريد بالنهى حديث من اتى كاهناً او عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد . ولعل الحكمة في النهى عن ذلك لغلبة الكذب في كلامهم ولان في تصديقهم فتح باب يوصل الى لظى اذ قد يجر الى تعطيل الشريعة والظعن فيها لاسيما من العوام واستثناء ما هو من جنس الكسوف لندرة خطأهم فيه بل لعدمه اذا امكنوا الحساب . ولا كذلك ما يخبرون به من الحوادث اذ قد بنوا ذلك على اوضاع السيارات بعضها مع بعض او مع بعض الثوابت ولا شك ان ذلك لا يكفي في الغرض والوقوف على جميع الاوضاع وما تقتضيه مما يتعذر الوقوف عليه لغير علام الغيوب . وقد اطال الكلام ابن خلدون في مقدمته على المدركات الغيبية ومنها الكهانة ومن كلامه فيها انه قال واما الكهانة فهي ايضاً من خواص النفس الانسانية وذلك ان للنفس الانسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاماً او حركة ولا بامر

من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفاً آخر من البشر مفطوراً على ان تحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجليلة فيكون لها بالجليلة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او مخيلة كالا لجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسمع الكلام وما سمع من طير او حيوان فيستدسم ذلك الاحساس او التخيل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالملشيح له وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هي الكهانة . ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات اكثر من الكلليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذاً تاماً في نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمראה تنظر فيها دائماً ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وارفع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى بعض الشيء على

ذلك الاتصال الناقص فيمحس في قابه في تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبى مايقذفه على لسانه فربما صدق ووافق وربما كذب لانه يتم نقصه بامر اجنبى عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جيماً ولا يكون موثقاً به وربما يفرع الى الظنون والتخمينات حرصاً على الظفر بالادراك بزعمه وتمويهاً على السائلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع سائر اصنافهم . وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصاً بهم بمقتضى الاضافة وقد قال لابن صياد حين سأل كاشفاً عن حاله بالاختبار كيف ياتيك هذا الامر قال يأتينى صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعنى ان النبوة خاصتها الصدق فلا يعترها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالملأ الاعلى من غير مشيع ولا استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخلية في ادراكه والتبست بالادراك الذى توجه اليه فصار مختلطاً بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة . وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معنى السجع اخف من سائر المقييات من المراثيات والسموعات وتدل مخفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن الجزئى بعض الشئ . وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة

بما وقع من شان رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنهم من خبر السماء كما وقع في القرآن . والكهان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم ايضاً كما قررناه . وايضاً فالاية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك . وايضاً فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط واعلمها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه . وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرر عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب . وقد زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحداً او متعدداً فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد . وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض اثره وهو غير مسلم فاعلم

الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزائها فلا يقتضى شيئاً لانه يقتضى ذلك الاثر ناقصاً كما قالوه . ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما اكل انسان من امر النوم ومعقوية تلك النسبة موجودة للكاهن باشد مما للتائم ولا يصددهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الاقوة المطامع في انها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية ابن ابي الصلت فانه كان يطمع ان يكون نبياً وكذا وقع لابن الصياد ولمسيئة وغيرهم . فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب . وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان . انتهى المقصود من نقله .

(كلام في العرافة)

والعرافة قسمة للكهانة حسبما يفهم من كلام كثير من اهل العلم . قال الاصفهاني في كتاب الذريعة الكهانة مختصة بالامور المستقبلية والعرافة بالامور الماضية . وعرفها بعضهم بقوله العرافة الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بالمناسبة او المشابهة الخفية التي تكون بينهما او الاختلاط او الارتباط على ان يكونا معلولي امر واحد او يكون مافي الحال علة لما في الاستقبال وشرط كون الارتباط المذكور خفياً لا يطلع عليه الا الافراد وذلك اما بالتجارب او بالحالة

المودعة في انفسهم عند الفطرة . وهي كثيرة في العرب جاهلية واسلاما .
يحكى انه كان في زمن هرون الرشيد رجل اعمى من اهل العرافة
وكان يستدل على المسؤل عنه بكلام صدر عن الحاضر بن عقب السؤال
فسرق يوما من خزانة الرشيد بمض من الاشياء فطلب الرجل وامر
ان لا يتكلم احد بعد السؤال اصلا فتملوا كما امر والاعمى القى سمعه
ولم يسمع شيئا فامر يده على البساط فوجد فيه نواة تمر فقال ان
المسؤل عنه در وزبرجد وياقوت فقال الرشيد اين هو قال في بر
فوجدوه كما ذكر الاعمى فقهر الرشيد فيه فسل عن سبب معرفته فقال
وجدت نواة تمر وطلع النخل ابيض وهو كالدر . ثم يكون بسرا
وهو اخضر ولون الزمرد كذلك . ثم يكون رطباً وهو احمر ولون
الياقوت كذلك . ثم لما سألتهم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو فعرفت
انه في بر فاستحسن الرشيد استخراجهم وفراسته فاعطاء مالا جزيلا .
وحكى ان ابا معشر وصاحبه ذهب الى عراف فسأله عن شئ فقال
انكما سألتما عن مسجون فقالا انه يخلص قال نعم بخلص فسأله عن سبب
معرفته فقال انكما لما سألتماي وقع نظري على قرينة ماء فعرفت
ان السؤال عن مسجون . ولما سألتماي عن خلاصه نظرت فاذا هو
قد فرغ قريته . ولا ين خلدون كلام في حقيقة العرافة ونحوها يستحسنه
اهل النظر ولعلنا نذكره في علم الزجر .

(نبذة من اخبار بعض من اشتهر من الكهان والعرافين)

قد كان العرب على ما ذكرنا سابقاً يفرعون الى الكهان والعرافين في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم . وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك . واشتهر منهم في الجاهلية جماعة معدودون .

(منهم عزي سلمة الكاهن)

روى هشام بن محمد الكلبي عن ابيه عن ابي صالح عن عقيل ابن ابي طالب قال كان عبد المطلب بن هاشم نديماً لحارث بن امية حتى تنافرا الى نفيل بن عبد العزى فما نفر عبد المطلب فتفرقا ومات عبد المطلب وهو ابن عشرين ومائة سنة ومات قبل الفجار في الحرب التي بين هوازن . ويقال بل تنافرا الى عزي سلمة الكاهن قالوا كان لعبد المطلب ماء بالطائف يقال له ذوالهرم فجاء الثقيفون فاحتفروه فخصمهم عبد المطلب الى عزي اوا الى نفيل . فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث وليس له يومئذ غيره وخرج الثقيفون مع صاحبهم وحرب بن امية معهم على عبد المطلب فنقد ماء عبد المطلب فطلب اليهم ان يسقوه فابوا فبلغ العطش منهم كل مبلغ واشفقوا على الهلاك فبينا عبد المطلب يشرب بعيره ليركب اذ فجر الله له عيناً من تحت جرائه فحمد الله وعلم ان ذلك منه فشرب وشرب اصحابه ربههم وتزودوا منه حاجتهم ونقد ماء الثقيفين فطلبوا الى عبد المطلب ان يسقيهم فانهم لهم فقال له ابنه الحارث لا تحين على سيفي حتى يخرج من ظهري . فقال عبد المطلب

لا سقينهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقامهم ثم اطلقوا حتى اتوا الكاهن
وقد خبؤا له رأس جراده في خرزة مزادة وجعلوه في قلادة كلاب
لهم يقال له سوار فلما اتوا الكاهن اذاهم ببقرتين تسوقان بينهما
بخرجا كاتما تزعم انه ولدها ولدتا في ليلة واحدة فاكل النمر احد البخرجين
فهما توأمان الباقي فلما وقفا بين يديه قال الكاهن هل تدرون ما تريد
هانان البقرتان قالوا لا. قال الكاهن ذهب به ذو جسد اربد. وشدق
مرمع وناب. معلق. مالا صغرى في ولد الكبرى حق فقضى به للكبرى.
ثم قال حاجتكم قالوا قد خبأنا لك خبيثاً فانبثنا عنه ثم نخبرك بحاجتنا
قال خبائتم لي شيئاً طار فسطع. فتصوب فوق. في الارض منه بقع.
فقالوا لاده اى بينه. قال هو شئ طار فاستطار. ذو ذنب جرار.
وساق كالمنشار. ورأس كالسمار. فقالوا لاده قال ان لاده فلاده
هو رأس جراده. في خرز مزادة. في عنق سوار ذى القلادة. قالوا
صدقت فاخبرنا فيما اختصنا اليك فاخبرهم فانتسبوا له فقضى بينهم
ورجعوا الى منازلهم على حكمه. وقد اورد هذه القصة الميداني
ايضاً عند الكلام على قولهم الاده فلاده. قال وروى ابن الاعرابي
الاده فلاده. وروى ايضاً الاده فلاده اى ان لم تعط الاثنين لا تعطى
العشرة. قال ابو عبيد يضربه الرجل يقول اريد كذا وكذا فان قيل
له ليس يمكن ذا قال فكذا وكذا. وقال الاصمعي مناه ان لم يكن هذا
الان فلا يكون بعد الان وقال لا ادري ما اصله قال روبة وقول الاده

فلاده * قال المنذرى قالوا معناه الالهذه فلاهذه يعنى ان الاصل الازده
فلآذه بالذال المججمة فمرب بالبدال غير المججمة . كما قالوا يهودنم عرب
فقليل يهود . وقيل اصله الادهى اى ان لم تضرب فادخل التنوين
فسقط الياء وقبله .

فاليوم قد نهنتى نهنتى * واول حلم ليس بالمسفه
وقول الاده فلاده * وحقة ايست بقول التره .

يقول زجرنى زواجر العقل ورجوع حلم ليس ينسب الى السفه .
وقول اى ورجوع قول اى نساء قول يقطن ان لم يتب الان مع هذه
الدواعى لا يتب ابدأ . وقوله وحقة . اى وقالة حقة يقال حق وحقة كما
يقال اهل واهلة يريد الموت وقربه انتهى . وقال عبد القادر البغدادى
فى كتاب خزانة الادب بعد ان اورد هذه الابيات وصف روبة قبل
هذه الابيات شبابه وما كان فيه من مغازلة الغوانى . وهى واصلة الامانى
الى ان قال فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه اربعة اشياء . الاول التنهنة
وهو مطاوع نهنته عن كذا فتنهنة اى كففته وزجرته عنه فكف اى
زجرنى زواجر العقل . الثانى اول حلم اى رجوع عقل لا ينسب الى
السفه . الثالث عذل القائلين ان لم يتب الان مع هذه الدواعى الى التوبة
فلا تتوب ابدأ فقوله وقول على حذف مضاف . والرابع حقة اى خطة
حقة فالموصوف محذوف واراد بها الموت وقربه يقال حق وحقة كما يقال
اهل واهلة . والتره اسم مفرد بمعنى الباطل يقال تره وترهه وجمع

الاول تراربه وجمع الثاني ترهات . وقول الرضى ده بفتح الدال
وسكون الهاء الى آخر ما ذكره هذا كلام شارح الباب اسمعيل القالى
من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى انه اذا كان ده بمعنى اضرب فهو
اسم فعل لاصوت . والحق انها في لغة الفرس زجر لذى الحافر ليسرع
او ايذهب وايست بمعنى اضرب وهذا امر ظاهر من استعمالهم الى
الان ولكنهم اجمعوا على انها بمعنى الضرب وحينئذ فيرد عليهم انها
تكون اسم فعل لاصوتا . قال صاحب اللباب ذكر جار الله ان ده
زجر للابل مثل هيدوهاد . وذكر في امثاله ان ده بفتح الدال وكسرها
فارسية معناها الضرب قد استعملها العرب في كلامهم . واصله ان
الموتور ياتى واتره فلا يتعرض له فيقال له الاداه فلاده . اى انك ان لم
تضربه الان فانك لا تضربه ابداً وتقديره ان لم يكن ده فلا يكون ده
اى ان لم يوجد ضرب الساعة فلا يوجد ضرب ابداً . ثم اتسموا فيه
فضربوه مثلاً في كل شئ لا يقدم عليه الرجل وقد حان حينه من قضاء
دين قد حل او حاجة طابت او ما اشبه ذلك من الاحوال التى لا يسوغ
تأخيرها . والحاصل ان قواهم الاداه فلاده قد اختلف في ضبط لفظه
وشرح معناه وجميع الاقوال على انها كلمة فارسية معربة . وقد ابى
ابو محمد عبد الله الشهير بابن برى المقدسى ان تكون هذه الكلمة
في هذا المثل غير عربية وذهب الى انها صفة مشبهة من الدهاء وهو
الفتنة ورد على ملك النخاعة في زعمه انها اعجمية في الاصل بمعنى اسم

الفعل . ولقد اجاد فيما افاد . وحقق مدعاه فوق المراد . وهو
مذكور في كتاب الخزانة .

(ومنهم شق من انمار بن نزار)

كان شق هذا شق انسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين
واحدة . ذكر الحافظ ابن الجوزي ان خالد بن عبد الله الفهرى
كان من ولد شق هذا . وهذا الاسم في الاصل اسم لحيوان وهو
بكسر الشين . قال القزويني الشق من المتشيطنة صورته صورة نصف
آدمي . ويرغمون ان النسناس مركب من الشق ومن الادمي ويظهر
للانسان في اسفاره . وذكروا ان علقمة بن صفوان بن امية خرج
في بعض الليالي فانهى الى موضع فعرض له شق فقال علقمة يا شق
مالى ولك . اعمد عني منصلك . اتقتل من لا يقتلك . فقال شق
هيت لك . واصبر لما قدحم لك . فضرب كل واحد منهما صاحبه
فوقع ميتاً . وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ان مالك ابن نصر
اللخمي رأى رؤيا هالته فبعث الى جميع الكهان والسحرة والمنجمين
من رعيته فاجتمعوا اليه فقال انى رأيت رؤيا هالتي وفظمت منها فقالوا
قصها علينا نخبرك بتأويلها فقال لهم ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم
في تأويلها ولست اصدق في تأويلها الا من عرفها قبل ان اخبره بها
فقال بعضهم لبعض ان هذا الذي يرومه الملك لا يجده الا عند شق
وسطحي فلما اخبروه بذلك ارسل الملك من اتاه بهما فسأل سطحيّاً فقال

ايها الملك انك رأيت جميعمة خرجت من ظلمة فاكلت كل ذات جميعمة .
 فقال الملك ما اخطأت شيئاً . فما عندك في تأويلها . فقال سطيع احلف بما
 بين الحرتين من حنش . ليهبطن ارضكم الحبش . ولماكن ماين ايبن
 الى جرش . فقال الملك وايك ياسطيع ان هذا لنا لغائظ . وجمع فتى
 يكون ذلك في زمانى ام بعده . فقال بل بعده بحين . اكثر من ستين
 اوسبعين . تمضين من السنين . ثم يقتلون ويخرجون منها هاريين .
 قال الملك ومن الذى يلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال . يايه ابن
 ذى يزن . يخرج عليهم من عدن . فلا يترك احداً منهم بالين . قال
 افيدوم ذلك من سلطانه ام ينقطع . قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه
 قال نبى زكى . يأتية الوحي من ربه العلى . قال ومن هذا النبى . قال
 من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر . يكون الملك في قومه الى
 آخر الدهر . فقال الملك وهل للدهر من آخر ياسطيع . قال نعم
 يوم يجمع فيه الاولون والاخرون . ويسعد فيه المحسنون . ويشقى
 فيه المسيئون . فقال الملك احق ما تقول ياسطيع قال نعم والشفق
 والغسق . والقمر اذا اتسق . ان ما اخبرتكم به لحق (ثم ان الملك)
 دعا شقاً فسأله كما سأل سطيحاً . فقال له شق انك رأيت جميعمة
 خرجت من ظلمة . فوقعت بين روضة واکمة . فاكلت كل ذات نسمة .
 فلما سمع الملك مقالة شق قال له ما اخطأت شيئاً فما عندك في تأويلها
 فقال شق احلف بما بين الحرتين من انسان . لينزان ارضكم السودان .

وليغلبن على كل طفلة البنان . وليلكن ماين ايبن الى نجران . فقال
 الملك وابيك ياشق ان ذلك لنا لغائظ . ولم فنى يكون ذلك افى زمانى
 ام بعده . فقال بل بعده بزمان . ثم يستنقذك منه عظيم الشان . ويذيقهم
 اشد الهوان . فقال الملك من هو العظيم الشان . قال غلام من غلمان
 اليمن . يخرج من بيت ذى وزن . فقال الملك افيدوم ذلك من سلطانه
 ام ينقطع . قال بل ينقطع برسول هو خاتم الرسل . يأتى بالحق
 والعدل . بين اهل الدين والفضل . يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل .
 فقال الملك وما يوم الفصل . فقال شق يوم يحزى فيه الولاة . ويدعى
 من السماء دعوات . يسمعها الاحياء والاموات . ويجمع الناس فيه
 للميقات . فيفوز فيه الصالحون بالخيرات . فقال الملك احق ماتقول
 ياشق . قال اى ورب السماء والارض . وما بينهما من رفع وخفض .
 انما انبأتكم به لحق ماله من نقض . فوقع ذلك فى نفس الملك لما
 رأى من تطابق شق وسطيح على ماذكره فجهز اهل بيته الى الحيرة
 فرقا من سلطان الحبشة .

(ومنهم سطيج بن مازن بن غسان)

كان سطيج يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة
 ويقال انه كان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق . وكان
 فى عصره من اشهر الكهان واخباره والتواريخ والسير كثيرة وكان
 هو وشق ولدا فى يوم واحد وكانا من المعمرين . قال كثير من اهل

السير وبعضهم يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما كان ليلة ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة فمظم ذلك على اهل مملكته فما كان اوشك ان كتب اليه صاحب اليمن يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب السماوة يخبره ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس يخبره ان بيوت النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف سنة . فلما تواترت الكتب ابرز سريره وظهر لاهل مملكته فاخبرهم الخبر . فقال الموبدان ايها الملك اني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني قال له وما رأيت قال رأيت ابلا صعبا . تقود خيلا عرابا . قد اقحمت دجلة وانتشرت في بلادنا قال رأيت عظيما فما عندك في تأويلها قال ما عندي فيها ولا في تأويلها شئ ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فبعث اليه عبد المسيح بن نفيلة الفسائي فلما قدم عليه اخبره كسرى الخبر فقال له ايها الملك والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شئ ولكن جهزني الى خالى بالشام يقال له سطيج قال جهزوه فلما قدم على سطيج وجدته قد احتضر فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه فقال عبد المسيح .

اصم ام تسمع غطريف اليمن * يا فاضل الخطبة اعيت من ومن

اتاك شيخ الحى من آل سنان * ابيض قضايا الردآ والسدن
رسول قيل الحجم يهوى للوثن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
فرفع اليه رأسه وقال عبد المسيح . على جبل مشيح . جاء الى سطح . وقد
اوفى على الضريح . بعثك ملك بنى ساسان . لارتجاج الايوان .
وخمود النيران . ورؤيا الموبدان . رأى ابلا صعبا . تقود خيلا
عرايا . قد اقحمت فى الواد . وانتشرت فى البلاد . ثم قال يا عبد المسيح
اذا ظهرت التلاوة . وقاض وادى السماوة . وظهر صاحب الهراوة .
فليست الشام لسطيح بشام . يملك منهم ملوك وملكات . عدد سقوط
الشرقات . وكل ماهو آت آت . ثم قال .

ان كان ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار دمارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهزمزان وسابور وسابور
فربما اصبحوا منهم بمنزلة * يهاب موتهم الاسد الاهاصير
حتوا المطى وجدوا فى رحالهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس اولاد علت فمن علوا * ان قد اقل فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير يتبع والشر محذور
فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره قال كسرى الى ان يملك منا
اربعة عشر ملكا تكون امور ويدور الزمان فهلكوا كما هم فى اربعين
سنة . والموايدة عند الفرس هم القضاة والهرايدة هم كالحلفاء للموايدة
والاصيهد حافظ الجيوش وامير الامراء والمدار هو الوزير الاعلى

والمرازية حفظة الثغور وولاية المملكة كذا في كتب السير . واخبار
شق وسطيح كثيرة. قال ابن خلدون في مقدمته. ومن مشهور الحكايات
عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر وما اخبر به من ملك الحبشة لليمن
وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش . ورؤيا
الموبدان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره
بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة .

(ومنهم طريفة الكاهنة)

كانت طريفة هذه من اشهر كهان عصرها وهي التي انذرت
عمرو بن عامر احد ملوك اليمن بزوال ملكه واخبرته بخراب سد
مأرب وانيان سيل العرم وافساده الجنتين بمقتضى ماظهر لها من الكهانة
قال عبد الملك في شرح قصيدة ابن عبدون ان ارض سبا من اليمن
كانت العمارة فيها ازيد من مسيرة شهرين للراكب المجد وكان اهلها
يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة اربعة اشهر فمروا كل ممزق
وكان اول من خرج من اليمن في اول الامر عمرو بن عامر منيقيا
وكان سبب خروجه انه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريفة الخير
وكانت رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم
صعقت فاحرقت كل ماوقعت عليه ففرغت طريفة لذلك فزعاً شديداً
واتت الملك عمرأ وهي تقول مارأيت كايوم . ازال عنى النوم . رأيت
غيماً ارعد وابرق . وزجر واصعق . فما وقع على شئ الا احرق .

فلما رأى مداخلها من الفزع سكنها . ثم ان عمرأ دخل على حديقة له ومعه جاريتان من جواريه فباع ذلك طريقة فخرجت اليه وخرج معها وصيف لها اسمه سنان . فلما برزت من يديها عرض لها ثلاث مناجد منتصبات على ارجلهن واضعات ايديهن على اعينهن . وهي دواب تشبه اليرابيع . فقدمت الى الارض واضعة يديها على عينيها وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه المناجدا فاخبرني . فلما ذهبت اخبرها فانطلقت مسرعة فلما عارضها الخليج الذي في حديقة عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع . وتستعين بذنبها فتحثو التراب على بطنها من جنباته وتقذف بالبول على بطنها قذفا فلما رأتها طريقة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت طريقة الى اذخات على عمرو وذلك حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكافأ من غير ريح فلما رآها استحي منها وامر الجاريتين بالانصراف الى ناحية ثم قال لها يا طريقة فكهنت وقالت والنور والظلماء . والارض والسماء . ان الشجر لهالك . ويعودن الماء كما كان في الزمن السالك . قال عمرو من اخبرك بهذا . قالت اخبرتنى المناجدا . بسنين شدائد . يقطع فيها الولد الوالد . قال ماثقواين قالت اقول قول الندمان لهيها . لقد رأيت سلحفا . تجرف التراب جرفا . وتقذف بالبول قذفا . فدخلت الحديقة فاذا الشجر من غير ريح يتكافأ . قال ماترين في ذلك

قالت هي داهية دهياء من امور جسيمة . ومصائب عظيمة . قال وما هو ويلك . قالت اجل وان فيه الويل . ومالك فيه من نيل . وان الويل فيما يحبى به السيل . فالتقى عمرو عن فراشه . وقال ما هذا يا طريفة قالت خطب جليل . وحزن طويل . وخلف قليل . قال وما علامة ماتذكرين . قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذاً يكثر بيديه في السد الحفر . ويقاب برجليه من اجل الصخر . فاعلم ان الغمر غمر . وانه قد وقع الامر . قال وما الذى تذكرين قالت وعد من الله تعالى نزل . وباطل بطل . ونكال بنا نكل . فغيرك يا عمرو يكون الشكل . فانطلق عمرو فاذا الجرذ يقرب برجليه صخرة ما يقلها خمسون رجلاً . فرجع وهو يقول .

ابصرت امرأ عادنى منه الم * وهاجلى من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الاجم * او كبش صرم من اقويق الغنم
يسحب قطراً من جلاميد العرم * له مخالب وانياب قضم

* ما فاته سحلا من الصخر قضم *

فقات طريفة وان من علامة ذلك الذى ذكرته لك ان تجلس قنأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فان الريح يملؤها من تراب البطحاء من سهل الوادى وحزنه . وقد علمت ان الجنان مظلة لا يدخلها شمس ولا ريح . فامر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ولم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من التراب فاخبرها بذلك . وقال لها متى يكون ذلك الخراب

الذى يحدث في السد قالت فيما بيني وبينك سبع سنين . قال ففي ايها
يكون قالت لا يعلم بذلك الا الله تعالى ولو علمه احد لعلمته وانه لا تأتي على
ليلة فيما بيني وبين السبع سنين الا ظننت هلاكه في غدها او في مساها
ثم رأى عمرو في مناهه سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء
قد ظهرت في سعف النخل . فنظر اليها فوجد الحصباء قد ظهرت
فيها فعلم انه واقع وان بلادهم ستخرب فكم ذلك واجمع على بيع
كل شئ له بارض مأرب وان يخرج منها هو وولده . ثم خشي ان تنكر
الناس عليه ذلك فامرا احد اولاده اذا دعاه لما يدعو به اليه ان يتأبى عليه
وان يفعل ذلك به في الملاء من الناس واذا لطمه يرفع هو يده ويلطمه
ثم صنع عمرو طعاما وبعث الى اهل مأرب ان عمراً قد صنع طعاما
يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه . فلما جلس الناس للطعام جلس
عنده ابنه الذي امره بما قد امره فجعل يأمره فيتأبى عليه فرفع عمرو
يده فلطمه فلطمه ابنه وكان اسمه مالكا فصاح عمرو واذلاء يوم فخر
عمرو وبلهجته . صبي يضرب وجهه . وحلف ليقنانه فلم يزالوا يرغبون
اليه حتى ترك وقال والله لا اقيم بموضع صنع فيه بي هذا ولا بيعن
اموالي حتى لا يرث بعدى منها شيئاً . فقال الناس بعضهم لبعض
اغتموا غيض عمرو واشتروا منه امواله قبل ان يرضى فابتاع الناس
منه كل ماله بارض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل
العرم . فقام ناس من الازد فباعوا اموالهم فلما اكثروا البيع استنكر

الناس ذلك فامسكوا عن الشراء فلما اجتمعت الى عمرو امواله اخبر الناس بشأن السيل وخرج فخرج لخروجه منها بشر كثير فنزلوا ارض عك فخاربهم عك فارتحلوا عن بلادهم ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو وتفرقوا في البلاد . فمنهم من سار الى الشام وهم اولاد جفنة عمرو بن عامر . ومنهم من سار الى يثرب وهم ابناء قبيلة الاوس والخزرج وابوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . وسارت ازدا السراة الى السراة وازد عمان الى عمان . وسار مالك بن فهم الى العراق . ثم خرجت بعد عمرو بيسير من ارض اليمن طي فزلت اجا وسلمى . ونزلت ابناء ربيعة بن حارثة بن عامر بن عمرو تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم من اخوانهم . ثم ارسل الله تعالى على السد السيل فهدمه . وفي ذلك يقول ميمون بن قيس الاعشى .

وفي ذلك للمؤتسى اسوة * ومارب عفا عليها العرم
رخام بنته لهم حمير * اذا جاء مواره لم يرم
فاروى الزروع واعنابها * على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا اياى ما يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

وذكر الميداني عند قول العرب في المثل « تفرقوا اياى سبا » عن فروة ابن مسيك . قال آيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله اخبرني عن سبا رجل هو ام امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشأم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد

والكندة والمذحج والاشعرون وانما منهم بحيلة . واما الذين تشأموا
فعاملة وغسان ولخم وجذام وهم الذين ارسل عليهم سيل العرم
وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبا من الشحر واودية اليمن فردموا ردما
بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب بعضها
فوق بعض . فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
فاخصبوا وكثرت اموالهم . فلما كذبوا رسلهم بعث الله جرذاً نقبت
ذلك الردم حتى انتقض فدخل الماء جنتهم ففرقهما ودفن السيل
بيوتهم . فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم والعرم جمع
عرمة وهي السكر الذي يحبس الماء . وقال ابن الاعرابي العرم
السيل الذي لا يطاق . وقال قتادة ومقاتل العرم اسم وادي سبا .
ثم ذكر الميداني عن الكلبي عن ابي صالح ان طريفة الكاهنة قد رأت
في كهانتها ان سد مأرب سيخرب وانه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين
فباع عمرو بن عامر امواله وسار هو وقومه حتى انتهوا الى مكة
فاقاموا بها وبما حولها فاصابهم الحمى وكانوا يبطلون فيه ما الحمى
فدعوا طريفة فشكوا اليها الذي اصابهم فقالت لهم قد اصابني الذي
تشكون وهو مفرق بيننا . قالوا فاذا تأمرين . قالت من كان منكم
ذاهم بعيد . وجل شديد . ومزاد جديد . فليلق بقصر عمان
المشيد . فكانت ازد عمان . ثم قالت من كان منكم ذا جلد وقسر .
وصبر على ازمان الدهر . فعليه بالاراك من بطن مر . فكانت خزاعة

ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل . المطعمات في المحل .
فليلق بيثرب ذات النخل . فكانت الاوس والخزرج . ثم قالت
من كان منكم يريد الحمر والحمر . والملك والتأسير . ويابس الديباج
والحرير . فليلق ببصرى وغوير . وهما من ارض الشام . فكان الذين
سكنوها آل جفنة من غسان . ثم قالت من كان منكم يريد الثياب
الرقاق . والحيل العتاق . وكنوز الارزاق . والدم المهرق . فليلق
بارض العراق . فكان الذين سكنوها آل جذيمة الابرش ومن كان
بالحيرة وآل محرق . والمقصود ان طريقة كانت من مشاهير الكهانة
في زمنها ولها اخبار كثيرة . ونوادير شهيرة .

(ومنهم زبرآء الكاهنة)

كانت من الكهنة المذكورين عند العرب وكلامها له وقع في نفوسهم
ولها في ذلك نوادر مجبة . روى القالي في اماليه عن ابي بكر قال حدثنا
السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابي مخنف عن اشياخ من علماء
قضاة . قال كان ثلاثة ابطن من قضاة مجتورين بين الشمر وحضر موت
بنو ناعب . وبنو داهن . وبنو رثام . وكانت بنو رثام اقلهم عدداً
واشجعهم لقاء . وكانت لبني رثام عجوز وتسمى خويلة وكانت لها امة
من مولدات العرب تسمى زبراء . وكان يدخل على خويلة اربعون
رجلاً كلهم محرم لها بنو اخوة وبنو اخوات وكانت خويلة عقيماً .
وكانت بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بني رثام فاجتمع بنو رثام

ذات يوم في عرس لهم وهم سيمون رجلا كلهم شجاع يئس قطعوا
 واقبلوا على شراهم وكانت زبراء كاعنة . فقالت انطلقى بنا الى قومك
 انذرهم . فاقبلت خويلة تنوكاً على زبراء فلما ابصرها القوم قاموا
 اجلالا لها . فقالت يا ثمر الاكباد . وانداد الاولاد . وشجى الحساد .
 هذه زبراء . تحبركم عن انباء . قبل انحسار الظلاء . بالموئدة الشماء .
 فاسموا ما تقول . قالوا ما نقول يا زبراء . فقالت والليل الغاسق .
 والابح الخائق . والصبح الشارق . والنجم الطارق . والمزن البوارق
 ان شجر الوادي ابادوا ختلا . ويحرق انيابا عصلا . وان صخر
 الطود لينذر ثكلا . لا تجدون عنه مهلا . فوافقت قوما اشارى سكارى
 فقالوا ربح خجوج . بعيدة ما بين الفجوج . ات زبراء بالابلق التوج .
 فقالت زبراء مهلا يا بنى الاعزة والله انى لاشم ذفر الرجال تحت
 الحديد . فقال لها فنى منهم يقال له هذيل بن منقذ يا خراق والله
 ما تشمين الاذفر ابطيك . فانصرفت عنهم فارتاب قوم من ذوى اسنانهم
 فانصرف منهم اربعون وبقى ثلاثون فرقدوا في شربهم وطرقهم بنو
 داهن وبنو ناعب فقتلوهم اجمعين . واقبلت خويلة مع الصباح
 فوقفت على مصارعهم ثم عمدت الى حناجرهم فقطعتها وانتظمت
 منها قلادة والقها في عنقها وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن شعوة
 المهرى وهو ابن اختها فاخت بفتائه وانشأت تقول .
 ياخير معتمد واعظم ملجأ * واعز منتقم وادرك طالب

جائتك وافدة التكالى تعلى * بسوادها فوق القضاء الناضب
 عبرانة مسرح اليدين شملة * غير الهواجر كالتزف الحاضب
 هذى حناجر امرتى مسرودة * في الجيدة نى مثل سمط الكاعب
 عشرون مقبلاو شطر عديدهم * صيانة في القدم غير اشائب
 طرقتهم ام اللهيم فاصبحوا * تستن فوقهم ذيول حواصب
 جزواً لعافية الخوامع بعدما * كانوا الغياث من الزمان الاحب
 قسمت رجال بنى ايهم بينهم * جرع الردى بمخارص وقواضب
 فابرد غليل خويلة التكلى التى * رميت باثقل من صخور الصاقب
 وتلاف قبل الموت تارى انه * علق بشوبى داهن اوناغب
 فقال حجر على مرضاوى الاعذبان والاحمران او يقتل بعدد رؤام
 من داهن وناغب ثم قال .

اخالتنا سر النساء محرم * علينا وتشهاد الندامى على الحمر
 كذلك وافلاذ الفئيد وما ارتمت * به بنى حاليها الوثة ملوذر
 لئن لم اصبح داهنا ولقيفها * وناغبها جهراً براغية البكر
 فوارى بنان القوم في غامض الثرى * وجودى عليك من قناع ومن صبر
 فاني زعيم ان اروى هامهم * واظمى هامامنا السرى الليل في الفجر
 ثم خرج في منسر من قومه فطرق داهناً وناغباً فاجع منهم .

(ومنهم خنافر بن التوام الحميرى)

ذكر القالى في اماليه عن ابى بكر قال حدثنى عمى عن ابيه عن ابن

الكلبي عن ابيه قال كان خنافر ابن التوأم الحميري كاهناً وكان قد اوتى
بسطة في الجسم وسعة في المال وكان عاتياً فلما وفدت وفود اليمن على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل المراد
فاكتسبها وخرج باهله وماله ولحق بالشرح فخالف حودان بن يحيى
القرصمى وكان سيداً منيعاً ونزل بواد من اودية الشحر من الايك
والعرين قال خنافر وكان رعي من الجاهلية لا يكاد يتغيب عنى . فلما
شاع الاسلام فقدته مدة طويلة وسائى ذلك فبينما انا فى ذلك الوادى
نائم اذ هوى هوى العقاب فقال خنافر فقلت شطار قال اقول فقلت
قل اسمع . فقال حه تغم . لكل مدة نهاية . ولكل ذى امد غاية .
قلت اجل . قال كل ذى دولة الى اجل . ثم يتاح لها الحول . انتسخت
النحل . ورجعت الى حقائقها الممل . انك سجير موصول . والنصح
لك مبذول . انى آنت بارض الشام . نفرأ من آل العرام . حكما
على الحكام . يدبرون ذارواق من الكلام . ليس بالشعر المؤلف .
ولا بالسجع المتكلف . فاصغيت فزجرت . فعاودت فظلفت . فقلت
بم تنمغون . والام تقزون . قالوا خطاب كبار . جاء من عند الملك
الجبار . فاسمع يا شصار . عن اصدق الاخبار . واسلك اوضح الاثار .
تج من اوار النار . قلت وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر
والايمان . رسول من مضر . من اهل المدر . انبعث فظهر . فجاء
بقول قد بهر . واوضح نهجاً قد در . فيه مواعظ لمن اعتبر . ومعاذ

لمن ازدجر . الف بالآى الكبر . قلت ومن هذا المبعوث من مضر .
قالوا احمد خير البشر . فان آمنت به اعطيت السبر . وان خالفت
اصابت سقر . فآمنت يا خنافر . واقبلت اليك ابادر . فجناب كل
نحس كافر . وشايع كل مؤمن طاهر . والا فهو الفراق . عن لا
تلاق . قلت من اين ابني هذا الدين . قال من ذات الاحرين . والتقر
اليمنين . اهل الماء والطين . قلت اوضح قال الحق يثرب ذات النخل .
والحرة ذات النعل . فهناك اهل الطول والفضل . والمواساة والبذل .
ثم انما س عنى فبت مذعوراً ارأى الصباح فلما برق لى النور امتطيت
راحلتى واذنت اعبدى واحتملت باهلى حتى وردت الجوف فرددت
الابل على اربابها . بحولها واسقابها . وسرت اريد صنعاء فاصبت
بها معاذ بن جبل امير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على
الاسلام وعلنى سوراً من القرآن فمن الله على بالهدى بعد الضلالة .
والعلم بعد الجهالة . وقلت .

الم تر ان الله عاد بفضله * وانقذ من لفتح الرخيخ خنافرا
وكشف لى عن حجبى عصاهما * واوضح لى نهجى وقد كان دائرا
دعانى شصار للى لورفضتها * لاصابت جمرآمن لظى الهوب وافرا
فاصبحت والاسلام حشرجوانحى * وجانبت من امسى عن الحق نابرا
وكان مضى من هديت برشده * قلله مغو عاد بالرشد آمرا
نجوت بحمد الله من كل فحمة * تورث هلكا يوم شايبت شاصرا

وقد آمنتني بعد ذلك نجار * بما كنت اغشى المنديات نجاراً
فن مبالغ غسان قومي الوكة * باني من اقبان من كان ككافرا
(ومنهم صواحبات مصادر بن مذعور القيسي)

روى عن ابي بكر بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد عن العباس
ابن هشام عن ابيه . قال كان مصادر بن مذعور القيسي قد اخذ
مربع قوم دهر . وهو ربع الغنية وكان ذامال قد ذود من اذواده
فخرج في بغائها قال فاني في طلبها اذهبت واديا شجيرا كفيف الظلال
وقد تفحنت انياً فانحت راحتي في ظل شجرة وحططت رجلي ورسفت
بعيري واضطجعت في بردلي واذا اربع جوار كأنهن اللثالي رعين
بهما لهن فلما خالطت عيني السنة اقبلن حتى جلسن قريباً مني وفي
كف كل واحدة حصيات تقلبن فخطبت احدهن ثم طرقت فقالت
قان يا بنات عراف . اصاحب الجمل النياف . والبرد الخفاف . والجرم
الكشاف . ثم طرقت الثانية فقالت مضل اذواد علاكد . كوم صلاحد .
منهن ثلاث مناجد . واربع حدائد . شسف صئارد . ثم طرقت
الثالثة فقالت . رعين الفرع . ثم هبطن الكرع . بين المقدرات والجرع .
فقالت الرابعة ليهبط الغائط الافيج . ثم ايظهر في الملاء الصحيح . بين
سدير واملح . فهناك الذود رناع . بمنعرج الاجراع . قال فقممت
الى جملي فشددت عايه رحله فركبت فوالله ماشافهن من هن ولا
يمن هن . فلما ادبرت قالت احدهن ابرح فني ان جد في الطلب .

فقاله غيرهن نشب . وسيثوب عن كتب . فقرع قلبي والله من قولها
 فقلت وكيف هذا وقد خلفت بوادي عرجا فركبت السميت الذي
 وصفن لي حتى انتهيت الى الموضع فاذا اذوادى رواتع فضربت اعجازهن
 حتى اشرفت على تلك فاستحجفتها فامسيت والله مالى غير الذود فرمى
 الله نواصيرن بالرعى فاني اليوم لاكثر بنى القين مالا . وفي ذلك اقول .
 هو الدهر آس تارة وهو جارح * سوانحه مبثوثة والبوراح
 فينا الفتى في ظل نعماء غضة * تباكره افياءه وتراوح
 الى ان رمت الحاديات بنكة * تضيق لها منها الرحاب الفسائح
 فاصبح نضوا لا ينوء كائنا * باعظمه مما عراه الفوادح
 فما خللتني من امد عرج عكابس * اقسس اذواداً وهن روازح
 حداير لا ينهضن الا تحاملا * شراسف عرج اسارتها الجواثح
 فيا واثقا بالدهر كن غير آمن * لما تقتضيه الباهضات الفوادح
 فلست على ايامه بمحكم * اذا فطرت فاه الخطوب الكواثح
 يجيرك منه الصبر ان كنت صابراً * والا كما يهوى العدو المكاشح
 (ومنهم سلمى الهمدانية الحميرية)

روى ابو علي القالي في اماليه عن ابي بكر قال حدثنا السكن
 ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال اغار رجل من مراد
 يقال له خزيم على ابل عمرو بن براقه الهمداني . وقيل له فذهب
 بها فاني عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وكانوا عن رأيها يصدرون

فاخبرها ان خزيم المرادى اغار على ابله وخيله . فقالت والحفو
والوميض . والشفق والاعريض . والقلة والحضيض . ان خزيم
لمتبع الجيز . سيد مزيز . ذومعقل حريز . غير ان الحمة ستظهر
منه بعثرة . بطيئة الجبرة . فاغز ولا تنكع . فاغار عمرو فاستاق كل
شيء لخزيم فأتى خزيم بعد ذلك يطلب الى عمرو ان يرد عليه بعض
ما اخذ منه فامتنع ورجع فقال عمرو قصيدة منها .

تقول سليبي لا تعرض لثلقه * وابلاك عن ليل الصعاليك نائم
(ومنهم عفير آء الكاهنة الحميرية)

ذكر رواية اخبار العرب نوادر طريفة لعفير آء هذه . من ذلك
ما اورده محمد بن ظفر في كتابه خبر البشر بخير البشر . قال روى
ان مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة فوجد
عليه زعماء العرب وشعر آؤها وخطباؤها يهنونه . فرفع الحجاب
عن الوافدين واوسعهم عطاء واشتد سروره بهم . فبينما هو كذلك
ادنام يوما فرأى رؤيا في المنام اخافته واذعرتة واهالته في حال منامه
فلما اتبه انسيها حتى لم يذكر منها شيئا وثبت ارتياعه في نفسه بها فانقلب
سروره حزنا واحجب عن الوفود حتى اساء به الوفود الظن . ثم
انه حشر الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له اخبرني عما
اريد ان اسألك عنه فيجيبه الكاهن بان لا علم عندي حتى لم يدع كاهناً
علمه الا كان اليه منه ذلك فتضاعف قلقه وطال ارقه . وكانت امه

قد تكهنت فقالت له ايت اللعن ايها الملك ان الكواهن اهدى الى ما تسأل عنه لان اتباع الكواهن من الجان . الطف واظرف من اتباع الكهان . فامر بحشر الكواهن اليه وسألهم كما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهم علماً بما اراد علمه . ولما يئس من طلبته سلا عنها ثم انه بعد ذلك ذهب يتصيد فاوغل في طلب الصيد وانفرد عن اصحابه فرفعت له ابيات في ذرى جبل وكان قد افححه الهجير فعدل الى الابيات وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها فبرزت اليه منه عجوز فقالت له انزل بالرحب والسعة . والامن والدعة . والجفنة المددعة . والعلبة المترعة . فزل عن جواده ودخل البيت فلما احجب عن الشمس وخفقت عليه الارواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم الهجير . فجلس يسمع عينيه فاذا بين يديه فتاة لم ير مثلاً قواماً ولا جالاً . فقالت ايت اللعن ايها الملك الهمام . هل لك في الطعام . فاشتد اشفاقه وخاف على نفسه لما رأى انها عرفتة وتصامم عن كلمتها . فقالت له لاحذر . فذاك البشر . فجدك الاكبر . وحظنا بك الاوفر . ثم قربت اليه تريداً وقديداً وحيساً وقامت تذب عنه حتى انتهى اكله . ثم سقته ابناً صريفاً وضرباً فشرب ماشاء وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فلاث عينيه حسنا وقلبه هوى . فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمي عفراء فقال لها يا عفراء من الذي دعوته بالملك الهمام . قالت مرثد العظيم الشأن . حاشر الكواهن والكهان . لمعضلة بعد عنها الجان . فقال

ياغفيرا . اتعلمين تلك المعضلة . قالت اجل ايها الملك انها رؤيا منام .
 ليست باضغاث احلام . قال الملك اصبت ياغفيرا فما تلك الرؤيا . قالت
 رأيت اعاصير زوابع . بعضها لبعض تابع . فيها لهب لاعم . ولها دخان
 ساطع . يقفوها نهر متدافع . وسمعت فيما انت سامع . دعاء ذى جرس
 صاعد . هلموا الى الشارع . فروى جارح . وغرق كارع . فقال
 الملك اجل هذه رؤياى فما تأويلها ياغفيرا . قالت الاعاصير الزوابع .
 ملوك تبابع . والنهر علم واسع . والداعى نبى شافع . والجارح ولى
 تابع . والكارح عدو منازع . فقال الملك ياغفيرا اسلم هذا النبى
 ام حرب . فقالت اقسم برفع السماء . ومنزل الماء من السماء . انه
 لمطل الدماء . ومنطق العقائل نطق الاماء . فقال الملك الام يدعو
 ياغفيرا . قالت الى صلوة وصيام . وصلة ارحام . وكسر اصنام .
 وتعطيل ازلام . واجتناب آثام . فقال الملك ياغفيرا اذا ذبح قومه
 فمن اعضاده . قالت اعضاده غطاريف يمانون . طارهم به ميمون .
 يغزيهم فيغزون . ويدمئ بهم الحزون . والى نصره يعتزون . فاطرق
 الملك بواصر نفسه فى خطبتها . فقالت ابنت اللعن ايها الملك ان تابى
 غيور . ولاصرى صبور . وناكحى مشبور . والكلف بى ثبور . فهض
 الملك وجال فى صهوة جواده وانطلق فبعث اليها بمائة ناقة كرماء .
 قال محمد بن ظفر « اوغل فى طلب الصيد اى بالغ فى ذلك وامن
 والوغل الدخول فى الشئ بقوة . وذرى جبل بفتح الذال المجمة

الكن . والمدعدة هي التي ملئت بقوة ثم حركت حتى ترأس ما فيها
ثم ملئت بعد ذلك . والعابة بضم العين المهملة واسكان اللام انا
من جلد . والارواح هي الرياح . وصريفاً اللبن المحض يحدث أن الحلاب
يصرف عن الضرع الى الشارب . وضريباً اللبن الرائب . وبعد عنها
الجان اي جنبوا عنها ولم يطيقوها . واعاصير زوابع هي من الرياح ما يثير
التراب فيعليه في الجو ويديره . وساطع اي مرتفع . ودعاء ذي جرس
صادع . الجرس الصوت . والمشارع الداخل الى النهر . وجارع اي
من شرب جرعا امن . وكارع اي من امن غرق . وتباع جمع تبع .
وهذا لقب الملوك اليمن وهو من الاتباع لان بعضهم كان يتبع في الملك
بعضا . والعماء هو التيم والغمام . ومنطق العقائل هن الكرائم
من النساء اي يسبين فيشددن النطق على اوساطهن كالاماء للمهنة
والخدمة . ونقع مشار النقع الغبار يشبه المتحاربون . والاعضاد الانصار
والغطاريف السادة والتغطف التكبر . ويدمت اي يسهل . ويوامر
نفسه يراد به تعاضد الرأيين المتضادين في النفس . وجال في صهوة
جواده جال اي وثب . والصهوة مقعد الفارس من ظهر فرسه .
والكوماء الناقة العظيمة السنام .

(ومنهم سواد بن قارب الدوسي)

روى ابو بكر بن دريد قال حدثني عمي الحسين عن ابيه ابن
الكلبي عن الذيال بن نفر عن الطرماح بن حكيم قال خرج خمسة نفر

من طى من ذوى الحجى والرأى منهم برح بن مسهر وهو احد الممهرين
وانيف بن حارثة بن لام وعبد الله بن سعد بن الحشرج ابو حاتم طى
وعارق الشاعر ومرة بن عبد رضى . يريدون سواد بن قارب الدوسى
ليختبروا علمه . فلما قربوا من السراة قالوا ليخباكل واحد منا خبا ولا
يخبر به صاحبه انساله عنه فان اصاب عرقنا علمه وان اخطأ ارتحلنا
عنه فخبأ كل واحد منهم خبا ثم صاروا اليه فاهدوا اليه ابلا وطرفا
من طرف الحيرة فضرب عليهم قبة ونحراهم فلما مضت ثلاثة دعا بهم
فدخلوا عايه . فتكلم برح وكان اسنهم . فقال جادك السحاب .
وامرع لك الجناب . وحفت عايك النعم الرغاب . نحن اولو الاكال .
والحد آثق والاغيال . والنعم الجفال . ونحن اصهار املاك . وفرسان
العراك . يورى عنه انه من بكر بن وآئل . فقال سواد والسماء
والارض . والنمر والبرص . والقرض والفرض . انكم لاهل
المهضبات الشم . والنخيل الم . والصخور الصم . من اجا العيطاء . وسلمى
ذات الرقة السطماء . قالوا انا كذلك وقد خبا كل رجل منا خبا
لتخبر باسمه وخبئه . فقال ابرح . اقسم بالضياء والحلك . والنجوم والفلك .
والشروق والدلك . لقد خبات برثن فرخ . فى اعليط مرخ . تحت
اسرة الشرخ . فقال ما اخطأت شيئا فبن انا قال برح بن مسهر .
عصرة الممعر . وثمال المحجر . ثم قام انيف بن حارثة . فقال
ما خبيتى وما اسمى فقال والسحاب والتراب . والاصباب والاحداب .

والنعم الكتاب . لقد خبأت قطامة فسيط . وقذة مريط . في مدرة
من مدى معايط . قال ما اخطأت شيئاً فمن انا قال انيف . قارى الضيف .
ومعمل السيف . وخالط الشتاء بالصيف « ثم قام عبد الله بن سعد »
فقال ما خيبتى وما اسمى فقال سواد . اقسم بالسوام العازب . والوقير
الكارب . والمجد الراكب . والمسبح الحارب . لقد خبأت نفائة فنن .
في قطيع قد مرن . واديم قد جرن . قال ما اخطأت حرقاً فمن انا
قال انت ابن سعد النوال . عطاؤك سجال . وشرك عضال . وعمدك
طوال . وبيتك لا ينال « ثم قام عارق » فقال ما خيبتى وما اسمى
فقال سواد . اقسم بنقيف اللوح . والماء المسفوح . والقضاء المندوح .
لقد خبأت طلى اعفر . في زعنفة اديم احمر . تحت حلس نضو ادبر .
قال ما اخطأت شيئاً فمن انا قال انت عارق ذو اللسان المضب . والقلب
الندب . والمضاء الغرب . مناع السرب . مبيع النرب « ثم قام مره بن
عبد رضى » فقال ما خيبتى وما اسمى فقال سواد . اقسم بالارض
والسما . والبروج والانواء . والظلة والضياء . لقد خبأت ذمة
في رمة . تحت نشيط لمة . قال ما اخطأت شيئاً فمن انا قال انت مره
السريع الكره . البطى الفره . الشديد المره . قالوا فاخبرنا بما رأينا
في طريقنا اليك . قال والناظر من حيث لا يرى . والسامع قبل ان ينادى .
العالم بما لا يدري . لقد عنت لكم عقاب عجزاء . في شغائب دوحة
جرداء . تحمل جدلاً . فتمازيتهم ام ايداً او رجلاً . فقالوا كذلك ثم قال

سمع لكم قبل طلوع الشرق . سيد امق . على ماء طرق . قالوا ثم ماذا
قال تيس افرق . سند في ابرق . فرماه غلام ازرق . فاصاب ما بين
الوايلة والمرفق . قالوا صدقت وانت اعلم من تحمل الارض ثم ارتحلوا
عنه . وقال عارق .

الا لله علم لا يحارى * الى الغايات في جنبي سواد
ايناه نساله امتحانا * ونحسب ان سيثقل بالعناد
قابدى عن خفي مخبات * فاضمى سرها للناس بادي
حسام لا يليق ولا ثباتا * عن القصد الميم والسداد
كما خيبتنا لما اتحمينا * بعينه يصرح او ينادى
فاقسم بالغنايز جنب فلس * ومن نك الاقيص من العباد
اقد حزت الكهانة عن سطح * وشق والمرقل من اباد
(سبب اسلام سواد بن قارب وقصته البديعة)

كان سواد بن قارب من اعلم اهل وقته . واشهرهم في الكهانة
والشعر . واطولهم باعا في جميع المكارم . وقد وفد الى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم واسلم . وكان رثيه قد اتاه ثلاث ليال في حال
سنته يضربه برجله . ويقول قم يا سواد بن قارب واعقل ان كنت
تعقل انه قد بعث نبي من لوى بن غالب . وقد اردت قصته هذه مفصلة
جمع من الثقة منهم الامام الماوردي في كتابه اعلام النبوة . قال بسنده
ينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل

ف قيل له اتعرف هذا المار يا امير المؤمنين قال ومن هو قالوا هذا
سواد بن قارب رجل من اهل اليمن وكان له رثى من الجن فارسل
اليه عمر فقال انت سواد بن قارب قال نعم يا امير المؤمنين فقال انت
الذى اتاك رؤيك بظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم يا امير
المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذا اتاني رثى من الجن
فضرني برجله . وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل
ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى ابن غالب يدعو الى الله
تعالى والى عبادته وانشأ يقول .

عجبت للجن وتطالباها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبني الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كاذباها
فقلت له دعنى فانى امسيت ناعساً . ولم ارفع بما قال رأساً . فلما
كان الليلة الثانية اتانى فضرني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع
مقالى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى ابن غالب
يدعوا الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول .

عجبت للجن وتخبأرها * وشدها العيس باكوأرها
تهوى الى مكة تبني الهدى * مامؤمنوا الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روايها واحجارها
فقلت دعنى فقد امسيت ناعساً . ولم ارفع بما قال رأساً . فلما كانت

الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع
مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو
الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول .

عجبت للجن ونجساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماخير الجن كانبجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها
قال فاصبحت وقد امحن الله قلبي الاسلام فرحلت ناقتي واتيتم المدينة
فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه فقات اسمع مقالتي
يا رسول الله . قال هات فانشأت .

اتاني رثي بعد هده ورقدة * ولم اك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * اناك رسول من لوى بن غالب
فشمعت عن ذيلي الازار ووسط * بي الذعلب الوجناء بين السباب
فاشهد ان الله لا شئ غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطائب
فرنا بما ياتيك ياخير مرسل * وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعه * بمنقن قتيلا عن سواد بن قارب
الرثي الخادم من الجن . والهدء السكون . والذعلب بكسر الذال
وسكون العين وكسر اللام الناقة السريمة . والوجناء الشديدة .
والسباب جمع سبب المفازة . ففرح رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم واصحابه بمقالي فرحاً شديداً حتى روى الفرح في وجوههم .
قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت احب ان اسمع منك هذا
الحديث . فهل يأتيك رثيك اليوم . فقال مذقرأت القرآن فلا
وانعم العوض كتاب الله تعالى من الجن . وتنام الكلام على اخباره
في الاستيعاب والاصابة .

(ومنهم فاطمة بنت مر الحثمية)

وهي كاهنة كانت بمكة . ويحكى عنها امور في باب الكهانة عجيبة
ومن الامثال الشائعة بين العرب « قد كان ذلك مرة فاليوم لا » قال
الميداني اول من قال ذلك فاطمة بنت مر الحثمية قال وكانت قد قرأت
الكتب فاقبل عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد ان يزوجه آمنة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فر على فاطمة وهي
بمكة فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له من انت يا فتى قال انا
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فقالت هل لك ان تقع على واعطيك
مائة من الابل . فقال .

اما الحرام فالممات دونه * والحل لاجل فاستبينه

* فكيف بالامر الذي تنوينه *

ومضى مع ابيه فزوجه آمنة وظل عندها يومه وليته فاشتلت بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف وقد دعت نفسه الى الابل فاتاها
فلم ير منها حرصاً فقال لها هل لك فيما قلت لي . فقالت « قد كان ذلك

مرة فاليوم لا ، فارسلتها ، مثلاً يضرب في الندم والالابة بعد الاحترام
ثم قالت له اى شئ صنعت بعدى قال زوجنى ابى آمنة بنت وهب
فكنت عندها فقالت رأيت في وجهك نور النبوة فاردت ان يكون
ذلك في قارى الله تعالى الا ان يضعه حيث احبه وقالت .

بنى هاشم قد غادرت من اخيكم * امينة اذالباء يعجلان
كما غادر المصباح بعد خبوه * فتائل قدميت له بدهان
وماكل مانال الفتى من نصيبه * بحزم ولا مافاته بتوان
فاجل اذا طالبت امرأ فانه * سيكفيك جدان يطرعان
• وقالت ايضاً •

انى رأيت مخيلة نشأت * فلا لأت بختام القطر
لله مازهرية سابت * نوبيك ما استلبت وما تدرى
وقد اورد هذه القصة الامام الماوردى ايضاً في كتاب اعلام النبوة
مع بعض الزيادة . قوالها بعد خبوه اى طفته والمخيلة السحابة التى هى
مظنة المطر . قال فى الصحاح وقد خالت السحاب واخيلت وخايلت اذا
كانت ترجى المطر وقد اخات السحابة واخيلتها اذا رأيتها مخيلة .
والخاتم سحاب سود لان السواد عندهم خضرة والخنم الجرة
الخضراء . وزهرية منسوبة الى زهرة حى من قریش وهو اسم امرأة
كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر نسب ولده اليها
وهم اخوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . والكهتان كثيرون

يحتاج استيعابهم وما روى عنهم من الاخبار وما نطقوا به من السجع والرجز الى سفر كبير . قال الاصفهاني عند الكلام على الكهانة كان ذلك في العرب كثيراً . وآخر من وجد وروى عنه الاخبار العجبية سطيم وسواد بن قارب . قال وكان وجود ذلك في العرب احد اسباب معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان يخبر به ويحث على اتباعه
(العرافون)

قال ابن خلدون في مقدمته العرافون كان في العرب منهم كثير وذكرهم في اشعارهم قال قائلهم .

فقات لعراف اليمامة داوئي * فالك ان داويتني لطيب

« وقال الآخر »

جعلت لعراف اليمامة حكمة * وعراف نجد انهما شفياني

فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هورباح بن عجلة . وعراف نجد الابق الاسدي انتهى .

وبعض العرب يسمى الكاهن عرافاً ايضاً وبعضهم يطلق هذا اللفظ

على الطيب ايضاً . قال الخطابي في شرح سنن ابي داود الكاهن

هو الذي يدعى مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكواثر وكان

في العرب كهنة يدعون انهم يعرفون كثيراً من الامور فمنهم من كان

يزعم ان له رثياً من الجن وتابعة يلقي اليه الاخبار . ومنهم من كان يدعى

انه يستدرك الامور بفهم اعطيه . قال وكان منهم من يسمى عرافاً وهو

الذى يزعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقعها كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة وتتهم المرأة بالريبة فيعرف من صاحبها ونحو ذلك من الامور . ومنهم من كان يسمى المنجم كاهنا . والحديث قد يشتمل على النهى عن اتيان هؤلاء كلهم والرجوع الى قولهم وتصديقهم على ما يدعون من هذه الامور . ومنهم من كان يدعو الطيب كاهناً وربما دعوه عرافا . قال ابو ذؤيب .

يقولون لى لو كان بالرمل لم يمت * نشيبة والكهان يكذب قبلها
وقال آخر جعلت لعراف اليمامة البيت . وهذا غير داخل في جملة النهى وانما هو مغالطة في الاسماء وقد اثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطب وابعاح العلاج والتداوى .

(ومن علومهم علم الزجر والعيافة)

وهو الاستدلال باصوات الحيوانات وحركاتها وسائر احوالها على الحوادث واستعلام ما غاب عنهم . وقال ابن خلدون واما الزجر فهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سحور طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهى قوة فى النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئى او مسموع وتكون قوته الخيلة قوية فيبعثها فى البحث مستعينا بما رآه او سمعه فيؤديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة الخيلة فى النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس والمرئى فى نقطة فجمعته مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا انتهى . وقد كان العرب اعلم الناس

بهذا العلم وهو مدار افعالهم وقانون حركاتهم وسكناتهم . وقد روى عنهم في هذا الباب . روايات تحير ذوى الالباب . قال ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة يروى في حرب بنى تغلب ان تيم اللات ارسل بنيه في طلب مال له فلما امسى سمع صوت الريح فقال لامرأته انظري من اين نشأت السحاب ومن اين نشأت الريح فاخبرته بالواقع فقال والله اني لارى ريحاً تدهده الصخر . وتمحق الاثر . فلما دخل عليه بنوه قال لهم مالقيتم قالوا سرنا من عندك فلما باغنا غصن الشعثين اذا بعفر جائحات على دعص من رمل . فقال فما ربحكم ناطح ام دابر ام بارح ام سانح قالوا ناطح . فقال يخاطب نفسه ياتيم اللات دعص الشعثين والشعثم الشيخ الكبير وانت شعثم بنى بكر وجوانم بدعص وريح نطحت فبرحت . قال ثم ماذا . قالوا ثم رأينا ذبأ قد دلع لسانه من فيه وهو يحرن وشعره عليه . فقال ذلك حران ثار ذو لسان عذول حامى الظهر همه سفك الدماء وهو ارقم الارقم يعنى مهلهلا قال ثم ماذا . قالوا ثم رأينا ريحاً وسحابا . قال فهل مطرتم قالوا بلى . قال يبرق قالوا قد كان ذلك . فقال ماء سائل ذلك دم سائل ومرهفات . قال ثم مه قالوا ثم طاعنا قاعة صنعاء ثم تصوبنا من تل فاران . قال فكنتم سواء او مترادفين قالوا بل سواء . قال فما سحاؤكم قالوا جناء . قال فما ربحكم قالوا ناطح . قال فما فعل الجيش الذين لقيتموهم قالوا نجونا منه هربا وجد القوم في اثرنا . قالوا ثم مه قالوا رأينا سبعا على سبع

ينهشه وبه بقية لم يمت . فقال ذروني اما والله انها لقبيلة مصروعة
 ما كولة مقتولة من بني وائل بعد عز وامتناع » وذكروا ان تيم
 اللات » هذا مريوما بجمل اجره وعليه ثلاث غرايب فقال لبنيه
 ستقفون على مقتول فكان كما قال وقتل عن قريب » وقال علقمة »
 في سيره مع اصحابه وقد مروا في الليل بشيخ فقال لقيتم شيخاً كبيراً فائناً
 يغالب الدهر والدمر يغالبه يخبركم انكم ستلقون قوما فيهم ضعف
 ووهن . ثم لقي سبعة فقال دلّاج لا يغلب . ثم رأى غراباً ينفض
 بجؤجؤه . فقال ابشروا الاترون انه يخبركم ان قد اطمأنت بكم الدار
 فكان الامر كذلك » وذكر المدائني » قال خرج رجل من لهب
 ولهم عيافة في حاجة له ومعه سقاء من ابن فسار صدر يومه ثم عطش
 فاناخ بعيره ليشرب فاذا الغراب ينعب فانار راحلته ومضى فلما اجهد
 العطش اناخ ليشرب فنعب الغراب فانار راحلته . ثم في الثالثة نعب
 الغراب وتمرغ بالتراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فاذا فيه اسود
 ضخم . ثم مضى فاذا غراب على سدة فصاح به فوق على سلمة فصاح
 به فوق على صخرة فانهى اليه فاذا تحت الصخرة كنز . فلما رجع الى ابيه
 قال له ما صنعت قال سرت صدر يومى ثم انحت لاشرب فاذا الغراب
 ينعب . قال اثره والا لست بابنى قال اثره . ثم انحت لاشرب فاذا
 الغراب ينعب قال اثره والا لست بابنى قال اثره . ثم انحت لاشرب
 فنعب الغراب وتمرغ في التراب قال اضرب السقاء والا لست بابنى

قال فعلت فاذا اسودضخم . قال ثم مه قال ثم رأيت غراباً واقعاً على
سدرة قال اطره والا فلست بابني قال اطرته ثم وقع على سلمة قال
اطره والا فلست بابني قال اطرته فوقع على صخرة . قال اخبرني بما
وجدت فاخبره « وذكر ايضاً ان امرابياً اضل ذوداً له وخادماً فخرج
في طلبهما حتى اذا اشتدت عاياه الشمس وحمى النهار مر برجل يحلب
ناقة قال اظنه من بني اسد فسأله عن ضائه قال ادن فاشرب من اللبن
وادلك على ضائك قال فشرب . ثم قال ما سمعت حين خرجت قال
بكاء الصبيان ونباح الكلاب وصراخ الديكة وثغاء الشاة قال يهاك
عن الغدو . ثم مه قال ثم ارتفع النهار فعرض له ذئب قال كسوب ذو ظفر
ثم مه قال ثم عرضت لي نمامة قال ذات ريش واسمها حسن هل تركت
في اهلك مريضاً يعاد قال نعم قال ارجع الى اهلك فذودك وخادمك
عندهم فرجع فوجدهم « وذكر ابو خالد التيمي » قال كنت آخذ
الابل بضمان فارعاها في ظهر البصرة فطردت فخرجت اقفواثرها
حتى انتهيت الى القادسية فاختلطت على الآثار فقلت لودخلت الكوفة
فتحسست منها فأتيت الكناسة فاذا الناس مجتمعون على عراف اليمامة
فوقفت ثم قلت له حاجتي فقال .

بعيدة اشطان الهوى جمع مثلها * على العاجز الباغي الغني ذو تكاثف
وليرجعن قال فوجدتها في الشام مع ابن عم لي فصالحها اصحابها عنها .
« وقال المدائني » كان بالسواد زاجري قال له مهر فاخبر به بعض العمال

فجعل يكذب زجره ثم ارسل اليه فلما اتاه قال انى قد بعثت بغنم الى مكان كذا وكذا فانظر هل وصلت ام لم تصل . وقد عرف العامل قبل ذلك ان بينها وبين الكلا مرحلة فقال لعلامه اخرج فانظر اى شئ تسمع قال وكان العامل قد امر غلامه ان يكمن فى ناحية الدار ويصيح صياح ابن آوى فخرج غلام الزاجر ليدسمع فصاح غلام العامل فرجع الى الزاجر غلامه واخبره بما سمع فقال للعامل قد ذهبت عنك وقطع عليها الطريق فاستيقنت . قال فضحك العامل وقال قد جئني خبرها انها وصلت والصائح الذى صاح غلامى قال ان كان الصائح الذى صاح ابن آوى فقد ذهبت الغنم وان كان غلامك فقد الراعى ايضا قال فبلغه بعد ذلك ذهاب الغنم وقتل الراعى « وذكر المكللى » انه خرج فى تسعة نفر هو وعاشرهم ايصيبوا الطريق فرأى غرابا واقعا فوق بانه . فقال يا قوم انكم تصابون فى سفركم هذا فازدجروا واطيعوني وارجعوا قابوا عليه فاخذ قوسه وانصرف وقتلت التسعة وانشأ يقول رأيت غرابا واقعا فوق بانه * ينسئس اعلى ريشه ويطايره فقلت غراب فاغتراب من النوى * وبان فين من حبيب يجاوره فما اعيف المكللى لادر دره * وازجره للطير لاعز ناصره « وذكر عن كثير » عزة انه خرج يريد مصر وكانت عزة بها فلقية اعرابي من نهل فقال اين تريد قال اريد عزة بمصر قال ما رأيت فى وجهك قال رأيت غرابا ساقطاً فوق بانه ينتف ريشه فقال ماتت عزة فانتهى

ومضى فوافى مصر والناس منصرفون من جنازتها . فاشأ يقول .
 فلما غراب فاغتراب وغربة * وبان فين من حبيب لعاشره
 « وذكر عنه ايضاً » انه هوى امرأة من قومه بعد عزة يقال لها ام
 الحويرث وكانت فائقة الجمال . كثيرة المال . فقالت له اخرج فاصب
 مالا فاتزوجك فخرج الى اليمن وكان عليها رجل من بني مخزوم فلما
 كان ببعض الطريق عرض له قوط وهو الجماعة من الظباء فمضى ثم
 عرض له غراب ينعب ويفحص التراب على رأسه فاتى كثير حياً
 من الازد ثم من بني لهب وهم من ازجر العرب وفيهم شيخ قد سقط
 حاجباه على عينيه فقص عليه ما عرض له فقال ان كنت صادقا لقد
 ماتت هذه المرأة او تزوجت رجلاً من بني كعب فاغتم كثير لذلك
 وسقى بطنه فكان ذلك سبب موته وقال في ذلك .

تيمت لهبا ابنتى العلم عندهم * وقد رد علم العافين الى لهب
 فيميت شيخاً منهم ذوامانة * بصيراً بزجر الطير معنى الصلب
 فقلت له ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب بفحص الارض بالترب
 فقال جرى الطير السنج بينها * ونادى غراب بالفراق وبالسلب
 فان لا تكن ماتت فقد حال دوانها * سواك خليل باطن من بني كعب
 « وقال رجل من بني اسد » تزوجت ابنة عملى فخرجت اريدها فلقينى
 شئ كالكلب مذلع لسانه في شق فقلت اصفى ورب الكعبة فأتيت
 القوم فلم اصل اليها ونافرنى اهلها فخرجت عنهم فمكنت ثلاثة ايام

ثم بدالى فخرجت نحوهم فلقيت كلبة تنظف طبأؤها لبناً فقلت ادركت
ورب الكعبة فدخلت باهلى وحملت منى بفلام ثم باخر حتى ولدت
اولاداً كثيرين . وما رواه النقاة من الحكايات فى هذا الباب لا يقوم
بها مثل هذا الكتاب من المختصرات .

(كيفية الزجر عند العرب)

قال ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة عند الكلام على
اصحاب الطير السامح والبارح والقميد والناطح واصل هذا ان العرب
كانوا يزجرون الطير والوحش ويشيرونها . فما تيامن منها واخذ ذات
اليمن سموه سانحاً . وما تياسر منها سموه بارحاً . وما استقبلهم منها فهو
الناطح . وما جائهم من خلفهم فهو القعيد . فمن العرب من يتشأم بالبارح
لانه لا يمكن رميه الا بان ينحرف اليه ويتبرك بالسامح . ومنهم من يرى
خلاف ذلك . قال المدائنى سألت روبة بن الحجاج ما السامح قال ما ولاك
ميامنه . قال قلت فما البارح قال ما ولاك . يياسره قال والذي يحبى
من قدامك فهو الناطح والناطح والذي يحبى من خلفك فهو القاعد
والقعيد . ونقل عن المفضل الضبي ان البارح ما يأتىك من اليمين يريد
يسارك والسامح ما يأتىك عن اليسار فيمر على اليمين وانما اختلفوا فى مراتبها
ومذاهبها لانها خواطر وحدوس وتخمينات لا اصل لها فمن تبرك
بشئ مدحه ومن تشأم به ذمه . وقد ذكرنا سابقاً عند الكلام على تشاؤم
العرب بالطيور ان اهل نجد تسمين بالسامح وتشأم بالبارح واهل العالية

على عكس هذا . وفي النهاية لابن الاثير الزجر للطير هو التيمن والتشؤم
بها والتفاؤل بطيرانها كالسائح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة
واقول انه قسيم للكهانة لانوع منهم وظاهر كلامه يوهم انها والعيافة
مترادفان وهو ايضا لا يسم له . وليس شئ من الطير الا وهو يزجر
الا الرخم . قال الكميت يهجو رجلا .

انشأت تنطق في الامور * كواغبد الرخم الدوائر

اذ قيل يارخم انطق * في الطير انك شر طائر

فات بما هي اعله * والى من شلال المجاور

وفي المثل « انطق يارخم انك من طير الله » يقال ان اصله ان الطير
صاحت فصاحت الرخم فقيل لها يهزأ بها انك من طير الله فانطق
يضرب للرجل لا يلتفت اليه ولا يسمع منه . والرخمة طائر ابقع يشبه
النسر في الحلقة يقال له الانوق والجمع رخم وهو للجنس .

(من اشتهر من العرب بالزجر والعيافة)

قد كان في العرب جماعة يعرفون بذلك كمراف اليمامة والابلق
الاسيد والالجم وعروة بن يزيد وغيرهم ممن لا يحصى عدداً . فكانوا
يحكمون بذلك ويعملون به ويتقدمون ويتأخرون في جميع ما ينقلبون
فيه . ويتصرفون في حال الامن والخوف والسعة والضيق والحرب
والسلم . فان نجحوا فيما يتفألون به مدحوه وداوموا عليه . وان عطبوا
فيه تركوه وذموه . ومن اشتهر باحسان الزجر عندهم ووجوه

حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم وما املوه من اعمالهم سموه
عائفاً وعرافاً كما سموه زاجراً . واني ذاكر بحول الله تعالى في هذا المقام
شيئاً من اخبار بعض من وقفت على ترجمته منهم على طريق الاختصار .

(منهم حسل بن عامر بن عميرة الهمداني)

ومن حديثه ان عامراً بعث ابنه الحسل وعاجنة الى تجارة فلقى
الحسل قوم من بني اسد فاخذوا ماله واسروه وسار عاجنة اياماً ثم
وقع على مال في طريقه من قبل ان يبلغ موضع متجره فاخذه ورجع
وقال في ذلك .

كفاني الله بعد السير اني * رأيت الخير في السفر القريب
رأيت البعد فيه شقي ونأى * ووحشة كل منفرد غريب
فاسرعت الاياب بخير حال * الى حورآء خرعة لعوب
واني ليس يثني اذا ما * رحلت سنوح سحاج نعوب
قال في الصحاح الحور شدة بياض العين في شدة سوادها وامرأة حورآء
بينة الحور وجارية خرعة وخرعوبة اي دقيقة العظام ناعمة وبغير
سحاج يسحج الارض بخفه اي يقشر . فلما رجع تباشربه اهله وانتظروا
الحسل فلما جاء ابانه الذي كان يحب فيه ولم يرجع رايهم امره وبعث
ابوه اخاله لم يكن من امه يقال له شاكر في طلبه والبحث عنه فلما دنا
شاكر من الارض التي بها الحسل وكان الحسل عائفاً يزجر الطير فقال
تخبرني بالنجاة القطاة * وقول الغراب بها شاهد

يقول الا قد دنا نازح * فداء له الطرف والثالذ
اخ لم تكن امنا امه * ولكن ابونا اب واحد
تداركني رافة حاتم * فقم المـسـربـب والوالد
ثم ان شاكرأ سأل عنه فاخبر بمكانه فاشتراه بمن اسره باربعين بـمـيـراً
فلما رجع به قال له ابوه « اسع بجـدك لا بكـدك » فذهبت مثلاً .
(ومنهم ابو ذؤيب الهذلي الشاعر)

ومن خبره ما حكى عنه انه قال بلغنا ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عايل فاستشعرت حزنا وبت باطول ليلة لا يجاب
ديجورها . ولا يطام نورها . فبت اقاسي طولها . حتى اذا كان
وقت السحر اغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول .

خطب اجل اناخ بالاسلام * بين الخيل ومقعد الاطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تـذـرى الدموع عليه بالاسجام
قال ابو ذؤيب فوثبت من منامي فزعا فنظرت الى السماء فلم ار الا
سـمـد الذابح فاولته ذبحاً يقع في العرب وعلمت ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قد قبض او هو ميت من علمته فركبت ناقى وسرت فلما اصحت
طلبت شيئاً ازجر به فعرض لي شيهم * وهو ذكر الفنافذ * قد قبض
على صل يعنى حية فهي تلتوى عليه والشيم يقضمها حتى اكلمها
فـزـجـرت ذلك وقلت شيهم شئ هم . والثواء الصل تلوى الناس
عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم

اولت اكل الشيم اياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر . فحنثت ناقتي حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فاخبرني بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم . ونعب غراب سائح فنطق بمثل ذلك . فتعوذت بالله من شر ما عنلى فى طريقى فقدمت المدينة واما ضحيج بالبكاء كضحيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام . فقلت ما الخبر قالوا قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحنثت الى المسجد فوجدته خالياً فاتيت بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدت بابه مرتجاً اى مغلقاً . وقيل هو مسجى وقد خلا به اهله فقلت اين الناس فقيل فى سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الانصار فحنثت الى السقيفة فاصبت ابا بكر وعمر واما عبيدة بن الجراح وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعر آؤهم حسان ابن ثابت وكعب بن مالك فاويت الى قريش وتكلمت الانصار فاطالوا الخطاب واطالوا الجواب . وتكلم ابو بكر فله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب . والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه . ثم تكلم عمر رضى الله تعالى عنه بدون كلامه . ثم قال لابي بكر مديك ابايعك فديده فبايعه وبايعه الناس ورجع ابو بكر رضى الله تعالى عنه ورجعت معه . قال ابو ذؤيب فشهدت الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهدت دفنه .

(ومنهم جابر بن عمرو المازني)

ومن حديثه انه كان يسير يوما في طريق اذ رأى اثر رجلين
وكان عائفاً قائفاً. فقال اري اثر رجلين شديد آكلهما. غزيراً سلهما.
والفرار بقرب اكيس ثم مضى واراد ذو الفرار يعني الذي يفر ومعه
قرب سيفه اذ فاته السيف اكيس ممن يفيت القرب ايضاً قال الشاعر
اقاتل حتى لا اري لي مقاتلا * وانجو اذا لم ينج الا المكيس

(ومنهم جندب بن الغنبر بن عمرو بن تميم)

قال المفضل الضبي ان جندبا هذا كان رجلاً دميماً فاحشاً وكان
شجاعاً وانه جالس هو وسعد بن زيد مناة يشربان فلما اخذ الشراب
فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه ياسعد اشرب ابن اللقاح. وطول
النكاح. وحسن المزاح. احب اليك من الكفاح. ودعس الرماح.
وركض الوقاح. فقال سعد كذبت والله اني لا عمل العامل. وانحر
البازل. واسكت القائل. قال جندب انك لتعلم انك لو فرغت دعوتي
عجلاً. وما ابتغيت لي بدلاً. ولرايتني بطلا. اركب العظيمة. وامنع
الكريمة. واحمي الحريمة. فغضب سعد وانشأ يقول.

هل يسود الفتي اذا قبح الوجه * وامسى قراء غير عتيد
واذا الناس في الندى قد رأوه * قال قول غير سديد

« فاجابه جندب »

ليس زين الفتي الجمال ولكن * زينه الضرب بالحسام التليد

ان ينالك الفتي فزين والا * ربما ضن باليسير العتيد
قال سعد وكان عائفاً ايضاً اما والذي احلف به لتأسرنك طمعة . بين
المرينة والذهينة . ولقد اخبرني طبرى . انه لا يغيثك غيرى . فقال
جندب كلا انك لجبان . تكره الطعام . وتحب القيان . فذفر قاعلى
ذلك فغبرا حيناً ثم ان جندبا خرج على فرس له يطلب القنص فاتى
على امة لبنى تميم يقال ان اصلها من جرهم فقال لتكنتى مسرورة .
اولتقهرن مجبورة . قالت مهلا فان المرء من نوكه . يشرب من سماء
لم يوكه . فنزل اليها عن فرسه مدلاً . فلما دنا منها قبضت على يديه بيد
واحدة فازالت تمصرها حتى تركته لا يستطيع ان يحركهما ثم كتفته
بعنان فرسه وراحت به مع غنمها وهى تحدو به وتقول .

لاتأمنن بعسدها الولايذا * فسوف تلقى ناسلا مواردا

* وحية تضفى لحي راصدا *

قال فر بسعد فى ابله فقال ياسعد اغثى قال سعد « ان الجبان لا يغيث »
فقال جندب

يا ايها المرء الكريم المشكوم * انصر اخاك ظالماً او مظلوماً
فاقبل اليه سعد فاطلقه ثم قال لولا ان يقال قتل امرأة لقتلتك قالت
كلا لم يكن ليكذب طيرك . ويصدق غيرك . قال صدقت . قوله انصر
اخاك الخ هو من الامثال يعنى انصره ظالماً كنت خصمه او مظلوماً
من جهة خصمه اى لا تسلمه فى اى حال كنت .

(ومنهم امرأة الاسدي)

ومن خبره انه كانت له امرأة من اجل النساء في زمانها وانه غاب عنها اعواما فهويت عبداً لها حامياً كان يرعى لها ماشيتها فلما همت به اقبلت على نفسها . فقالت يانفس لاخير في الشرة . فانها تفضح الحرة . ونحدث العرة . ثم اعرضت عنه حيناً ثم همت به فقالت يانفس مودة مريجة . خير من الفضيحة . وركوب القبيحة . واياك والمار . ولبوس الشنار . وسوء الشعار . واوهم الدنار . ثم همت به وقالت ان كانت مرة واحدة . فقد تصلح الفاسدة . وتكرم العائدة . ثم جسرت على امرها . وقالت للعبد احضر مبيتى الليلة فاتاها فواقها وكان زوجها عائفاً مardاً وكان قد غاب دهرأ ثم اقبل آيباً فينا هو يعلم اذ نعب غراب فاخبره ان امرأته لم تفجر قط ولا تفجر الا تلك الليلة فركب امرأة فرسه وسار مسرعاً رجاء ان هو احسبها امنها ابدأ فانتهى اليها وقد قام العبد عنها وقد ندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعها امرأة فدخل عليها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له ما يرعدك قال مرة ليعلم انه قد علم خير قليل المثل فشبهت شهقة وماتت فقال مرة .

لحي الله رب الناس فاقرمية * واهون بها مفقودة حين تفقد
لعمرك ماتت ادنى منك لوعة * ولا انا من وجد عليك مسهد
ثم قام الى العبد فقتله . والفارقة الداهية . ولما الله قبحه ولغنه .

والمارد العاتى .

(من انكر الزجر والطيرة من العرب)

ومن العرب من انكر الزجر ونحوه بعقله وابطل تأثيره بنظره
وذم من اغتربه واعتمد في امره عليه وتوهم تأثيره * منهم ضابي بن
الحارث * وقد قال في ذلك .

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى * نجسها ولا عن ريشهن يخيب
ورب امور لا تضيرك ضيرة * وللقاب من مخشاشتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
قوله وما عاجلات الطير الخ قال المبرد في الكامل يقول اذا لم تعجل
له طير سائمة فليس ذلك بمجد خيراً عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجلها
لاياتيه بخير و آجلها لا يدفع عنه انما له ما قدر له . والعرب تزجر
على السامخ وتتركه البارج وتنشأ به والسامخ ما تارك مياسره
فامكن الصائد والبارج ما تارك ميامنه فلم يمكن الصائد الا ان يحرف
له . قال الشاعر .

لا يعلم المرء لئلا ما يصحه * الا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضالون ودون الغيب اقبال
وقال ابن خلف اذا خرج الانسان من منزله فاراد ان يزجر الطير فما
مر به في اول ما يبصر فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانتظرها
فقد رأت اى ابطأت والاول عندهم محمود . والثاني مذموم يقول

ليس النجج بان يجعل الطائر الطيران كما يقول الذين يزجرون الطير
ولا الحية في ابطائها وهذا رد على مذهب الاعراب .

« ومنهم المرقش » وهو شاعر قديم ومن شعره .

ولقد غدوت وكنت لا * اغدو على واق وحام

فاذا الاشأم كالآيا * من والايامن كالاشأم

وكذاك لاخير ولا * شر على احد بدأم

لا يمنعك من لقاء ال * غير تعقاد التأم

ولا التشاؤم بالعطا * س ولا التيامن بالمقاسم

قدخط ذلك في السطو * ر الاوليات القدام

« ومنهم جهم الهذلي » وفي ذلك يقول من ابيات يرد بها على العائفين

في زجر الطير .

يظن ان ظناً مرة يخطيانه * واخرى على بعض الذي يصفان

قضى الله ان لا يعلم الغيب غيره * ففي اى امر الله يمتريان

« ومنهم صابي بن حارث البرجمي » حيث يقول في شعره .

وما انا بمن يزجر الطير هم * اصاح غراب ام تعرض ثعاب

ولا السانحات البارحات عشية * امر سليم القرن ام مرا غضب

« وقال آخر وهو لييد »

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصي * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

« ومنهم الرقاص الكلبي » وكان على انكار الزجر واعتقاد بطلانه

وهو الذي يقول . وقيل لحثيم بن عدي .
 وجدت اباك الخير بجرأ بنجدة * بنساها له مجسداً اشم مقام
 وايس بهياب اذا شد رحله * يقول عداني اليوم واق وحاتم
 ولكنه يمضي على ذاك مقدما * اذا صد عن تلك الهناة الحثارم
 والحثارم كملابط الرجل المتطير * ومنهم النابغة * فقد روى انه خرج
 هو وزيايد بن سيار يريدان التزو فرأى زيايد جرادة فقال حرب ذات
 الوان فرجع ومضى النابغة ولما رجع غائماً قال .

يلاحظ طيرة ابداء زيايد * تخبره وما فيها خير
 اقام كأن لقمان بن عاد * اشار له بحكمته مشير
 تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
 بلى شيء يوافق بعض شيء * احايينا وباطله كثير

وقد شفت الشريعة المحمدية الامة في الطيرة . وقال النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم وقد سئل عنها * ذاك شيء يجده احدكم فلا يصدنه *
 وذكر شراح الحديث ان ليس في سنوح الطير وبروحها ما يقتضي
 ما اعتقدوه وانما هو تكلف بتعاطي مالا اصل له اذ لا نطق للطير
 ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه وطلب العلم من غير
 مظاهر جهل من فاعله . وقد كان بعض عقلاء الجماهية ينكر التطير
 ويتمدح بتركه كما سبق وكان اكثرهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك
 ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك وبقيت من ذلك بقايا في كثير

من المسلمين . وبقى كلام في الطيرة والقال والفرق بينهما وسبب
تحريم احدهما دون الآخر مذكور في شروح كتب الحديث . ومن
عجيب امر بعض قبائل العرب في الجاهلية انهم لا يزوجون بناتهم الا
من اتصف بصفات منها معرفته للزجر والعيافة حيث ان هذه المعرفة
عندهم من الصفات العلية . ففي كتاب مجمع الامثال للميداني عن المفضل
الضبي ان ابن اروي الكلاعي خرج تاجراً من اليمن الى الشام
فسار اياماً ثم حاد عن اصحابه فبقى مفرداً في تيه من الارض حتى سقط
الى قوم لا يدري من هم فسأل عنهم فاخبر انه همدان فزل بهم وكان
طريقاً ظريفاً وان امرأة منهم يقال لها عمرة بنت سبيع هويته وهويها
فخطبها ابن اروي وكان اسمه الضب الى اهل بيتها وكانوا لا يزوجون
الا شاعراً او عايفاً او عالماً بعيون الماء فسألوه عن ذلك فلم يعرف منها
شيئاً فابوا تزويجه فلم يزل بهم حتى اجابوه فتزوجها . ثم ان حياً
من احياء العرب ارادوا الفارة عليهم فتطيروا بالضب فاخرجوه وامراته
وهي طامث فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء فسارا يوماً وليلة وامامهما
عين يظنان انهما يصحانها . فقالت له ادفع الى هذا السقاء حتى
اغتسل فقد قاربنا العين فدفع اليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها
ثم صبا العين فوجداهما ناضية وادركهما العطش فقال الضب لامائك
ابقيت ولا حرك انقيت ثم استظلا بشجرة حيال العين فانشا الضب يقول .

تالله ما طلة اصاب بها * بعلا سوى قوارع العطب

واى مهر يكون اقل مما * طلبوه اذن من الضب
ان يعرف الماء تحت صم الصفا * ويخبر الناس منطق الخطب
اخرجنى قومها بان الرحى * دارت بشوم لهم على القطب
فلما سمعت امراته ذلك فرحت وقالت ارجع الى القوم فانك شاعر
فانطلقا راجعين فلما وصلا خرج القوم اليهما وقصدوا ضربهما ووردهما
فقال لهم الضب اسمعوا شعري ثم اقولنى فانشدهم شعره فحبا
وصار فيهم اثر من بعضهم . قال الفرزدق .

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها * ولا هى من ماء المذابة طاهر
(الطرق بالحصى والخط ونحو ذلك)

كانت عند العرب امور كثيرة يتوصلون بها الى معرفة المقيبات
بزعمهم كالطرق بالحصى والخط والجوب وغير ذلك وهذه كلها
من الكهانة على ما حققه اهل العلم . والطرق له صورة مخصوصة
فان الكاهن اذا سئل عن حادثة اخرج حصيات قد اعددها عنده فيطرق
بعضها ببعض فيلوح له حينئذ ما يعلم به جواب السؤال . وصورة الخط
ما نقله ابن الاعرابى قال يقعد الحاذى ويامر غلاما له بين يديه فيخط
خطوطاً على رمل او تراب ويكون ذلك منه فى خفة وعجلة كي لا يدركها
العد والاحصاء ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول . ابني
حيان . امرعا البيان . فان كان آخر ما يبق منها خطين فهو آية
النجاح وان كان قد بقى خط واحد فهو علامة الخيبة والحرم . ورايت

في بعض كتب الادب ان راجزاً قال يصف جندياً وهو ضرب من الجراد
يحجل فيها مقلز الحجول * بغيا على شقيه كالمشكول
بخط لام الف موصول * والزاي والرايما تهايل

* خط يد المستطرق المسؤل *

اي بخط لام الف كخط يد الكاهن المسؤل منه التكهّن والمستطرق
الذي يتكهّن فاذا سئل عن الشيء خط في التراب ونظر . وقيل المستطرق
الكاهن الذي يطرق الحصى بعضه ببعض . وفي سنن ابى داود عن عطاء
ابن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله ومنا رجال
يخطون قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك . وهذا
يحتمل ان يكون معناه الزجر عنه اذ كان من بعده لا يوافق خطه ولا
ينال خطه من الصواب لان ذلك انما كان آية لذلك النبي ومجزة
له فليس لمن بعده ان يعاطاه طمعاً في نيله . وقد ذكر بعض المفسرين
في قوله تعالى او اثاره من علم ان المراد به هذا العلم وهو المشهور
اليوم بعلم الرمل . وكل ذلك من قبيل الكهانة قال ابن خلدون
في مقدمته « انا نجد في النوع الانساني اشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل
وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون
في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما
نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها وذلك مثل
العرافين والناظرين في الاجسام الشفاقة كالمرايا وطساس الماء والناظرين

في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع
وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والتوى وهذه كلها موجودة
في عالم الانسان لا يسع احداً جمودها ولا إنكارها . وكذلك المجانين
يبقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت
لاول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضات من المتصوفة
لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة . قال ونحن نتكلم
على هذه الادراكات كلها ونبتدى منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة
واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في النفس الانسانية كيف
تستعد لادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها . وذلك انها
ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات وانما تخرج
من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد
وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم
وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد اولاً بالقوة مستعدة
للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشوها ووجودها بالفعل
بمصاحبة البدن . وما يعودها بوجود مدركاتها المحسوسة عليها وما
تنزع من تلك الادراكات من المعاني الكلية فتتعقل الصور مرة بعد
اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل طوراً بالفعل فتم ذاتها
وتبقى النفس كالهوى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد
واحدة . ولذلك نجد الصبي في اول نشأته لا يقدر على الادراك الذي

لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرها وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم بعد . بل لم يتم لها انتزاع الكليات . ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بالآلات الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابدأ جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الادراك الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصية التي للانسان على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق . او بالرياضة مثل الصوفية . فلتفت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملاء الاعلى لما بين افقها وافقهم من الاتصال في الوجود وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها فيجلى فيها شئ من تلك الصور وتقتبس منها علومها . وربما رفعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما ادركت اما مجرداً او في قوالبه فتخبر به . هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي . قال وانرجع الى ما وعدنا به من بيان اصنافه فاما الناظرون في الاجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالخصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة

فيه في اصل خلقهم لان الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير مماانة وهؤلاء يمانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها واشرفها البصر فيمكنف على المرتى البسيط حتى يبدو له مدركه الذي يخبر به عنه وربما يظن ان مشاهدة هؤلاء لما يرونه هو في سطح المرآة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرآة حجاب كأنه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشربون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفى او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما دركوه . واما المرآة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات واكبادها وللناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك . قال وقد شاهدنا من هؤلاء من يشغل الحس بالجور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما ادرك . ويزعمون انهم يرون الصور متشخصة في الهوائ تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثل والاشارة وغيبة هؤلاء عن الحس اخف من الاولين والعالم ابو الغرائب . ثم ذكر الزجر وسبب تكلم المجانين باخبار القيب . ثم قال واما العرافون منهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال . فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه

من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة هذا تحصيل هذه الامور . قال وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فاصادف تحقيقاً ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله . ثم ذكر ما للعرب في ذلك من الاعتناء والاعتبار والمشاهير منهم في معرفة هذه الامور وحقيقة ما يصدر من المتصوفة مما يطول ذكره .

(ومن علومهم علم الطب)

كان للعرب حفظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثا عن مشايخ الحى وعجائزه وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج بمقايير وادوية من نباتات واغذية يحصل لغالبهم البرء العاجل باستعمالها . وفي عرب البوادي اليوم كثير من ذلك وقد سمعنا عنهم في هذا الباب عجائب نقلها من شاهدها منهم من الثقة وكذلك في معالجة الجروح والعمائم . وقسم منهم يعالجون ادوائهم بالكي فيحصل لهم البرء مما يشكون باقل زمان وايسر وقت . وكذلك لهم العلم التام في معالجة الدواب من الخيل والبقال والحمر والابل ونحو ذلك ومعرفة تربيتها على احسن وجه مما لا يبلغهم به غيرهم كل ذلك مشهور عنهم مسلم لهم وقد دون المتقدمون كل ما بلغهم عنهم من هذه الفنون بكتب

كثيرة . وقد كان في الجاهلية من العرب اطباء موسومون بالحذاقة موصوفون بالرياسة في الفن غير من كان منهم في اليمن وعند التبابعة فان هؤلاء لا يمكن حصرهم . وشأن لقمان وما بلغه من الحذاقة امر مشهور . وكلامنا فيمن كان قبيل الاسلام بين مضر ومن جاورهم . ونحن نذكر ان شاء الله نبذة منهم ومن اخبارهم وجلا من كلامهم في هذا الفن مما يكون انموذجا ودليلا واضحاً على من تردد في ذلك واستبعده وفضل الله تعالى ليس مقصوداً على احد .

(مشاهير اطباء العرب منهم الحارث بن كلدة الثقفي)

قال ابن ابي عمير في كتابه عيون الانباء . في طبقات الاطباء . كان الحارث هذا من الطوائف وسافر الى البلاد وتعلم الطب وعرف الداء والدواء وكان يضرب بالعود تعلم ذلك بفارس واليمن وبقي ايام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايام ابي بكر وعمر وعثمان وعلى ابن ابي طالب ومعاوية وقال له معاوية ما للطب يا حارث فقال الازم يعني الجوع ذكر ذلك ابن جليل . وقال الجوهري في الصحاح الازم المسك يقال ازم الرجل عن الشيء امسك عنه . وقال ابو زيد الازم الذي ضم شفتيه في الحديث . وقد سأل عمر رضي الله تعالى عنه الحارث ابن كلدة عن الداء فقال الازم يعني الحمية قال وكان طيب العرب . ويروى عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه انه مرض بمكة مرضاً فماده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ادعوا له الحارث

ابن كادة فانه رجل يتطبيب فلما عاده الحارث نظر اليه وقال ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة بشى من تمر عجوة وحلبة يطبخان . فحساها فبرى . وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره من ذلك انه لما وفد على كسرى انوشروان اذن له بالدخول عليه فلما وقف بين يديه منتصباً قال له من انت قال انا الحارث بن كادة الثقفي قال فما صناعتك قال الطب . قال اعرابى انت قال نعم من صميمها وبجوحة دارها . قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء اغذيتها . قال ايها الملك اذا كانت هذه صفتها كانت احوج الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس ابدانها ويعدل امشاجها . فان العاقل يعرف ذلك من نفسه . قال كسرى فكيف تعرف ما تورده عليها ولو عرفت الحلم لم تنسب الى الجهل . قال الطفل يناغى فيداوى . والحية ترقى فقماوى . ثم قال ايها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته اصاب وخص بها قوم وزاد ففهم مثر ومعدم . وجاهل وعالم . وعاجز وحازم . وذلك تقدير العزيز العليم . فاعجب كسرى من كلامه ثم قال فما الذى تحمد من اخلاقها ويعجبك من مذاهبها وسجاياها . قال الحارث ايها الملك ايها النفس سخية . وقلوب جرية . ولغة فصيحة والسن بليغة . وانساب صحيحة . واحساب شريفة . يمرق من افواههم

الكلام . مروق السهم من نبعة الرام . اعذب من هو آء الربيع . والين
من سلسبيل المعين . مطعموا الطعام فى الجذب . وضاربوا الهام فى الحرب .
لا يرام عزهم . ولا يضام جارهم . ولا يستباح حريمهم . ولا يذل
كريمهم . ولا يقرون بفضل للانام . الا للملك الهمام . الذى لا يقاس
به احد . ولا يوازيه سوقة ولا ملك . قال فاستوى كسرى جالسا
وجرى ماء رياضة الحلم فى وجهه لما سمع من محكم كلامه . وقال لجلسائه
انى وجدته راجحا . ولقومه مادحا . وبفضيلتهم ناطقا . وبما يورده
من لفظه صادقا . وكذا العاقل من احكمته التجارب . ثم امره بالجلوس
فجلس فقال كيف بصرك بالطب قال ناهيك قال فما اصل الطب قال
الازم قال فما الازم قال ضبط الشفتين . والرفق باليدين . قال اصبت .
قال فما الداء الدوى قال ادخال الطعام على الطعام هو الذى يفتى
البرية . ويهلك السباع فى جوف البرية . قال فما الجمرة التى تصطم
منها الادواء قال هى التخمة ان بقيت فى الجوف قتلت . وان تحللت
اسقمت . قال صدقت . قال فما تقول فى الحجامة قال فى نقصان الهلال
فى يوم صحو لا غيم فيه . والنفس طيبة . والعروق ساكنة . لسرور يفاجئك .
وهم يباعدك . قال فما تقول فى دخول الحمام قال لا تدخله شعبانا .
ولا تغش اهلك سكرانا . ولا تقم بالليل عربانا . ولا تقعد على
الطعام غضبانا . وارفق بنفسك ارخى لبالك . وقلل من طعامك
يكن اهنأ لنومك . قال فما تقول فى الدواء . قال ما لزمك الصحة

فاجتنبه فان هاج دآء فاحسسه بما يردعه قيل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت. وان تركها خربت. قال فما تقول في الشراب قال اطيعيه اهناه. وارقه امراه. واعذبه اشهاء. لا تشربه صرفا فيورثك صداعا. ويشير عليك من الادوآء انواعا. قال فاي اللحمان افضل قال الضأن الفتي. والقديد المالح مهلك للآكل. واجتنب لحم الجزور والبقر. قال فما تقول في الفواكه قال كلها في اقبالها وحين او انما و اتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها. وافضل الفواكه الرمان والاترج. وافضل الرياحين الورد والبنفسج وافضل البقول الهندباء والحس. قال فما تقول في شرب الماء قال هو حيوة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة وشربه بعد النوم ضرر. افضله امراه. وارقه اصفاء. ومن عظام انهار البارد الزلال لم يختلط بماء الاجام والاكام ينزل من صرادح المسطان ويتسلسل عن الرضراض وعظام الحصى في الارتفاع. قال فما طعمه قال لا يؤهم له طعم الا انه مشتق من الحيوة. قال فما لونه قال اشتبه على الابصار لونه لانه يحكى لون كل شئ يكون فيه. قال اخبرني عن اصل الانسان ماهو. قال اصله من حيث شرب الماء يعني رأسه. قال فما هذا النور الذي في العينين. قال مركب من ثلاثة اشياء فالبياض شحم والسواد ماء والناظر ريج. قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن. قال على اربع طبائع المرة السوداء وهي باردة يابسة والمرة الصفراء وهي حارة يابسة والدم وهو حار

رطب والبالغ وهو بارد رطب. قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق
 من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك. قال فمن
 طبيعتين لو كان اقتصر عليهما. قال لم يحجز لانهما ضدان يقتلان. قال
 فمن ثلاث قال لم يصلح موافقان ومخالف. فالاربع هو الاعتدال
 والقيام. قال فاجل لي الحار والبارد في احرف جامعة. قال كل
 حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفي
 المر حار وبارد. قال فافضل ما عولج به المرة الصفراء قال كل بارد
 لين. قال فالمرة السوداء قال كل حار لين. قال فالبلغم قال كل حار يابس.
 قال فالدم قال اخراجه اذا زاد وتطفئه اذا سخن بالاشياء الباردة
 اليابسة. قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة. قال
 افتأمر بالحقنة قال نعم قرأت في بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقي
 الجوف وتكسح الادواء عنه والمحب لمن احتقن كيف يهرم او يعدم
 الولد. وان الجهل كل الجهل من اكل ما قد عرف مضرته ويؤثر شهوته
 على راحة بدنه. قال فما الحمية قال الاقتصاد في كل شئ فان الاكل
 فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها. قال فما تقول
 في النساء واتيانهن. قال كثرة غشيانهن ردي واياك واتيانه المرأة
 المسنة فانها كالشن البالي تجذب قوتك وتسقم بدنك. ماؤها سم
 قاتل. ونفسها موت عاجل. تاخذ منك الكل ولا تعطيك البعض.
 والشابة ماؤها عذب زلال. وعناقها غنج ودلال. فوها بارد. وريقها

عذب . وريحها طيب . وهنها ضيق . تزيدك قوة الى قوتك . ونشاطاً الى نشاطك . قال فايهن القلب اليها اميل : والعين برؤيتها اسر . قال اذا اصبته المديدة القامة . العظيمة الهامة . واسعة الجبين . اقناة العينين . كحلاء لعماء صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر . في خدها رقة . وفي شفتيها لعل . مقرونة الحاجبين . ناهدة الثديين . لطيفة الخصر والقدمين . بيضاء فرعاء جمدة غضة بضة تحالها في الظلة بدرأ زاهراً . تبسم عن الحوان . وعن مبسم كالارجوان . كأنها بيضة مكنونة . ابن من الزبد . واحلى من الشهد . وانزه من الفردوس والخلد . وازكى ريحاً من الياسمين والورد . تفرح بقربها . وتسرك الحلوة معها . قال فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه . قال ففي اى الاوقات اتيانهن افضل . قال عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى والنفس اهدى والقلب اشهى والرحم ادفى . فان اردت الاستمتاع بها نهائراً تسرح عينك في جمال وجهها . ويحتنى فوك من ثمرات حسننها . ويبى سمك من حلاوة لفظها . وتسكن الجوارح كلها اليها . قال كسرى لله درك من اعراىي لقد اعطيت علماً . وخصصت فطنة وفهماً . واحسن صلته وامر بتدوين ما نطق به (وقال الواثق بالله) في كتابه المسمى بالبستان ان الحارث ابن كلدة مرّ بقوم وهم في الشمس فقال عليكم بالظل فان الشمس تهيج الثوب وتنقل الزيج وتشعب اللون وتهيج الداء الدفين . ومن كلام الحارث البطنة بيت الداء . والحمية رأس الدواء . وعودوا كل بدن

ما اعتاد . وقيل هو من كلام عبد الملك بن ابجر . وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واوله المعدة بيت الدآء وهو ابلغ من لفظ البطنة . وروى عن امير المؤمنين على ابن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليجود الغذآء . وليتخش بعد العشاء . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء . ودخول الحمام على البطنة من شر الدآء . ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء . واكل القديد اليابس في الليل معين على الفناء . ومجاعة الجوز تهدم اعمار الاحياء . وروى بعض هذه الكلمات عن الحارث بن كلدة وفيها من سره النساء ولانساء . فليكر العشاء . وليباكر الغذآء . وليخفف الردآء . وليقل غشيان النساء . ومعنى فليكر فايؤخر والمراد بالردآء الدين وسمى الدين ردآء لقولهم هو في عنقي وفي ذمتي فلما كانت العنق موضع الردآء سمي الدين ردآء . وقد روى من طريق آخر وفيه تهجيل العشاء وهو اصح . وروى ابو عوانة وليجمل العشاء ويخفف الردآء وليقل الجماع . وروى حرب ابن محمد قال حدثنا ابى قال قال الحارث بن كلدة اربعة اشياء تهدم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء واكل القديد ومجاعة الجوز . وروى داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال لما احتضر الحارث بن كلدة اجتمع اليه الناس فقالوا امرنا بما امرت انتهى اليه من بعدك قال لا تزوجوا من النساء الا شابة ولا تأكلوا الفاكهة

الا في اوان نضجها ولا يتعاجلن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم
بالنورة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم مهلكة للحمرة منبئة للحم واذا تغذى
احدكم فايتم على اثر غذائه . واذا تعشى فليخط اربعين خطوة .
ومن كلام الحارث ايضا قال دافع بالدواء ما وجدت مدفعا ولا تشربه
الا من ضرورة فانه لا يصلح شيئا الا افسد مثله . وقال سليمان بن
جلجل اخبرنا الحسن بن الحسين قال اخبرنا سعيد بن الاموى قال
اخبرنا عمي محمد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير قال كان اخوان
من ثقيف من بني كنة يتحaban لم يرقط احسن الفة منهما فخرج الاكبر
الى سفر فاوصى الاصغر بامرأته فوقت عينه عليها يوما غير معتمد
لذلك فهو اها وضنى وقدم اخوه فجاءه بالاطباء فلم يعرفوا ما به الى
ان جاءه بالحارث بن كلدة فقال ارى عينين محجبتين وما ادرى ما هذا
الوجع وسأجرب فاسقوه نبيذا فلما عمل النبيذ فيه قال .

الا رققا الا رققا * قليلا ما كونه

الما بي الى الايا * ت بالخيف ازهره

غزالا مارأيت ال * يوم في دور بني كنه

اسيل الخد مربوب * وفي منطق غنه

فقالوا له انت اطب العرب ثم قال ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال .

ايها الجيرة اسلموا * وقفوا كي تكلموا

وتقضوا لبانة * ونحيوا وتنعموا

خرجت مزنة من ال * بحر ريا تحمحموا
 هي ماكنتي وتز * عم انى لها حم
 فطلقها اخوه ثم قال تزوج بها يا اخى فقال والله ما تزوجتها ففات
 وما تزوجها . وللحارث بن كلدة الثقفى من الكتب كتاب المحاورة
 فى الطب بينه وبين كسرى انوشروان .

(ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة الثقفى)

كان النضر ابن خالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان قد سافر
 البلاد ايضاً كايه واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر
 الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة
 القدر واطلع على علوم الفلاسفة واجزآء الحكمة وتعلم من ابيه ايضاً
 ما كان يعلمه من الطب وغيره . وكان النضر يواتى ابا سفيان فى عداوة
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه كان ثقفياً كما قال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم قريش والانصار حليفان . وبنو امية وثقيف
 حليفان . وكان النضر كثير الاذى والحسد للنبي صلى الله تعالى عايه
 وسلم ويتكلم فيه باشياء كثيرة كيما يحط من قدره عند اهل مكة
 ويبطل ما اتى به بزعمه . ولم يعلم بشقاوته ان النبوة اعظم . والسعادة اقدر .
 والعناية الالهية اجل . والامور المقدرة اثبت . وانما النضر اعتقد انه
 بمعلوماته وفضائله وحكمته يقاوم النبوة واين الثرى من الثريا
 والحضيض من الاوج والشقى من السعيد .

ولما كان يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركوا قريش كان المقدم على المشركين ابا سفيان وعدتهم مابين التسعمائة والالف والمسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر وايد الله تعالى الاسلام . ونصر نبيه عليه الصلوة والسلام ووقعت الكسرة على المشركين وقتلت في جملتهم صناديد قريش واسر جماعة من المشركين فبعضهم استفكوا انفسهم وبعضهم امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم . وكان من جملة المأسورين عقبة ابن ابي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة فقتلها عليهما عليه الصلوة والسلام بعد منصرفه من بدر . قيل قتل عقبة ابن ابي معيط صبراً امر عاصم بن ثابت ابن ابي الالفح الانصارى فضرب عنقه . ثم اقبل من بدر حتى اذا كان بالصفراء قتل النضر بن الحارث ابن كلدة الثقفي احد بني عبد الدار امر على ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان يضرب عنقه فقالت اخته قتيلة بنت الحارث .

ايا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق
بلغ به ميتا فان نجية * ما ان تزال به الركائب تخفق
منى اليه وعبرة مسفوحة * جادت بدورها واخرى تخفق
فايسمعن النضر نادية * ان كان يسمع ميت او ينطق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه * لله ارحام هناك تمزق
صبراً يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو حان موثق
احمد ولانت نسل نجية * في قومها والفحل فحل معرق

ماكان ضرك لومنت وربما * من الفقى وهو المغيظ المحنق
والنضرا قرب من اخذت بزلة * واحقهم ان كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لفديته * باعز ما يفسدى به من ينفق
قال ابو الفرج الاصبهاني فبلغنا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لو سمعت هذا قبل ان اقله ماقلته فيقال ان شعرها اكرم
شعر واعفه واكفه واحمله . وكأنه عليه الصلوة والسلام انما اخر
قل النضر بن الحارث الى ان وصل الصفراء ليتروى فيه . ثم انه
رأى الصواب قتله فقتله .

(ومنهم ابن حذيم من تيم الرباب)

كان ابن حذيم له قدم راسخة في علم الطب وله فيه اطول باع .
قال الزمخشري في المستقصى ابن حذيم رجل كان من اطباء العرب
وقال ابو الندى ابن حذيم رجل من تيم الرباب كان اطب العرب
وكان اطب من الحارث بن كادة . وقال ابن الاثير في المرصع ابن حذيم
شاعر في قديم الدهر يقال انه كان طبيباً حاذقاً يضرب به المثل في الطب
فيقال اطب في الكي من ابن حذيم . وقال الميداني عند قولهم اطب
من حذيم هذا رجل كان معروفاً بالحدق في الطب . ونقل ما ذكره ابو
الندى من تفضيله على ابن كادة وتقدمه . واهل اللغة على ذلك .
وقد ذكره الشعراء في شعرهم ونوهموا بشأنه . ومنهم الاوس بن
حجر فانه ذكره في ابيات قالها ابني الحارث بن سدوس بن شيان وهم

اهل القرية باليامة حيث اقتسموا معزاه وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو
سحيم وكان اوس بن حجر اغرى عليهم عمرو بن المنذر بن ماء السماء
ثم جاور فيهم فاقتسموا معزاه . ومن الابيات قوله .

فهل لكم فيها الى فاتى * طيب بما عيا النطاسى حذيم
فاخرجكم من ثوب شطاء عارك * مشهورة بلبت اسافله دما
ولو كان جار منكم في عشيرتى * اذا لراوا للجار حقاً ومحرم
ولو كان حولى من تميم عصابة * لما كان مالى فيكم متقسماً
الا تنقون الله اذ تلغفونها * رضىخ النوى والعض حولاً مجرماً
واعجبكم فيها اغر مشهر * تلاد اذا نام الريض تغمغماً
قوله فهل لكم فيها الخ قال المفضل بن سلمة في الفاخر وابن الانبارى
في الزاهر الطب الفطنة والحذق ومنه سمى الطيب لعله وحذقه وانشد
هذا البيت . واعياه الشئ اذا لم يهتد لوجهه . والنطاسى بكسر النون
قال ابن السكيت العالم الشديد النظر في الامور . قال ابو عبيد ويروى
النطاسى بفتح النون قال الجوهرى التنطس المبالغة في التطهر . وكل
من ادق النظر في الامور واستقصى علمها فهو متنتس ومنه قيل
للمتطبب نطيس كفسيق ونطاسى بكسر النون وفتحها اى اتى طيب
حاذق بالآء الذى اعجز الاطباء في مداواته وعلاجه وضمير فيها للمعزى
وفيه حذف مضاف اى فهل لكم ميل فى رد المعزى الى . وقوله
فهل لكم فى ثوب شطاء الخ . الشطاء المرأة التى فى رأسها شط بالتحريك

وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد والرجل اشمط. والعارك الحائض
والشهرة وضوح الامر. يقول هل لكم في رد معزاي فاخرجكم
من سبة شعاء تلطخ اعراضكم وتدنسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم
فاغسله عنكم. وهذا مثل ضربه. وقوله الا تتقون الله الخ. يقول
لولا انك سرقتها لاي شئ تعلقها يقول فردها ولا تعلقها. والرضيخ
بالضاد والحاء المجمعين الدقوق يقال رضخت الحصى والنوى كسرتة
والعض بضم العين المهملة وتشديد الضاد المجمة. قال ابن السكيت
هو القت. وقال الجوهري علف اهل الامصار مثل الكسب والنوى
المرضوخ والمجرم بالجيم على وزن اسم المفعول التام والكامل. وقوله
واعجبكم فيها اغرا الخ. قال ابن السكيت الاغرا الابيض والتلاد القديم
من المال والرييض ههنا الغنم. وقوله نغمغما يعني هذا الاغرا والغمغمة
هبابه اي لاينام وانما يعرض بهم ويفترى عليهم. وقد ذكر ابن اصبعة
كثيراً من اطباء العرب في كتابه الطبقات.

(نبذة من اسماء العلل التي وصفها العرب)

من تصفح كتب اللغة وجد فيها كثيراً من العلل التي وصفها
قدماء العرب ووضعوا لها الاسماء الكثيرة. ونحن نذكر هنا نبذة يسيرة
من ذلك استدلالاً بها على ما كان للقوم من المعرفة بهذا الفن الحمي
وتكنى بام ملدم وهي الحرارة التي توجد من تعفن الاخلاط تقول
حم حمى واحدة فلا تنون حمى وهو محوم وحم حيين وثلاثا والحمى

انواع كثيرة يقال فلان يحم الغب اذا اخذته يوما وتركته يوما. والربع ان تأخذه يوما وتدعه يومين يقال ربع فهو مربع وقد يقال اربع حول الى الربع . ومنهم من قال حمى الربع هي التي تقطع النوبة الثانية بعد النوبة الاولى بيومين فتكون في اليوم الرابع. ومن عد يوم النوبة ويوم الراحة دوراً مستقلاً سماها الثلاثة . ويحم الصالب للتي معها الصداع . والنافض والراجف التي معها رعدة وقد نفضته الحمى . ويحم حمى مغبطة ومردمة اي دائمة عليه لا تقلع . وتسمى الحمى المطبقة ايضاً . ومن انواعها حمى الروح وحمى الدق « السبات » ان يغمى عليه في الحمى وهو مغمى عليه ومغشى عليه فان كان مع الحمى برسام فهو موم . والوعك الحمى . وقد وعك فهو موعوك وورد فهو مورود والورد يومها والقلد يوم يأتيه الربع وقد غبت الحمى . وفلان شاك وبه شكاة وموصم يجد تكسيراً في عظامه ووصب وجع ومنهوك براء المرض ومثبت لا يبرح القرائش ونصب اسهره المرض والمستهاض الذي ينكس بعد ما يبرأ . واول ما يحس بالحمى فهو مسها ورسها فان كانت هناك قررة فهي العروآء والعرق فيها الرخصاء ووجد رمضة ومليلة للحرقة والتكسير « ومن العلل البرقان » وهو دآء يصفر الانسان « والصداع » وجع الرأس « والشقيقة » وجع في شقه « والسعال » وجع في الصدر « والزكام » وهو اندفاع فضلات نحلها من الزائدين فهو اخص من التزلة لكونها تقال على ما اندفع مطلقاً

« الزحير » وهو من امراض المعاء وهو حركة من المستقيم تدعو الى دفع البراز اضطراراً « الحصر » احتباس البطن « الاسر » احتباس البول « الحصى » يقال به حصة وهي كالبحر في مجرى البول « الحكة » تغير سطح الجلد في اللمس مع لدغ مستلذ اذا حك . ومنهم من لم يفرق بينها وبين الجرب « الحصف » بثور شوكة مختلفة الاوضاع « الحصبة » داء كالجدري يحمر منه الجلد « الحمرة » ورم حار شفاف براق يسهل غمزه ويبيض به ثم يعود « الجدري » وهو من الامراض العامة الوبائية وصورته نتوء يستدير غالباً ثم يطفو ومنه ما يتصل وما ينفصل « الثرى » بثر بين الجلد واللحم يقال ثرى ثرى « الحماق » شئ كالجدري يصيب الرجل وحق اصابته الحمقاء « القوباء » بثرة يتقوب عنها الجلد اى ينقطع من اصله « والتؤلؤل » ما يخرج فوق الجلد ولا يبرأ بسرعة وجمه نأيل « والجرب » وهو من الامراض العامة الظاهرة في سطح الجلد « والعر » الجرب الابيض « والجذام » داء معلوم وهو من الجذم وهو القلع سمي بذلك لانه يقطع الاعضاء والنسل والعمر ويسمى ايضاً داء الاسد لجملة سحنة الانسان كسحنة الاسد اولانه يعتريه او يفترس البدن كافتراسه « وداء الثعلب » وهو نقص الشعر او ذهابه وفساد منابته ويسمى ايضاً داء الحية وسمى بذلك لانه يعتري هذين الحيوانين اولان الثعلب يفسد الزرع بتمرغه كما يفسد هذا الداء الشعر الذى هو زرع البدن « داء الفيل » هو داء يعتري الرجلين

فترمان من الركبة الى النهاية وسمى بذلك لانه يعترى الفيل اولشبهه
الرجل فيه برجله « الدوار » وهو ان يتخيل الشخص انه دأثر بجملة
اجزائه اوان المكان دأثر عليه « الوباء » وهو تغير يعرض للهواء
يخرج به عن اعتدال الصحة الى ايجاب المرض « الهیضة » وتسمى الفضيحة
وهي من ادواء البطن وهو ما يستوجب القي والاسهال . قال الجوهري
يقال هاضني الشيء اذا ردك في مرضك ويقال بالرجل هيضة اي به
قيام وقيام جميعاً « النخلة » وهي بثور صفار مع ورم يسير ثم تنقرح
فتسمى وتتسع ويسمى الاطباء الذباب وتقول المجوس ان ولد الرجل
اذا كان من اخته ثم خط على النخلة شفى صاحبها . وقال .

ولا عيب فينا غير صرق لمعشر * كرام وانا لا نخط على النخل
والنخلة ايضاً عيب من عيوب الخيل وهو شق في الحافر من الاشعر الى
المقط وفرس نمل القوائم اذا كان لا يستقر « الجنون » داء يستوجب زوال
العقل او استناره بحيث ينقص او يعدم التمييز او الشعور وهو اما مطبق
او منقطع اما بادوار معلومة اولا « البيضة » من انواع الصداع وهي باعم
في قول او خص وسط الراس « الحدر والفالج والافلاج » وهي متقاربة
معلومة « البثور » واحدها بثرة وهي عبارة عن تأكل الجلد او نتوه على
اوضاع مخصوصة « الحزاز » من امراض الرأس الظاهرة وهي خشونة
منفصلة تنسلخ قشوراً كالنخالة . وقد يطلق هذا الاسم على القوابي
« الحدية » خروج بعض فقرات الظهر عن السمات الطبيعي بخلط ونحوه

فتبرز « الطرش » وهو نقص السمع اوزواله وكذلك الصمم « الطلق »
هو تغير المزاج عند ارادة الوضع « الجشاء » وهو من امراض المعدة عند
فساد حالة من حالاتها « الباسور » زيادات غير طبيعية جذبتها القوى
الضعيفة على غير وجه طبيعي نحو الاغوار الباطنة كبطن الانف
والرحم والمقعدة وكثيراً ما يطلق فيراد به باسور المقعدة ويقيد غيره
« والناسور » عرق يتفتق منه قرح دائم « البهق » وهو آء كالبرص ويسمى
الاسود منه عند كثير القوابي والحزازة والتعطيش ويسمى الابيض منه
الوضع . وفي المبادئ وبه بهق بياض كالنكتة غير ناصع « والبرص » اذا
تقشرت جلده ونصع بياضه فاذا كان هناك وضع كالبرص قيل به برص .
وقدر البرص بانه تغير اللون الى بياض اوسواد غير طبيعيين « النكف »
كدرة تعلو الوجه « النفس والمنص » وجع في الامعاء وتقطع
« والذبحة » الحثاق وهي من تبغ الدم اي هيجانه وغلبته « الاستسقاء »
وهو من امراض الكبد او الطحال وهو اسم لما خبت من الخلط
« الاغماء » وهو من امراض الباطن ويكون عاما وخاصا وحقيقته
عجز البدن او العضو عن فعل ما من شأنه فعلة ككلالة بواسطة ما نصب
اليه « الاختلاج » وهو حركة العضو والبدن غير ارادية تكون عن فاعل
هو البخار ومادى هو الغذاء المبخر وصورى هو الاجتماع وغاذى
هو الاندفاع « البخر » هو تغير رائحة الفم او البدن بسبب تعفن الخلط
« والفواق » هو الذى يأخذ الانسان عند التزع . وكذلك الريح

التي تشخص من صدره « والثوباء » نفس تفتح له فاك مع تمط وفترة
« والجشاة » نفس من الصدر على شيع اورى « والقاس » دسعة
تخرج من الحلق عند الامتلاء . الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه
وكانوا يعالجون هذه الادواء ونحوها بعقاقير جربوها اوبكى اورقية.
وفي كتاب زاد المعاد والدآء والدواء تفصيل ذلك . والمقصود مما نقلناه
ان القوم لم يكونوا غافلين عن هذا العلم الجليل غير انهم لم يكونوا متقنين له
كل الاتقان . وذلك شأن كل من لم يتوغل في الحضارة وما تقتضيه . وفي
مقدمة ابن خلدون كلام مفيد على هذا الموضوع . والله الموفق لما يرضيه
(ومن علومهم علم الريافة)

وهو معرفة استنباط الماء من الارض بواسطة بعض الامارات
الدالة على وجوده فيعرف بعده وقربه بشم التراب اوبرائحة بعض
النباتات فيه او بحركة حيوان مخصوص وهو من فروع الفراسة .
وهي موجودة في بعض اعراب نجد . وقد اخبرني بعض الثقات انه
شاهد بعض هؤلاء قال يضع اذنه على الارض فيخبر بما يتبين له من وجود
الماء وعدمه وقربه وبعدة . فاذا حفروا وجدوا الامر كما وصف
ويسمى من له هذه المعرفة بين العرب اليوم بالنصات . ولا ينبغي لمن
لا استعداد له لهذه القوة ان ينكرها فان كل امة من الامم وكل قبيلة
من القبائل وكل فرد من الافراد مختص باشياء وهبت له ومن بها
عليه من العلوم والصنائع والمعرفة والاخلاق والسير والمحاسن

والقباث ونحن نرى الوفا من الناس يتماطون صنعة واحدة ويتدارسون علماً واحداً فلا يبرع منهم الا الواحد بعد الواحد وكل يفاض عليه على حسب استعداده .

(ومن علومهم علم الاهتداء في البرارى)

وهو علم يتعرف به احوال الامكنة من غير دلالة عليه بالامارات المحسوسة دلالة ظاهرة او خفية بقوة الشامة فقط لا يعرفها الا من تدرب فيها كالاستدلال برائحة التراب ومسامة الكواكب الثابتة ومنازل القمر اذ لكل بقعة رائحة مخصوصة ولكل كوكب سمت يهتدى به كما قال الله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر . وتنع هذا العلم عظيم بين والا لهلك القوافل وضلت الجيوش فضاعت فى البرارى والقفار . والعرب لوقوفهم على معرفة الكواكب والانواء ومهب الرياح وصفاتها ولوجانهم فى البرارى والقفار كانوا اعرف الناس بهذا العلم . ولا بد من اراد مثال لذلك ليعلم من وقف على هذا المقام كيفية اهتدائهم واستدلالهم . فمن اراد منهم ان يسافر الى مكة نظر الى ائت النجوم دلالة واقواها وهو القطب الشمالى لانه لا يزول عن مكانه ويمكن لكل احد معرفته لكن تختلف دلالاته باختلاف الاقاليم فبالعراق وما وراء النهر يجعله من قصد مكة من المسافرين خلف اذنه اليمنى وبمصر خلف اذنه اليسرى وبالبحرين قبالة مما يلي جانبه الايسر وبالشام ورائه وقيل يخرف بدمشق وما

قاربها الى الشرق قليلا. ثم بعد ذلك الجدى والفرقدان. والقطب نجم شمالي خفي حوله انجم دائرة كقراشة رحي او كسمكة في احد طرفيها الفرقدان وفي الطرف الاخر الجدى والقطب في وسط القراشة لا يبرح من مكانه دائماً ولا يراه الا حديد البصر في الليلة الظلماء ويستدل عليه بالجدى والفرقدين فانه بينهما والجدى هو الذي على طرف بنات نعش الصغرى فكواكب بنات نعش الصغرى سبعة. اربعة منها على شكل منحرف يسمى نعشاً والنيران منهما يسميان الفرقدين. وثلاثة على خط معوج تسمى بناتا وطرف الثلاثة النيران يسمى الجدى فالقطب فيما بين الجدى والفرقدين كما ذكرنا. ومما يستدل به من قصد الكعبة من العرب المجرة فانها تكون في الشتاء اول الليل في ناحية السماء ممتدة شرقا وغربا على الكتف الايسر من الانسان اذا كان متوجهاً الى المشرق ثم تصير في آخره ممتدة شرقا وغربا ايضا على كتفه الايمن. واما في الصيف فانها تتوسط السماء لكن دلائها اضعف من دلالة ما تقدم. والمجرة كواكب صفار متقاربة متشابهة كثيرة جداً لا تميز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصغرها صارت كأنها لطخات سحابية وقيل غير ذلك. ومما يستدل به على الكعبة ايضاً الشمس والقمر ومنازلهما الثمانية والعشرون وكذلك يستدل بما تقترن بهذه المنازل او يقاربها فانها كلها تطالع من مشرق وتغيب بمغرب. فالهلال يكون في اول الشهر الى ثلاثة عن يمين قاصد الكعبة عند غروب الشمس. وفي ثالث ليلة يكون

عند غروب الشمس امامه . وفي عاشر ليلة يكون على سمت الكعبة وقت
العشاء بعد مغيب الشفق الاحمر . وفي الليلة الثانية والعشرين يكون
على سمتها وقت طلوع الفجر وهذا كله على سبيل التقريب . وما
يستدل به الرياح ويمسر الاستدلال بها في الصحراء واما بين الجبال
والبيدان فتدور وتختلف فتبطل دلالتها . وما يستدل به على الكعبة
الجبال الكبار فكلها ممتدة عن مينة قاصدها الى ميسرتها ودلالاتها قوية
تدرك بالحس لكنها تضعف من حيث اشتباهها على ذلك القاصد
هل يجعل ممتدها خلفه او قدامه فحصل الدلالة على جهتين والاشتباه
على جهتين هذا اذا لم يعرف وجه الجبل فان عرفه استدبره لان
وجوهها للكعبة ووجه الجبل مافيه مصعده . الى غير ذلك من الدلائل
على كل جهة يقصدونها . وكان من لم يعرف الطرق من العرب معيياً
بينهم مذموما عندهم . كل ذلك تحرزاً عن غلبة خصومهم . وتطاول
الاعداء عليهم . والله الهادي الى سواء السبيل .

(علم العرب بادواء الخيل ودوائها وعيوبها ومحاسنها)

قد سبق منا كلام موجز في ذلك اواخر الجزء الثاني من هذا
الكتاب وحيث انا بصدد تعداد معارفهم وذكر علومهم الفطرية
اقتضى اعادة الكلام باسسط مما ذكرناه اولاً . اعلم ان العرب كانوا في معرفة
شؤون الخيل واحوالها بمنزلة لم يصل اليها غيرهم وربما بقيت هذه
المعرفة في افراد منهم الى اليوم جائلين في الفيافي والقلوات فيعرفون

ادوائها ودوائها معرفة حاذق متقن ولهم في ذلك قدم راسخة وباع طويل . وروت عنهم ثقة الرواة اخباراً طريفة تستلذها الاسماع . وقد جمع ماورد عنهم في هذا العلم وما شخوصه من ادواء الخيل وسائر ذوات الاربع مع وصف دوائها على اتم وجه وايينه .

وقد وجدت منه نسخة سقيمة الخط غير مأمونة من الغلط في خزانة كتب المدرسة الاحمدية احدى مدارس بغداد المحمية فامعنت النظر فيها والتقطت منها بعض الفرائد وغرر الفوائد . وفي هذا العلم كثير من التصانيف القديمة والحديثة . ومن احسنها وضعاً واتمها جمعاً . كتاب الخيل لابي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي رحمه الله تعالى فانه لم يهمل في كتابه هذا شيئاً مما يتعلق بالخيل وغيرها من الدواب . وقد ذكر طرفاً من عيوبها وما يستحب منها في بابين من ذلك الكتاب . ولعظم ما يترتب على هذين البابين من النفع للقارئين لخصتهما في هذا المقام رجاء المثوبة والفوز بالمغفرة .

(عيوب الخيل)

العيوب في الخيل لا تحصى بعد . ولا تعرف بحد . فان كل عضو من اعضائها من الممكن ان يعرض له ما يعبه او يحسنه . غير ان الذي ثبت عن العرب تسميته مائة عيب في جريها اربعة وعشرون . وفي خلقها ستة وخمسون وعشرون حادثة . فاما التي في جريها « فالطموح » وهو السامى ببصره صعداً فلا يبالي ابن وقعت قوائمه « والمنكس »

وهو الذى اذا جرى طأطأ رأسه من ضعف خلقته « والجروح »
 الصاب الرأس الذى يعتز فارسه على رأسه حتى يغلبه « والمعتزم »
 وهو الذى يجمع احيانا ويدع الجراح احيانا « والفرب » وهو المداد
 المتراعى الذى لا يورعه الكف حتى يبعد بفارسه « والشموس » هو الذى
 يمنع السرج والمس « والحرون » هو الذى اذ در جريه قام لاعن
 كلال « والبالح » اذا انقطع جريه ضعفا « والضغن » وهو الذى يتلكأ
 ويتوقف فى الحضر ويقصر عن الحران « والحفاش » وهو المستتب
 حضرا ثم يرجع القهقري « والرواغ » وهو الذى يجد فى حضره
 غير مستتب يمينا وشمالا « والفيوش » وهو الذى يظن به جرى
 وليس عنده شئ « والحيوص » وهو الذى يعدل يمينا وشمالا فى استقامة
 حضر « والمشتق » وهو الذى يدع طريقه ويعدل ثم يمضى على
 عدوله لا يروغ ولا يحيص « والشبوب » وهو الذى يقوم على رجله
 ويرفع يديه « والعاجر والمعاجر » وهو الذى يجر برجليه كقماص
 الحمار وهو ان يرفع برجليه ثم يضعهما معا « والعذوم والعضوض »
 وهو الذى يعض ما سيره « والشادخ » وهو الذى يعدل عن طريقه
 ولا يبالي ماركب « والجرور » وهو البطى اعياء وقطافا فيجر بالحبل
 « والمنعتل » وهو الذى يفرق بين قوائمه فاذا رفعها كأنما ينزعها
 من وحل يخفق برأسه ولا تتبعه رجلاه « والمجربذ » وهو الذى يقارب
 الخطو يقرب سنايكة من الارض ولا يرفعها رفعا شديدا . قال الشاعر

جربذت دونها يدالك وازرى * بك لؤم الالباء والاجداد
« والمشاغر » وهو ان تطمح قوائمه جميعاً متفرقة ويكون بعيد القدر
ولا ضبر له « والمتزاد » هو ان ينقص حضره من ابتداء ما يجري « والفاتر »
هو الذي عجز عن نفسه وفتر في حضره ولم تساعد قوائمه على ما يطلب
به نفسه « والمواكل » وهو الذي لا يسير الا بسير غيره وفيه وكال
« والخروط » وهو الذي ينخرط رسته عن رأسه « والرموح » وهو
الذي يرمح باحدى رجله « والضروح » وهو الذي يرمح بكليتهما . وهذه
الاربعة ليست من الباب وانما بعضها من سوء العادة وفساد الرياضة
(العيوب التي تكون خلقة في الخيل)

وهي ستة وخمسون عيباً « الاخدى » وهو المسترخى اصول
الاذنين على الحدين « والامر » وهو الذي ذهب شعر ناصيته حتى
لم يبق منه شيء « والاسنى » وهو الخفيف الناصية وهو محمود في البغال
« والاغم » وهو الذي تغطي الناصية عينيه « والاسعف » وهو الذي
في ناصيته بياض « والاحول » وهو الذي ابيض مؤخر عينيه وغار
السواد من قبل ماقيه « والازرق » الذي في احدى عينيه بياض
اوفيها « والاقنى » وهو الذي في انفه احديداً « والمغرب » وهو
الذي تبيض اشفار عينيه مع زرقها « والادن » وهو الذي اطمأن
عنقه من اصله « والاهنع » وهو الذي اطمأن عنقه من وسطها
« والاقصر » وهو الذي في عنقه قصر ويدس معطف « والاكتف »

وهو الذى فى اعلى ككتفيه انفراج وانكشاف « والازور » وهو
ان تدخل احدى فهدتى صدره وتخرج الاخرى « والاقص » وهو
المطمئن الصلب من الصهوة المرتفع القطاة والحارك « والابزخ » وهو
المطمئن الصلب والقطاة « والمخطف » وهو الذى لحق ما خلف
محزمه من بطنه « والاهضم » وهو المستقيم الضلوع الذى دخل اعاليه
« والصقل » وهو الطويل الصقلة « والانجل » وهو الذى خرجت
خاصرته ورق صفاقه وهو جلد البطن « والافرق » وهو الذى
اشرفت احدى وركيه على الاخرى « والارسخ » وهو القليل لحم
الصلا وهو ما سهل من جانب الورك « والاعصل » وهو الملتوى
عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لا شعر عليه « والاكشف »
وهو الذى التوى عسيب ذنبه حتى يصير على احدى كاذبيه وهما لحم
اعالى الوركين « والاصبغ » وهو المبيض الذنب « والاشعل » وهو
الذى فى عرض ذنبه بياض « والاشرج » وهو ذو بيضة واحدة
« والافحج » وهو الذى تباعد كعباه « والابد » وهو الذى تباعدت
يداه « والاصك » وهو الذى يصطك كعباه اذا مشى « والاحل »
المنسج النساء الرخو الكعب « والاقفد » وهو المنتصب الرسغ المقبل
على الحافر وهو فى الرجل خاصة « والاصدف » وهو الذى تدانى
ذراعا وتباعد حافراه فى التواء الرسفين « والموجه » وهو الذى
به قليل صدف قدر ما يشك فيه « والاقدر » وهو الملتوى الرسغ

من عرضه الوحش " والاقسط " وهو الذي رجلاه منتصبتان غير
مخنيتين " والامدش " وهو المصطاك بواطن الرسفين من شدة القدح
" والاحنف " وهو الملتوى الحافرين يقبل كل واحد منهما على
صاحبه في التواء الرسفين " والمتاقف " وهو الذي يخبط بيده
في استقامة لا يقبلها نحو بطنه " والارجز " وهو المضطرب الرجل
والكفل فاذا قام اضطربت فخذه " والشخت " القليل اللحم اللحمش
العظام " والرطل " وهو الضعيف الحفيف " والمكبون " وهو القصير
الدوارج اى القوائم القريب من الارض الرحيب الجوف " والعش "
وهو الضاحى العظام اى ظاهرها لقلة لحمه " والسفل " وهو الصغير
الجسم . قال سلامة يصف فرساً .

ليس باسفى ولا اقنى ولا سفل * يعطى دوآء فى السكن مرهوب
" والجاب " وهو القصير الغليظ . قال ابو دؤاد .

اسيل سلجم المقبل * لاشخت ولا جاب

" والملاوح " وهو الصغير السريع العطش " والصلود " وهو البطى
الغرق " والضاوى " وهو الذى اضواء ابواه " والمقرف " وهو الذى
امه عتيقة وابوه غير عتيق " والمهجين " وهو الذى ابوه عتيق وامه
ليست كذلك " والمحمق " وهو الذى لا ينتج منه الا احق " والكوسى "
وهو الذى اذا جرى نكس فى اقراف كالجمار " والجاسى " وهو الذى
ترى معاقده وفقار ظهره وعنقه فى تمكه وتمرغه جاسية غير لينة .

(العيوب الحادثة في الخيل)

وهي على ماسبق عشرون « الانتشار » وهو انتفاخ المصعب
 للاتعاب حتى تنفتق وشائج « والشظي » وهو تحرك العظم اللاصق
 بالركبة « والفتوق » وتسميه العامة اليض وهو انفتاق من المصعب
 على الاوظفة ويشدها كالمسامير عليها « والدخس » وهو ورم في اطراف
 الحافر « والزوائد » اطراف عصب تفرق عند الحماية « والعرن »
 جسوء ويبس في رسع الرجل خاصة لشقاق او مشقة فيرم « والشقاق »
 تبزل يصيبه في ارساغه وربما ارتفع الى اوظفته ويسمى الحلاوة
 « والجرد » ما حدث في عرض عرقوبه ظاهراً وباطناً من تزيد وانتفاخ
 عصب ويكون مع المفصل طولا كاللوزة « والملح » انفتاق من العصب
 اسفل العرقوب لمادة تنصب اليه كالبلوطة « والقمع » عظم قمة
 العرقوب « والمشش » وهو كل ما شخص في الوظيف وله حجم وليست
 له صلابة العظم « والارتماش » وهو ان يصك بعرض حافره عرض
 عجايته من اليد الاخرى وربما ادماها وذلك لضعف يصيب يده
 « والرهصة » وهو ماء يصير في الحافر « والوجي » وهو ما يصيب الحافر
 من الخشونة والحجارة تأكله « والرقق » وهو ضعف ورقة في الحافر
 « والغلة » وهو شق في الحافر من الاشعر الى طرف السنبك « والسرطان »
 وهو داء يأخذ في الرسع فييبس عروقه حتى يقلب حافره « والعزل »
 وهو ان يمزل ذنبه في شق عادة « والحقاق » صوت من ظبية الاثني

« والجبر » وهو ان تكون الرهابة غير ملتزمة فيعظم ما والاها من جلد
السرة « والرهابة » عظم مشرف على البطن .

(محاسن الخيل وما يستحب فيها من الخلق)

مما يستحب فيها الاذن المؤلة . والناصية المعتدلة التي ليست
بسفوء ولا غمء . والجهة الواسعة . والعين الطامحة السامية . والخذ
الاسيل . ورحب المنخرين . وهرت الشدقين . وقود العنق . ولينها
حتى لا تكون جاسية . ورقة الجحفلتين . وارتفاع الكتفين . والحارك
والكاهل . ويستحب ان يشتد مركب عنقه في كاهله لانه يتساند اليه اذا
احضر . وعرض الصدر . وضيق الزور . وارتفاع اللبان . وان
يشتد حقه لانه معلق وركبه ورجليه في صلبه . وعظم جوفه وجذبيه
وانطواء كشمه . واشراف القطاة وقصر العسيب . وطول الذنب
وشج النساء . وهو التقبض في الجلد وغيره واستواء الكفل حتى
لا يكون افرق . وملاسة الكفل . وقصر الساقين وطول الفخذين
وتوتير الرجلين حتى لا يكون اقسط . وتأنيف العرقوب حتى لا يكون
اقمع . وغازط الرسغ . وقصر الرسغ . وان تكون الحوافر صلابا
سوداً او خضراً . والشواهد على ذلك من كلام العرب مفصلة في محلها
(ما كان للعرب من العلم بخلق الانسان)

قدمر على العرب شؤون واطوار مختلفة وادوار متبانية في الترقى
والانحطاط فلا يمكن ان يستدل على احوالهم بدور من ادوارهم بل ان

لغتهم وشعرهم وامثالهم تخبر عما كانوا عليه . فمن نظر الى الكتب المؤلفة في بيان خلق الانسان وما ورد عنهم فيما اشتمل عليه بدن كل حيوان . علم ان العرب في سابق قرونهم كانوا ممن له المام ومعرفة بكيفية تركيب اجزاء البدن وترتيبها وما فيه من العروق والاعصاب والفضاريف والعظام واللحم . وغير ذلك من احوال كل عضو وما تركيب منه . وما اعد له من الوظائف والمنافع . وهو العلم المسمى لدى المتأخرين بعلم التشريح . فلا ينبغي ان نسلب عنهم هذا العلم بما حدث له من الاسم . والكتب المؤلفة في خالق الانسان كثيرة . ومن احسن ما رأيت منها كتاب خلق الانسان للامام اللغوي ابي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي . فان كتابه جمع قواعي حيث اشتمل على ترتيب سن الانسان من حين ولادته الى آخر عمره . واسماء جملة خلق الانسان . والرأس وما تركيب منه وماله من الصفات والشعر واقسامه والوانه . والاذن وما تركيب منه واقسامها . والوجه وما تركيب منه . والحاجب وانواعه وما يحمد منه وما يذم . والعين واصنافها وطبقاتها ومجاري دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه . والالاف وما تركيب منه وبيان اقسامه . والفم وما تركيب منه . والاسنان وعددها واسماء اصنافها واجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التي في اسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللغاديد واللغائين والحجرة والغصمة والبلعوم والحلقوم . واللحيان وبيان

محلها واسماء ما تركبها منه . واللحية واسماء اجزائها واقسامها والوانها
وسائر اوصافها . والعنق وما تركبت منه . والمنكب وانكسف وما
اشتمل عليه . واليد وما تركبت منه من العظام والاعصاب والعضلات .
والعروق وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع واسمائها واجزائها .
والظفر واقسامه واسمائه . والصدر وما تركب منه . واثنان وما
فيهما . والجنبان وعدد اضلاعهما واسمائهما وما يلحق ذلك . والبطن
وما حوى . والجوف وما اشتمل عليه من القلب والكبد والطحال
والرئة والكليتان والمصارين والامعاء والاعفاج والمخشي والحوايا
والكرش والمبر وما في هذه الجوارح من الاجزاء واسمائها وادواء
البطن وما لها من الاسماء . والظهر وما تركب منه من العظام والعصب
والعروق وغير ذلك . والركب وما تكونت منه . والذكر وما تركب منه
ومفرزه وما وضع لذلك من الاسماء والانثيين واسماء ما فيهما من الاجزاء
وبيان ما يعرض لذلك من الادواء والعلل . والفرج وما تركب منه
واسمائه وما انفردت به المرأة دون الرجل . والرحم وموضعه وما
تركب منه . والوركين وما فيهما . والدبر وما فيه . والفخذين وما
فيهما من الاجزاء واسمائها . والساق وما فيه . والقدم وما اشتملت
عليه . والحمل والولادة وما يتعلق بذلك . وقد اطنب المؤلف في بيان
كل واحد مما ذكر وبين موضعه وما اشتمل عليه وما وضع له من لغة
العرب . واستشهد على ما ادعاه بالشعر الجاهلي . وذلك مما لا يشك

الواقف عايه ان للقوم الباع الطويل في هذا العلم اذلولاه لم يمكنهم الوقوف على مثل هذه الدقائق ووضع الاسماء لها لاسيما القلب وما فيه من المجائب . ولغات الامم شهود عدول على احوال اربابها .
(ومن علومهم علم الرمي بالسهم)

وهو علم يتعرف منه رمى النبال بالمزاولة ليكون عملها على وجه الاصابة . وكان للعرب مزيد اعتناء بتعلم هذا العلم بالتلقى والعمل . فان القسي والرمي بالسهم كانت من انكى اسلحتهم . ولم تزل كذلك الى ان ظهر ماظهر من الاسلحة . وقد اهل الفضل قديماً وحديثاً في علم الرمي بالقوس رسائل كثيرة نظماً ونثراً . وبينوا فيها كيف يقف الرامي وكيف يمسكها . وحال الرمي قرباً وبعداً ارتفاعاً وانخفاضاً . وبيان احوال السهام وبرى النبال وغير ذلك مما هو مفصل في هاتيك الرسائل . وهذا العلم في الشريعة معتنى بشأنه . وقد وردت نصوص في الحث على تعلمه . والمقصود من ذلك تلم كل مايعين في الحرب ويكون من عدده وقنونه . وكان العرب يتسابقون في اشياء كثيرة ولهم لعب شهيرة مشهون منها كتب اللغة . وقد ابطال الشرع السبق بفتح الباء وهو المال الذي يؤخذ على المسابقة في جميعها الا مااستثناء الحديث وهو قوله عليه السلام (لاسبق الا في خف او حافر او نصل) اراد بالخف المسابقة على الابل . واراد بالحافر المسابقة على الخيل . واراد بالنصل المراماة بالسهم . كل ذلك اباح فيه الخطر الذي كان عليه

العرب ايام جاهليتهم لما في ذلك من المصالح والفوائد التي تعين في الحرب وتستوجب الفروسية ويجتري بها الانسان على المناضلة والنزال . والسبق في غير الاخير قد مر بيانه اثناء الكلام على الخيل . واما السبق بالنصل وهو المراماة بالسهم فهذا ملخص الكلام عايه : من كتاب عيون الفنون وبالله نستعين .

(المراماة بالسهم والسبق بالنصل)

اعلم ان الاصابات على سبعة اوصاف . ذكر الامام الشافعي رحمه الله منها اربعاً . وذكر اصحابه ثلاثاً . اما ما ذكره الشافعي فالخاضل والخازق والخاسق والحاجبي . فالخاضل الذي يقرع الشن ولا يخذشه . والخازق الذي يخذشه ولا يثقبه . والخاسق الذي يثقبه ويثبت فيه . والحاجبي ان يدنى الرامي يده من الارض فيرميه فيمر على وجه الارض فيصيب الغرض . واما ما ذكره الاصحاب . فالمارق والخارم والمزدلف . فالمارق الذي يرق الشن اى يثقبه وينفذ فيه . والخارم الذي ينحرم طرف الشن اى يقطعه . والمزدلف الذي يسقط بقرب الغرض ثم يشتن فيصيب الغرض .

(النضال وانواعه)

النضال يتنوع ثلاثة انواع . مبادرة ومحاطة ومناضلة . فالمبادرة ان يشترطا اصابة عشرة من عشرين فيبتدرا احدهما الى العشرة فينضل صاحبه . والمحاطة ان يقولوا نرمى عشرين رشقاً على ان من فضل

صاحبه بخمس اصابات فقد نضله . فاذا اشترطا ذلك ورمى كل واحد منهما عشرين رشداً واصابا لاصابات نظر ان استويا في الاصابة لم يحصل النضل وان تفاوتا في الاصابة حط الاقل عن الاكثر . فان بقي لصاحب الاكثر الخمس المشروطة فقد نضل صاحبه . وان بقي له اقل من الخمس المشروطة لم يحصل النضل . والمناضلة ان يشترطا عشرة من عشرين على ان يستويا جيماً فيرميان . ما جميع ذلك . فان اصاب كل واحد منهما عشرة او فوقها او دونها لم يحصل النضل . وان اصاب واحد منهما دون العشرة والاخر عشرة فما فوقها فقد نضل صاحبه

(القوس وما وضع لها ولاجزائها من الاسماء)

كانت العرب تتخذ القسي من شجر الضال والنبع والشوحط والسدر والشريان والسرآ والتين والاشكل والحماط والتالب والنشم . وحيث كانت القوس لدى العرب بما ذكرنا من المنزلة . وضعوا لها ولاجزائها اسماء كثيرة . ذلك شأن كل ماكان لهم به اعتناء ولحظوه بعين العناية . فقالوا القوس وكبدها ما بين طرفي العلاقة والكلية تلى ذلك . ثم الابهر يلى الكلية . ثم الطائف وها طائفان الاعلى والاسفل . والسية ماعطفا من طرفيها ويدها اعلاها ورجلها اسفلها والمجس والمجس مقبضها . وانسرها ما قبل على الراعى ووحشها مالى الصيد والفرض والفرضة الحزة التى يقع فيها طرف الوتر المعقود وما فوق الفرضة الغافر . والكظرة والنعل العقبة التى تلبس

ظهر السية . والجلائز المقب على طائفيها واصول سثيها . والحلل
الجلود التي على ظهر السثتين . والمذروان ماعن يمين المقبض وشماله .
والرضائع السيور المضفورة تشد اليها العلاقة وهي التي علقت به .
والغفارة رقعة على الفرضة والسية ليلف فوقها اطنابة الوتر . وهي
سير يوصل بطرف الوتر . قال الشاعر .

لها اطنابة ولها فضول * ثلاث على الغفارة من معال

اي من فوق والشرعة الوتر . والدركة حلقة الوتر التي تقع في الفرضة
والعتل القسي الفارسية . وقوس فلق وشريحة اذا كانت من شقة لا غصن
صحج . والقضيب التي من غصن صحج . وقوس فجاء وفجوا آفجاء ومتفجة .
وفارج وفرج بان وترها عن كبدها . ويفعل ذلك بالنى للقتال لا الصيد
يحتبس صاحبها بالتفويق . والكتوم التي ليس فيها شق . والعائكة
التي احمرت قدماً . والجش الحفيفة . والمحلة التي فيها ميل .
وزاغت انقلبت عن عطفها الذي عطفت عليه . وقوس عاطل ومعطلة
بلا وتر وقد وترتها وحططت وترها . وحط قوسك وانبضت عنها
قرعتها للوتر . ويقال اطرت القوس اي عطفها وخزونها وهي خنية .
ويقال للقواس الماسخى واصله لرجل من ازد السراة . ثم اتسع فيه
كما قيل لكل حداد هالكى قال الجعدي .

بعيس تعطف اعناقها * كما عطف الماسخى القياسا

وتقول نزع في القوس ورميت عنها وعليها وبها . وعروتا الوتر عقدا .

(السهم وما وضع له من الاسماء وما يتعلق بذلك)
السهم والنشاب والمنزع والنبل سواء الا ان النبل جمع لا واحد
له من لفظه ويجمع على نبال . والمرماة سهم الهدف . والمريخ سهم
طويل له اربع اذان يغالى به . كان الجعدى .
يمر كمرخ المغالى ان تحت به * شمال عبادى علا الرياح اعسرا
يقول يمر هذا الفرس مر هذا السهم اذا اعمد فى رمية يد رجل
من هذه القبيلة اعسر ترمى شماله فتعين الرياح على رفعه . والمعتلة والمشقص
سهم عريض النصل . وخشبه قبل ان يعمل نضى وجمعه انضاء فاذا
خرق موضع نصله فهو قدح . والخشوب الذى لم يتم عمله . وفوق
السهم برد طرفه وجعل له فوق وهو موضع الوتر . وانفاق السهم
انكسر فوقه . وشرخا الفوق جانباه . والاطرة العقب الذى على
الفوق . والحقو موضع الريش ومستدقه . والزافرة مستقلظه والمتن
وسطه . والرعظ الحرق الذى يدخل فيه سنخ النصل . والعقب
الذى فوقه الرصاف والواحدة رصفة . ويقال برى القوس والسهم
بريا . والطريدة قصبة يوضع فيها السكين فتبرى بها القداح والمغازل .
والقنذ ريش السهم . والاقذ السهم الذى لاريش له . والمريش
ذو الريش وراش سهمه بظهار لوأم اذا صير بطن قذة وهو الشق
الاطول الى ظهراخرى وهو الاقصر فيلتئم فان التقى بطنان او ظهران
فهو ريش لغب ولغاب . قال بشر .

وان الوائلى اصاب قلبي * بسهم لم يكن يكسى لغابا
والمعرّاض سهم لا ريش عليه يذهب عرضا . والنكس الذى انكسر
فوقه فجعل اسفله اعلاه فلا يزال ضعيفا . ويشبه به الرذل من الناس .
والمحشور والحشر اللطيف القذذ . ونبل قران وصيغة مستوية والمريط
الذى تمرط ريشه وجمعه مرابط . وسهم طائش لا يقصد ومعهظ
مضطرب . وزالج يمر على وجه الارض وصارد نافذ . وحابض
يقع بين يدي الرامى لخروج الفوق من الوتر . والدابر سهم يدبر
الهدف دبرا اى يقع ورائه . وصائف عادل عن الهدف . وطالع
يتجاوزه وقاصره لا يبلغه . قال الشاعر .

فما بقيا على تركمانى * ولكن خفتما صدد النبال

والخاسق والخازق المقرطس جميعا . ويسمى الغرض قرطاسا يقال
رمى فقرطس اذا اصابه . والاهزع سهم يبقى فى الكنانة . ونصل
السهم حديثه وله العير كالجدير وسطه . وفى الصحاح عير النصل
الناتى منه فى وسطه . وظبته وقرنته وحده وشفرتاه وخراره حذاء .
والكليتان ماعن يمينه وشماله . والقطبة نصل الهدف وكذلك القتره
والسروة . ونصل مدملك ليس له عرض . والقطع القصير العريض
الحديدة . وما يحفظ فيها السهام تسمى الجعبة والوفضة والكنانة .
والقرن والجفير جعبة مشقوقة فى جنبها . وانما يفعل ذلك لئلى تدخل
الريح على السهام فلا يأكل ريشها والله ولى التوفيق .

(ومن علومهم علم نزول الغيث)

هو علم باحث عن كيفية الاستدلال باحوال الرياح والسحاب والبرق على نزول المطر . والعرب لهم مزيد اختصاص بهذا العلم لانهم احوج الناس الى الغيث اذ به حصول معائشهم من السقى والرعى . وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة التجارب ودليله الدوران بين احوال السحب والامطار . وقد ذكرنا عند الكلام على مخائل العرب فى الانواء من كلامهم ما يوضح المقصود ويثبت به وما لم يذكر من منظوم كلامهم ومشوره فى هذا الباب شئ كثير . وفى الاغانى لآبى الفرج الاصبهاني بسنده قال خرج اعرابي مكفوف البصر ومعه ابنة عم له لرعى غنم لهما فقال الشيخ اجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري . فقالت اراها كأنها رب رب معزى هزلى قال ارعى واحذرى . ثم قال لهما بعد ساعة انى اجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري . قالت اراها كأنها بنغال دهم نجر جلالها . قال ارعى واحذرى ثم مكث ساعة ثم قال انى لاجد ريح النسيم قد دنا فانظري . قالت اراها كأنها بطن حمار اصحر فقال ارعى واحذرى ثم مكث ساعة فقال انى لاجد ريح النسيم فأتين . قالت اراها كما قال الشاعر .

دان مسف فوق الارض هيدبه * يكاد يدفعه من قام بالراح
كأنما بين اعلاه واسفله * ريط منشرة اوضوء مصباح
فن بمحفله كمن بنجوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

فقال انجى لا ابالك فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما . ثم اخذ ابو الفرج يشرح تلك الالفاظ . وملخص ذلك ان الاصحر الابيض وفيه حمرة . ومعنى فمن بمحفله كمن بنجوته فمن هو بمحفله اى مجرى معظم السيل كمن بنجوته اى ناحية عنه سواء لكثرة المطر . والقرواح الفضاء . ومن تتبع كتاب الاغانى يجد كثيراً من ذلك . وحيث ان الرياح واوصافها والسحب وانواعها والرعد والبرق من جملة ما يستدلون به على هذا العلم ويتوصلون به الى معرفة نزول الفيث لابد من التعرض لذكر نبذة مما ورد عنهم في هذه الامور مما رواه ثقة الرواة .

(الرياح واوصافها)

امهات الرياح اربع . الشمال والجنوب والصبا والدبور . وبذلك نطقت اشعارهم « فاشمال » مهبها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس صيفاً . وكانت العرب تكرهها لبردها وذهابها بالقيم والحيا والخصب بزعمهم وهى عندهم الشامية . ولم تزل العرب تتماح بالانفاق والكرم اذا هبت هذه الريح « والجنوب » مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس شتاء « والصبا » مهبها من مطلع الشمس الى مطلع الميوق وهو كوكب نير احمر شمال مطلع الثريا قدر ثلاث قابات وريح او ارجح نظراً للرائى ويسمى رقيب الزيا . وكانت العرب تحب الصبا من بين الرياح لرقتها ولانها تجى بالسحاب والمطر . وفيها الرى والخصب وهى عندهم الجمانية . قيل انما سميت صبا لان النفوس تصبو

اليها لطيب نسيها وروحها والصبوة الميل يقل صبا الى كذا اذا
مال اليه وفي الاثر ما بعث نبي الا والصبامعه « واما الدبور » فهيها
من مغرب الشمس الى مطلع سهيل . وما بين كل واحدة من هذه الرياح
الاربعة نكباء وسميت بذلك لتكبتها طريق الرياح المعروفة . ولكل
من هذه الرياح صفات وخواص يعرفها ذوي الخبرة منهم وتفصيل
ذلك في كتب الانواء . وقال الشيخ ابو عبد الله الاسكافي في كتاب
المبادئ عند الكلام على الرياح الشمال عن يمين المصلي وبازاءها
الجنوب . والصبام من وراء المصلي والدبور تجاهه . ولعل ذلك باعتبار
بعض الاقطار والا فالاصل ما ذكرناه . ثم قال وكل ريح عدلت عن مهاب
هذه الاربعة فهي نكباء . ونسخت الريح تنسم نسيماً ونسمانا ضعفت
في استقامة من غير ان تحرك شجراً او تعفو اثرأ . ويقال للشمال الجرياء
ومحوة ونسيع ومسع . وفي الصحاح الجرياء على فعلياء بالكسر والمد
النكباء التي تجرى بين الشمال والدبور وهي ريح تقشع السحاب .
قال ابن احرر .

بمجل من قسا ذفر الخزامى * تهادى الجرياء به الحنينا
وللجنوب النعامي والخزرج والازيب والهيف . وللصبا القبول واير
وهير واير وهير . وقيل للدبور محوة . ومن اوصافها الغالبة عليها
الديدانة اللينة كالنسيم . والذاريات والمصرات تجي بالمطر . وقيل الساطعة
بالسماء مستديرة والواقع والبوارح والرخاء والجفول المسرعة . والجافلة

والجفل والنايحة والهوج والسوافي والخروق والنؤج والمنتذابة التي
تجى من هنا وثمة . والمسفسفة تجري على وجه الارض . والدروج
هي التي يرى لها مثل ذيل الرسن في الرمل . والحجوج والسيهوج
والسهوج والسهوك والهفهافة والهبة والمذعذعة وهدوج والمهجوم
والعائية والعاصفة والمعصفة والقاصفة التي تكسر كل شئ والزعازع
والاعصار والحنون والزقافة والروامس . والناخجة اول كل ريح
بشدة (الرياح الباردة) الحرجف والصرصر والعرية وخازم .
والبليل فيها برد وندى والشفان والهلاب والنضيضة وهي التي تنض
بالماء فيسيل (الرياح الحارة) السهام والهيف والبارح والسموم
بالنهار وقد تكون بالليل . والحرور بالليل وقد تكون بالنهار والمعمان
(السحب وانواعها)

قد ذكر النعالي نبذة من انواعه واسماؤها في القسم الاول من كتاب
لباب الآداب وكذا الشيخ ابو اسحق الطرابلسي في الكفاية . والاسكافي
في المبادئ وغيرهم من ائمة اللغة فمن السحاب « الغماء » وهو الغيم الرقيق
وكذلك الطخاء والطهاء « والصبر » السحاب الابيض « والحبي » السحاب
الذي يعترض اعتراض الجبل قبل ان يطبق السماء . قال امرؤ القيس
اصاح ترى برقاريك وميضه * كلعم اليدين في حبي مكلل
والحبا كمصاه مثله . ويقال سمي به لدنوه من الارض « والنشاس » السحاب
المرتفع بعضه فوق بعض « والمكفهر » السحاب الغليظ المتراكب

والكنهور نحوه « والجهام » وهو السحاب الذى قد اراق مائه
« والهف » الذى لاماء فيه والزبرج نحوه « والصرار » سحاب بارد
ندى وليس فيه ماء « والنمام والمزن » السحاب الابيض « والرباب »
السحاب الابيض والاسود . وفي الكفاية الرباب السحاب المتعلق
دون السحاب « والسيق » وهو السحاب الذى طردته الريح « والخلق »
السحاب الذى يرجى منه المطر « والنجا » السحاب الذى يسرع « والهيدب »
ما يتدلى من السحاب كأنه هذب القطيفة « والجلب » السحاب الرقيق
الذى ليس فيه ماء . قال تأبط شرا .

ولست بجلب جاب ريح وقررة * ولا بصفا صلد عن الخير معزل
وبعضهم يقول هو السحاب الذى يعترض كأنه جبل وليس فيه ماء
« والدجن » السحاب المطل على الارض . قال ابو زيد والدجنة
من النعيم المطبق تطيقاً الريان المظلم الذى ايس فيه مطر . يقال يوم
دجن ويوم دجنة وكذلك الديلة على الوجهين بالوصف والاضافة . قال
والداجنة الماطرة المطبقة نحوه الديمة . قال والدجن المطر الكثير
وسحابة داجنة ومدجنة وادجنت السماء دام مطرها قال اييد .

من كل سارية وغاد مدجن * وعشية متجاوب ارزامها
« والمرزم » السحاب المصوت بالرعد والارزام صوت الرعد وكذلك
الهزيم والمرنجس والاجش . وبعضهم يقول هزيم الرعد صوته .
يقال تهزم الرعد تهزما وغيث هزم متبعق لا يستمسك قال يزيد بن مفرغ

سقى هزم الاوساط منجس العرى * منازلها من مسرقان فسرقا
« والقاصب » السحاب الشديد صوت الرعد « والبارق » السحاب
الذى فيه برق . والقلمة القطعة العظيمة من السحاب والجمع قلع
قال ابن احر .

تفقا فوقه القلع السوارى * وجن الحازباز به جنونا
والقزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة . قال ذو الرمة يصف
ماء في فلاة .

ترى عصب القطاهملا عليها * مكان رعاله قزع الجهام
وفي الحديث كأنهم قزع الحريف . والضباب سحابة تغطي الارض
كالدخان والجمع الضباب

(الرعد والبرق)

من جملة ما يستدلون به على نزول الغيث الرعد والبرق . فان
الرعد اذا ارزم اى صوت صوتا غير شديد استدلوا به على بعد
المطر . واذا تهزم اى صوت اشد صوت استدلوا به على قرب المطر .
والقعقة تتابع صوته في شدة وله دلالة اخرى على حال الغيث .
والرجسان وهو صوته الثقيل فاذا رجس علموا ان المطر يكون بشدة .
واذا اصعق اى رمى بالصاعقة وهى نار تسقط في رعد شديد . واذا
از ورز اى صوت الرعد من بعيد . قال الراجز .

جارتنا من وائل الا اسلمى * الا اسلمى اسقيت صوب الديم

صوب ربيع باكر لم يل * يرز رزاً من وراء الاكم
* رز الروايا بالمزاد المعصم *

« واما البرق » فنه المستطير وهو المتفرق . ومنه السلسلة وهي برقة
دقيقة بالنهار . ومنه الوميض وهو الضعيف من البرق . ومنه الخافق
وهو المضطرب . والحقو لاخفى ما يرى منه . ومنه المتكلم وهو
المستديم المتتابع . ومنه الراح والماصع وهو السريع الخفيف . ومنه
الحباب وهو الذى ليس فيه مطر كأنه يخلب من يشبه اى يخذعه .
ومنه البرق المنعقد . والانعقاد تشقق البرق ومثله التبوج . وقد
سبق فى الحديث وكثير من منشور العرب فى مخائل العرب فى الانواء
كيف استدلووا بذلك على الغيث ونزوله . وما ذكرناه نبذة يسيرة
ملخصة من كلام الائمة فى بيان مقصدنا . ومن اراد استيعاب ذلك فعليه
بمفصلات كتب اللغة والادب

(ماكان للعرب من المعرفة بعلم الملاحة)

اعلم ان من العرب من كان يسكن من جزيرتهم سواحل بحر القلزم
ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم . ومن جهة
الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند الى جهة الشمال الى بلاد
البحرين . وهناك بلاد كثيرة من اليمن والحجاز وعمان والبحرين
وغير ذلك مما يطول ذكره . وكان سكنة هذه الاقطار والبلاد كلهم
من العرب ولهم متاجر فى الهند والحيشة والروم وغيرهم . فكانوا

من تمس حوائجهم الى ركوب البحر ومعاناة سيره والقيام بما يعين على ذلك . وهو علم الملاحة الذي اظنب المؤلفون الكلام عليه . وفي عدة آيات من الكتاب الكريم دلالة على ركوبهم البحر . وجرى الفلك بهم واهتدائهم في سيرها اذا اشتد الظلام بجحوم السماء وكواكبها المعلومة لديهم . وكذلك في الاحاديث ما يفيد ذلك . وفي شعرهم ايضاً ما يستدل به على ما ذكرناه . قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته .

ملاّتنا البر حتى ضاق عنا * وماء البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الفطام لنا صبي * نخر له الجبار ساجدينا
يقول عممنا الدنيا برأ وبجرأ فضاقي البر عن بيوتنا والبحر عن سفينا
واذا بلغ صدينا وقت الفطام سجدت له الجبار من غيرنا . وقال طرفة ابن العبد البكري .

كان حدوج المسالكية غدوة * خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية من سفن ابن يامن * يجور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المفايل باليد
العدولية سفينة منسوبة الى قرية في البحرين يقال لها عدولى . وبعضهم يقول عدولى قبيلة من قبائل العرب والعدولى الملاح . وابن يامن رجل من اهل تلك القرية . وروى ابو عبيدة ابن نبتل وهو رجل آخر منهم . والشعر في هذا الباب كثير . وفي لغتهم ايضاً ما يستدل به على ما ذكرناه . فالمركب اسم لما يركب في البر والبحر .

والسفينة وهي الجارية من سفنه يسفنه قشره . وسميت بذلك لقشرها وجه الماء جمعها سفائن وسفن وسفين . وصانعها سفان وحرفته السفانة . والدار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير . وفي التزيل وحملناه على ذات الواح ودسر ودسر ايضاً مثل عسر وعسر . قال بشر .

معبدة السقائف ذات دسر * مضبرة جوانبها رداح والمجداف ما يجدف به السفينة قال ابن دريد مجداف السفينة بالدال والذال جميعاً لفتان فصيحتان : وهو مأخوذ من جدف الطائر يجدف جدوفاً اذا كان مقصوداً قرأته اذا طار كأنه يرد جناحيه الى خلفه والقلع بالكسر الشراع والجمع قلاع قال قائلهم .

يكب الحلية ذات القلاع * وقد كاد جؤجؤها يهطم وسفن مقلعات اذا كان لها قلاع . واقلعت السفينة رفعت شراعها . والشراعة كالملاء الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فتضى بالسفينة جمعه اشرة وشرع . والدقل سهم السفينة واصله الاول . والقلس حبلها ويسمى الجمل وهو حبل ضخيم من ليف او خوص من قلوب السفن والجؤجؤ صدرها . والكوثل ذنبها . والمردى والقيقلان خشبة يدفع بها السفينة . ورأسها في الارض قال شاعرهم .

وجارية قعدت على صلاها * ادارى صدرها بالقيقلان والمرساة آلة ترسى بها السفينة واسمها الفرس انكر وهي حديدة تلقى

في الماء متصلة بالسفينة فتقف . والمرساة بفتح الميم البقعة التي رست فيها السفينة . والربان بالضم رئيس الملاحين كالرباني . والنوتي الملاح والجمع النواتي والعركي الملاح ايضاً . والملاح الذي يلي الشراع . والملاح ككتاب ويح تجرى بها السفينة . والنول جعل السفينة . الى غير ذلك مما هو معلوم للمتدبر . ومن اسماء السفينة الفلك . والقرقور والجارية والخلية اسماء للسفينة الكبيرة . ومن اسماء الصغيرة الزورق والبوص وقال الجوهري والبوصى ضرب من سفن البحر وهو معرب قال الاعشى مثل الفرائي اذا ما طما * يقذف بالبوصى والماهر

والقارب سفينة صغيرة تكون مع اصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم . وعلم الملاحة علم واسع موقوف على معارف كثيرة . منها معرفة سموت الابحر ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها ومطرها وغير مطرها وسائر الانواء . ومعرفة ما في البحر من الجبال والجزر ومعرفة صناعة التجارة . فقد قال ابن خلدون قد يحتاج الى صناعة التجارة في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدر . وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سجه في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها في مصادمة الماء . وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح . وربما اعينت بحركة المقاذيف كما في الاساطيل الى اخر ما قال . وانت تعلم ان السفن في قديم الزمان . لم تكن صناعتها متقنة كل الاتقان . فاه ولا كصدآه

ومرعى ولا كالسعدان .

(كتابة العرب في الجاهلية)

كتابة العرب في الجاهلية مما دل عليه شعرهم ولغتهم قال لييد بن ربيعة
وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجدد متونها اقلامها
يقول وكشفت السيول عن اطلال الديار فاظهرتها بعد ستر التراب اياها
فكان الديار كتب تجدد الاقلام كتابتها . شبه كشف السيول عن الاطلال
التي غطاها التراب بتجديد الكتاب سطور الكتاب الدارس . وظهور
الاطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها . وقال رجل
كندى من دومة الجندل يمن على قريش .

لا تجحدوا نعماء بشر عليكم * فقد كان ميمون النقية ازهرها
اتاكم بنحط الجزم حتى حفظتم * من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وانفتم ما كان بالمال ممملا * وطامنتم ما كان منه مبقرا
فاجريتم الاقلام عودا وبداة * وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
واغنيتم عن مسند الحى حميرا * وما زبرت في الصحف اقلام حميرا
فان اول من كتب بنحطنا هذا وهو الجزم مراصر بن مرة واسلم بن
سدره وعامر بن جدرة كما في القاموس وهم من عرب طى تعلموه
من كاتب الوحي لهود عليه السلام ثم علموه اهل الانبار . ومنهم
انتشرت الكتابة في العراق الحيرة وغيرها . فتعلمها بشر بن عبد الملك
اخو اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل . وكان له صحبة

بحرب بن امية لتجارته عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة ثم سافر معه بشر الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب اخت ابي سفيان فتعلم منه جماعة من اهل مكة . فلهذا كثر الكتاب في قريش يومئذ فامتن الكندي على قريش بذلك . وسمى خط العرب بخط الجزم لان الخط الكوفي كان اولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة . لانه جزم اى اقتطع وولد من المسند الحميري . ومرامر هو الذى اقتطعه . وقد تكلم الصولى في ادب الكتاب على هذه المسئلة . واتى بباب مفيد لخص فيه ما ثبت لديه من الاقوال . وكذا السيوطى في المزمهر وجماعة من اهل الادب . وكتب ابن خلدون في مقدمته فصلاً مفيداً يتعلق بغرضنا . وبين ان الكتابة في العرب كانت اعز من بيض الانوق وان اكثرهم كانوا اميين ولا سيما اهل البدو . ومن قرأ منهم او كتب كان خطه قاصراً وقراءته غير نافذة لان هذه الصناعة من الصنائع التابعة للعمران . ولهذا قد كان الخط العربى بالغاً مبالغته من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة . لما بلغت من الحضارة والترقى وهو الخط المسمى بالحميرى . وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباً التبابعة في العصبية والمجديدين لملك العرب بالعراق . ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدواتين . وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك قال ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش . ويقال ان الذى تعلم

الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية او حرب بن امية واخذها
من اسلم بن سدره . وهو قول يمكن واقرب ممن ذهب الى انهم تعلموها
من اياد اهل العراق لقول شاعرهم وهو امية بن ابي الصلت الثقفي
قومي اياد لو انهم امم * اولو اقاموا قهزل التسم
قوم لهم ساحة العراق اذا * ساروا جيماً والخط والقلم

وهو قول بعيد لان اياد وان نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم
من البداوة والخط من الصنائع الحضرية . وانما معنى قول الشاعر .
انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة
الامصار وضواحيها . فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة
ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وحمير هو الاليق من الاقوال . وكان
لحمير كتابة تسمى المسند حروفها متصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا
بذنهم . ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين
لها شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذهب ولا مائلة
الى الاتقان والتخيق لبون ما بين البدو والصناعة . واستغناء البدو
عنها في الاكثر . وكانت كتابة العرب بدوية . واما مضر فكانوا اعرق
في البدو وابتعد عن الحضرة من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام
ومصر . فكان الخط العربي لا اول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام
والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة وبعدهم
عن الصنائع . ثم قال واعلم ان الخط ليس بكمال في حقهم اذا الخط

من جملة الصنائع المدنية المماشية . والكمال في الصنائع اضافي .
وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الحلال
وانما يعود على اسباب المعاش . وبحسب العمران والتعاون عليه
لاجل دلالة على ما في النفوس . وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم
امياً وكان ذلك كمالاً في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتزده عن الصنائع
العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كلها . وليست الامية كمالاً
في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا
شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية . فان الكمال في حقه
هو تزده عنها جملة بخلافنا .

(فوائد لغوية تتعلق بالكتابة وآلاتها)

من ادلة وجود الكتابة في العرب . ما في لغتهم من الالفاظ
الموضوعة لآلات الكتابة والكتاب ولولم يعرفوها لم يضعوا تلك
الالفاظ لمعانيها . فمن ذلك الدواة وجمعها دوى ودويات ودوى .
وقولهم لموضع الملق مملقة خطأ والصواب ملاقة لان الملق ميم زائدة
وهو من لقت الدواة اليقها . والملىق اسم القطن او الصوف الذي يلصق
به المداد وهو من قولك لاق به الشيء يلىق اذا لصق به فلا تدخل
ميم زائدة على ميم اخرى مزيدة . وسمى المداد مداداً لانه يمد
الكتاب ومددت الدواة صببت فيها ماء ومدھا . وتقول مدني
اي اعطى مدة من الدواة . وقد خثرت الدواة خثورة وخثارة

اذا نحن نقسها وهو المداد . يقال نقس وانقاس لقطع منه . والقلم قبل ان تبريه انبوبة فاذا بريته فهو قلم وما يسقط منه عند البري البراية وبطنت القلم رقت بطنه وانفته حددت طرفه وشبانه حده وليطته اذا وضعت في شقه ليطه توسع بها ضيقه والليطة قشر القصب وقططه قطا . والمقط ما ينقط عليه . والقط القطع عرضا والقدر ان يقطع الشيء طولا . ويقولون قلم رشاش وذلك اذا حاف الشق على احد جانبيه فدق وتعربشظايا الكتاب ورشش المداد . وتقول كتبت كتابا وهو مصدر . ثم يسمى المكتوب على السعة كتابا . والكتابة صناعة الكاتب . والطرس الكتاب المحو الذي يستطيع ان تعاد فيه الكتابة والتطريس فعلك به . وطرس الباب سواده . والطلس باللام كتاب لم ينعم محوه فيصير طرسا . والمجمجة تخطيط الكتب وافساده بالقلم كالجمجمة باللسان وهو ان لا يبين الكلام من غير عي . والصحف ما كان من جلود . والقط الكتاب . والمجلة صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة . قال النابغة .

مجلتهم ذات الاله ودينهم * قويم به يرجون خيرا لالعواقب
والعهدة كتاب الشراء . وكتب له منشورا وهو مالا يشد . ورجمة الكتاب ورجعانه جوابه . ويقال اجابه في هامشة كتابه اذا كتب بين السطرين وهو من قولك تهاش القوم اذا دخل بعضهم في بعض وهمش الجراد اذا تحرك ايشور . وتقول نقطت الكتاب واعجمته

وشكلته وقيدته فالنقط لما كان مدوراً والنقطة الاسم . وهذا كتاب
 غفل كقولك دابة غفل اذا لم يكن موسوما . والسجل كتاب العهد
 وتقول املت الكتاب واملته واستملى اذا سأل ان يملى وكذلك
 استمل . والزبور والرقيم الكتاب . وزبرت ورقت كتبت وقرمطت
 قاربت بين الحروف . وطويت الكتاب وادرجته وسحيت اسماء سحياً
 اذا قلعت منه سحاة وهي القشرة تأخذها عن القرطاس . وخزمت
 ثقبته وخزمت شدته . ويقال تربت الكتاب واترته وترته وطنته
 اطينه طيناً . وختته والاسم الختام . وغنوته اغنونه وارخت الكتاب
 تاريخاً . وهذه اضبارة من كتب واضمامة . والكراسة ماتكرست اوراقه
 وتلبدت . والمصحف سمي مصحفاً لانه اصحف اى جعل جامعاً للصحف
 المكتوبة بين الدفتين وهما اللوحان اللذان يكتنفانه . وله الوعاء والغلاف
 وفيه العروتان . والمعلق ما يعلق به . وفيه الفكوك والواحد فك
 وهو ما يستبر الاوراق من جانبيه . والعلاوة من اعلاه والخلق واحدها
 حلقة . وفي الخلق الذوائب وهي السيور التي في اطرافها . والاشراج
 والواحد شرج وهو السير المرصع اسفل الخلق والترصيع ضفر السير
 على نحو معروف . وفي المصحف الخارز وهي المواضع التي تخرز
 منه . وله الاذان . وفي الدفتين المسامير والكراكب . فاما المحبرة
 والحبرية فالتى فيها الحبر وهو الزاج . ولها المعلق وهو خيط اوسير
 يشد الى عراها . والرشق صوت القلم . والفشفة كقطنه في جوف

القصة . وحصرم القلم براه . والمرقم القلم . ومثل ذلك كثير في كتب اللغة والادب لاسيما كتاب ادب الكتاب للصولي فقد ذكر فيه كل مايتعلق بهذه الصناعة .

(مكاتبات العرب ومراسلاتهم ومالهم في ذلك من العوائد)

خير الكلام لدى العرب ما ادى المقصود بكماله بلفظ وجيز وعبرة مختصرة . ومدار البلاغة عندهم على ذلك . والكتب والمراسلات من ضروريات الامم التي لا يمكن الاستغناء عنها . وحيث ان الكتابة لم تكن في جميع العرب لقربهم يومئذ من البداوة قل الترسل فيما بينهم تحريراً قبل شيوع الكتابة فيهم . وكانوا يستغنون عن ذلك بارسال الرسل يبلغون عنهم مقاصدهم الى من يرومون وربما الغزوا عنها اخفاء لها اذا كانت مما يجب اخفاؤها واسرارها .

وربما كتبوا ابياتاً من الشعر تؤدى مقاصدهم اذ الشعر كان يومئذ ديوان العرب . وقد صادفت من ذلك ما لا يستقل . ففي كتاب مروج الذهب عند ذكر سابور ذي الاكتاف وغلبة العرب على سواد العراق . قال وكانت جرة العرب ممن غلب على العراق ولد اباد ابن نزار وكان يقال لها طبق لا طباقها على البلاد . وملكها يومئذ الحارث بن الاغر الايادي فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة اعد اساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم . وكانت اباد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق . وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط

فكتب الى اباد شعراً ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو .
سلام في الصحيفة من لقيط * على من في الجزيرة من اباد
بان الليث ياتيكم دلاقا * فلا يحسبكم شوك القنادر
اتاكم منهم سبعون الفا * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستاتيكم فهذا * اوان هلاككم كهلاك عاد
فلم يعبأوا بكتابه وسراياه تكرر نحو العراق وتغير على السواد . فلما تجهز
القوم نحوهم اعاد اليهم كتابا يخبرهم ان القوم قد عسكروا وتحشدوا
لهم وانهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعراً اوله .
يادار عبلة من تذاكرها الجزعا * هيجت لي الهم والاحزان والوجعا
اباغ اباداً وحلل في سرااتهم * اني اري الرأي ان لم اعص قد نصعا
ان لا تخافون قوما لا ابالكم * مشوا اليكم كالمثال الدبي سرعا
لوان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من نهلان لانصدعا
فقد ادوا امركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
فاوقع بهم فعمهم القتل فما افلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم .
وخلع بعد ذلك اكناف العرب فسمى بعد ذلك سابور ذا الاكناف
وصحيفة المتلمس مشهورة . وفي كتب الادب مذكورة . وكانت على ذلك
الاسلوب ايضاً . ولا بد من ذكر خبرها وقصتها المستطرفة .
(صحيفة المتلمس)

ان المتلمس وهو شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسبح وفد

هو وابن اخته طرفة بن العبد على عمرو المذكور فتزلا منه في خاصته
 وكانا يركبان معه للصيد فيركضان طول النهار فيتعبان . وكان يشرب
 فيقفان على بابيه النهار كله ولم يصلا اليه فضجبر طرفة فقال فيه .
 فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوئا حول قبتنا تخور
 لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
 • وقال ايضا •

ولا خير فيه غير ان له غنى * وان له كشحاً اذا قام اهضما
 تظل نساء الحى يعكفن حوله * يقطن عسيب من سرارة ملهما
 في ابيات مشهورة . فبلغ ذلك عمرو بن هند فهم يقتل طرفة وخاف
 من هجاء المتلس له لانهما كانا خليلين . فقال لهما لعلكما اشتقما
 لاهليكما . فقالا نعم . فكتب لهما بصحيفتين وختمهما وقال لهما اذهبا
 الى عاملي بالبحرين فقد امرته ان يصلكما بجوارث . فذهبا فمرا في طريقهما
 بشيخ يحدث وياكل تمرأ ويقصع قلا . فقال المتلس مارأيت شيخاً
 كالיום احق من هذا . فقال الشيخ مارأيت من حقى اخرج خيئاً
 وادخل طيباً واقتل عدواً . وان احق منى من يحمل ختفه بيده
 وهو لا يدري . فاستراب المتلس بقوله وطلع عليهما غلام من اهل
 الحيرة فقال له المتلس اتقرأ يا غلام . قال نعم ففرض الصحيفة وقراها
 فاذا فيها . اذا اتاك المتلس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً . فقال
 لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا . فقال كلا لم يكن لي حترى

على فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال .
 قذفت بها في اليم من جنب كافر * كذلك اقفو كل قطاً مضلل
 رضيت لها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول
 ثم مضى المتلمس الى هشام وذهب طرفة الى عامل البحرين فاعطاه
 صحيفته فقصده من اكليله فزف حتى مات . وقيل في قتله غير ذلك .
 ومن قوله في السجن يخاطب عمرو بن هند .

ابا منذر كانت غرورا صحيفتي * ولم اعطكم بالطوع مالى ولا عرضي
 ابا منذر اقيت فاستبق بعضنا * حنايك بعض الشراهون من بعض
 (تغير اسلوبهم)

ثم تغيرت عوائدهم في ذلك فكانوا يتدوّن في كتبهم باسماء آلهتهم
 كاللات والعزى ثم يذكرون مقاصدهم . وفي ادب الكتاب للصولي
 بسنده ان قريشاً كانت تكتب في جاهليتها باسمك اللهم . وكان النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك ثم نزلت سورة هود وفيها بسم الله
 مجراها ومرساها فامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكتب في صدر
 كتبه بسم الله . ثم نزل في سورة بنى اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا
 الرحمن ايما تدعوا فله الاسماء الحسنى فكتب بسم الله الرحمن . ثم
 نزل في سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . فجعل
 ذلك في صدر الكتاب الى الساعة . وغير الصولى ذكر مثل ذلك ايضا .
 ونقل المسعودى في المروج عن جماعة منهم ابن السائب الكلبي ان

اول من كتب من قريش باسمك اللهم امية ابن ابي الصلت الثقفي وذكر في سبب ذلك قصة طويلة لا غرض لنا في نقلها . ومنهم من كان يكتب بعد البسملة من فلان الى فلان ثم التحية ثم يأتي باما بعد ثم يذكر مقصده بأوجز عبارة . وقد اختلف في اول من ابتداء ذلك على اقوال ذكرها الصولي . وعقد لذلك في كتابه بابا اطال الكلام فيه . وعن ابي حاتم السجستاني في كتاب المعمرين عند ذكر قس بن ساعدة انه اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية واول من توكأ على عصا واول من قال اما بعد . وهو اول من كتب الى فلان ابن فلان . ورجع الصولي ان اول من قال اما بعد كعب بن لوى وكان اول من سمي الجمعة . وكانت تسمى العروبة . قال وهي فصل الخطاب . ومعناه على هذا انه انما يكون بعد حمد الله او بعد الدعاء . او بعد قولهم من فلان ابن فلان الى فلان . فيفصل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجي بعده ولا تقع الا بعد ما ذكرناه الا ترى قول سابق البربري للممر بن عبد العزيز .

باسم الذي انزلت من عنده السور * الحمد لله اما بعد يا عمر فان رضيت بما تأتى وما تذر * فكن على حذر قد ينفع الحذر قال والمعنى في انها لا تقع مبتدأة ان المراد بها اما بعد هذا الكلام يعنى الذى تقدم فان الخبر كذا وكذا . ثم اطال الكلام في وجوب ذكر الفاء بعد اما بعد وبيان معناها . وكان من عوائد العرب في كتبهم ايام

جاهليتهم اذا كتبوها نثراً لم يلتزموا فيها السجع بل ارسلوه ارسالا .
 والسجع لم ياتزمه منهم الا الكهان . واستعمالهم له في الخطب والوصايا
 قليل . وذلك لانهم جبلوا على الميل الى السهل من كل شئ والنفرة
 من كل متكلف في افعالهم واقوالهم وغير ذلك . والسجع لكونه متكلف
 الالفاظ . مما تنفر عنه الطباع . وتنبه الاسماع . والمستحب منه هو
 مقدار يجري من الكلام مجرى الطراز من الثوب . والعلم من المطرف .
 والحال من الوجه . والعين من الانسان . والسواد من الحدقة .
 والاشارة من الحركة . وقد علمت انه متى كثرت الخيلان من الوجه
 وغمرته كان ترادف اجزاء السواد ذاهباً ببهجة تمام الحسن . وقد
 اخرج ابن ابي حاتم عن يزيد بن رومان انه قال كتب سليمان عليه
 السلام بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود الى بلقيس ابنة
 ذي شرج وقومها . ان لا تعلو على واتوني مسلمين . وقد حكى ذلك
 الكتاب الكريم . فلما وصل الكتاب الى بلقيس واطلعت عليه وصفته
 بالكرم لكونه مختوما . وفي الحديث كرم الكتاب ختمه . وعن ابن
 المقفع من كتب الى اخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به . وهكذا
 كان اسلوب العرب في ترسلهم . ومكاتبات النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم الى الملوك وغيرهم ايضاً على هذا الاسلوب . وهكذا
 كان اسلوب اهل الصدر الاول والثاني . وهكذا الى ان تغير ذلك
 الوضع بما هو مذكور في كتب الانشاء من الالفاظ المتكلفة والاساليب

التي ينفر عنها الطبع . وما احسن ما كان عليه العرب وما اسهله وما اعذبه والطفه . وعرب نجد الى اليوم على طريقة اسلافهم في ذلك الاسلوب . وقد ذكر الصولي في ادب الكتاب عوائد التأخرين في سائر فنون مكاتباتهم ومراسلاتهم . وكيف يخاطب الناس ملوكهم والملوك امراءهم ورعاياهم . وكيف يخاطب الناس بعضهم بعضا . وكيف المنشورات والتقايد وغير ذلك من كتب العهد والتولية والقضاء . وافرد بابا في بيان ما يكتب به الناس في عصره . وبقيت للعرب سنن وعوائد التزموها في كتبهم . منها الابتداء بالبسملة من حاشية القرطاس . ثم التحية من تحتها . ويستقبحون ان يخرج الكلام عن البسملة فاضلا بقليل . ولا يكتبونها وسطاً ويكون الدعاء فاضلا . وكان من الكتاب الاسلاميين من يرى ان يجعله وسطاً في اسفل الكتاب بعد انقضاء الدعاء الثاني والتاريخ اذا احتاج الى تبين نسخة كتاب متقدم او حساب ليفرق بين منزلته من صدر الكتاب وبين عجزه . وقد ذهب اليه قوم ولا يفسخ ما بين البسملة وبين السطر الذي يتلوها من الدعاء ولكن يفسخ ما بين الدعاء اذا استتم وبين سائر مخاطبة . ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة اسطر . ولا يستتم السطر الثالث على المشهور من مذاهب اجلاء الكتاب الاسلاميين . ومنها ترتيب الكتاب وتطيينه واعادة النظر عليه بعد الكتابة . والختام وآدابه . والعنوان وغير ذلك مما كانوا عليه . وقد بسط الصولي الكلام على هذه

الامور في ادب الكتاب .

(ما كان يكتب فيه العرب)

لم يكن للعرب قبل الاسلام القرطاس المعهود اليوم . وانما ظهر هذا عند العرب سنة العشرين بعد المائة من الهجرة النبوية وهم الذين اخترعوه على قول بل كان القرطاس عندهم يومئذ كل ما يمكن ان يكتب عليه كالرق بفتح الراء وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه . وهو اغلب قراطيسهم وكذلك في صدر الاسلام . ومنه قوله سبحانه . والطور وكتاب مسطور في رق منشور . وربما كانوا يكتبون على العسب والجريد وما شاكل ذلك . وكما كانوا يسمون ما يكتب عليه بالقرطاس يسمونه مهرقا وصحيفة وسفرا . وقد ورد ذكر القرطاس في التنزيل وكذلك الصحف والاسفار . وهو مما يدل على معرفتهم به وشيوعه بينهم . وكانت العرب تشبه المنزل اذا خلا ودرجت عليه الريح وصار ارضا بالهرق قال الاعشى .

سلا دار ليلى هل تبين فتتلق * واني ترد القول بيضاء سملق
واني ترد القول دار كأنها * لطول بلاها والتقاد مهورق
وشبه ابو نؤاس الناقة البيضاء بالقرطاس فقال من ابيات .

« يثق كقرطاس الوليد هيجان »

خمس قرطاس الوليد لانه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد . والهيجان

الكرام من الابل وغيرها . وقد استوفى جعفر بن حمدان الكاتب وصف القرطاس بقوله .

في يديه من القراطيس كالمز * نة جادت بواصف مدرار
كالملء الرحيض كالبيض بيض * الهند كالبيض كالمياه الجوارى
كالسراب الرقراق في عنقوان الصي * ف نصف النهار في ايار
ماتبالي اجات عينك فيه * حين يطوى ام في خصور العذارى
يسمح الخط فيه عفواً فسايك * بو بوعث فيه ولا بحجار
والكلام في هذا الباب يطول وما ذكرناه فيه الكفاية وبالله التوفيق
(حساب العرب ايام جاهليتهم)

كان للعرب حساب غير ما هو المعهود اليوم . فانه مما يحتاج
الى آلة فاجتنبوه وراؤا ان ما قلت آله وانفرد الانسان فيه بالة من جسمه
كان اسهل وافود وانسب لغرضهم . وهو حساب عقود الاصابع .
وقد وضعوا كلا منها بازاء عدد مخصوص ثم رتبوا لاوزاع الاصابع
احاداً وعشرات ومآت والوفا . ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب
الالوف فما فوقها بيد واحدة . وقد الف فيما ورد عنهم من ذلك عدة
رسائل . منها رسالة شرف الدين اليزدى وهى من احسن ما الف
في هذا العلم . ونظم فيه اراجيز كثيرة . منها ارجوزة لطيفة لابن
حرب اورد فيها ما يحتاج اليه من هذا العلم . ومنها ارجوزة ابى الحسن
على الشهير بابن المغربى وقد شرحها عبد القادر بن على بن شعبان

العوفى . واورد في شرحه فوائد كثيرة تتعلق بهذا العلم . وما روى
عن العرب من الشعر المشتغل على هذا الحساب . ولشمس الدين محمد
ابن احمد الموصلى الحنبلى رحمه الله منظومة موجزة في بيان قواعد
هذا الحساب مشتملة على لب اياته . وهى هذه بعد البسملة .
بحمدك يارباه ابدأ اولاً * فما زلت اهلا للمحامد مفضلاً
واتبع حمدى بالصلوة على الرضا * ابى القاسم المهدى خير من ارسلنا
ومن بعد هذا ايها السامع استمع * حساب اليد اذعنه سلت مفصلاً
ففى عدد الاحاد يا صاح افردن * ليمنى يديك اعلم واياك تجهلاً
فللواحد قبض خنصر اثم بنصره * للاثنين والوسطى كذاك التكملاً
بعد ثلاث ثم للخنصر ارفعا * باربعة والبنصر الخمسة اكملها
وفى الستة قبض بنصره دون كلها * على طرف للراحة اسمعه وانقلها
وفى السبعة قبض تحت الابهام خنصره * وفى طرف للراحة القبض فاجعلها
وللبنصر ارفع ثم فى الثامن اضمن * الى خنصر فى القبض للبنصر اعقلاً
وفى التسعة الوسطى اضمن معهما وفى * جميع الاحاد افعلن ذا وان علا
وفى عشرة مع عقد الابهام فاستمع * تحلق رأساً للمسبحة افعلها
وللظفر من ابهامك اجمله بينا * صبيك هى العشرون فاعلمه واعملها
وما بين رأس للمسبحة اجعلن * ورأس للابهام الثلاثون حصلها
وان تركب الابهام يا صاح فاحفظ * لسبابة للاربعين مكملاً
وابهامك اجمل تحت سبابة اذا * تعمدت للخمسين فاحفظ تكملها

وتركب الابهام المسجحة استمع * كقابض سهم وهي ستون احملا
وعدك لاسبعين في بطن ثالث * لاسبابة ابهامك اعقله تجملا
والابهام من تحت المسجحة اجعلن * بنانا على ظفري ثمانين اكلا
وفي عد تسمين المسجحة اقبضن * لما بين ابهام وما بينها اجتلي
وابهامك اجعل فوقها مثل حية * تروم وتوبا والمئين الا اجعلا
يسراك كالا حاد ياذا العلوم من * يمينك فاحفظه واياك تعولا
كذا العشرات من يمينك انها * يسراك يا هذا الوف على الولا
وعشرة آلاف لابهامك اجعلن * وذلك مع سبابة ياخا العملا
يسراك وامهده كحلقة استمع * اذا طويت والراس فاجعله اسفلا
وقد نجزت والحمد لله وحده * ميسرة تبني اخا متفضلا
يساعها فيما يرى من عيوبها * فما احد عن ذاك يا صاح قد خلا
فخذها عروسا قد سمت شمس ضهوة * وبدر دياج قد بدا متهللا
فان تمتنع كالبرك عند امتناعها * على بعلمها عند الزفاف تدلا
فصف لها ذهنا غزيرا مجودا * وغص في بحار الفكر ثم تأملا
تري لمانها بزوا ككوكب * ويأتيك منها العلم والفضل مقبلا
وبعض اهل الفضل ذكر في بيان مراتب الاعداد في القدماته عند
العشرة تجعل السبابة حلقة . والعشرين تجعل الابهام بين السبابة
والوسطى . والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الابهام . والاربعين
تجعل رأس الابهام خلف السبابة . والخمسين تجعل الابهام جالسا

والستين تجعل ظهر رأس الابهام على الفصل الاعلى من باطن السبابة
والسبعين تجعل رأس الابهام على الفصل الاسفل من باطن السبابة
والثمانين تجعل رأس السبابة على ظفر الابهام . والتسعين تجعل
السبابة حلقة غير مجوفة . المائة تجعل رأس السبابة اليسرى كما
جعلت اليمنى في العشرة . المائتين تجعل الابهام اليسرى كما جعلت
اليمنى في العشرين . وعلى هذا القياس الى الالف في كل مائة كما في العشرات
لكن اليد اليسرى . ثم تأخذ الالف كما تأخذ الاحاد الى العشرة
من اليد اليسرى . ثم تأخذ العشرة الآلاف . وهو ان تجعل جنب
رأس الابهام على جنب رأس السبابة انتهى . وبقي كلام كثير يطلب
من محله . وقد ورد حساب اليد في عدة احاديث . وفي كلام كثير
من رجال الصدر الاول واجلة السلف . وبه ينحل كثير من ابيات
المعاني التي حيرت الافهام (ومن العرب) من كان يحسب بالحصى
ويضبط عدده به كما دل عليه شعرهم . قال الاعشى ميمون من ابيات
فضل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة .

ان ترجع الحق الى اهله * فلست بالمسدى ولا النار
ولست في السلم بذى نائل * ولست في الهجاء بالجاسر
ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكار
ولست في الاثرين من مالك * ولا ابى بكر اولى الناصر
هم هامة الحى اذا مادعوا * ومالك في السودد القاهر

الحصى العدد والمراد به هنا عدد الاعوان والانصار. قال بعض شارحي هذه الابيات وانما اطلق الحصى على العدد لان العرب اميون لا يعرفون الحساب بالقلم وانما كانوا يعدون بالحصى وبه يحسبون المعدود واشتقوا منه فعلا فقالوا احصيت. ومن العرب من كان لا يحسن الحساب اصلا. حتى نقل الصولى فى كتاب ادب الكتاب ان بعض العرب باع جوهرأ نفيساً بالف درهم فقيل له كان يساوى اكثر من هذا فقال ما ظننت ان عدداً اكثر من الف. فلذلك كانوا يمدحون من يحسن الحساب والعدد ويصفونه بالذق وينسبونه الى حكمة وعدل قال النابغة للنعمان فى اعتذاره .

واحكم حكماً فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام سراع وارد التمد
 قالت الا ليمّا هذا الحمام لنا * الى حمامتنا ارنصفه فقد
 فحسبوه فالقوه كما زعمت * تسمأ وتسمين لم ينقص ولم يزد
 فكملت مائة فيها حمامتها * واسرعت حسبة فى ذلك العدد
 يريدكن حكيماً فى انصافى كما حكمت جارية كانت لها حمامة فرأت قطاً
 فخرزته ستاً وستين فقالت ايت الحمام ليه. الى حمامتيه. ارنصفه قديه. تم
 الحمام ما به. قالوا وكانت لها قطاة. وجعلت القطا حماما. وهذا قول
 الاصمعى. وبعضهم قال اراد النابغة احكم على بمدل كما حكمت هذه الفتاة
 فى العدد فاصابت. والاول اجود. افلا ترى الى النابغة كيف حكي
 هذا ونسب تلك الفتاة الى حكمة وعدل حين احسنت العدد قال

ابو عبيدة . وكان يقال للجارية الزرقاء واسمها عتر وكانت من جد يس .
وقال غيره القائلة لهذا هند بنت الحس . وقد مر الخلاف عند
الكلام على حكيما العرب من الجزء الاول . وكان حساب اليد مرجحاً
على غيره بين الكتاب في الدولة العباسية على ما ذكره الصولي فانه
قال اجمع الحساب من كل جنس وملة بكل خط ولغة على ان تراكب
الحساب لاعدوا اربعة . عدد يضرب في عدد . او قسمة عدد على
عدد . او القاء عدد من عدد . او زيادة عدد على عدد . وتكلموا
في اوائل العدد ونهاياتها بكلام كثير . احسنه ما قال الهند ان الاعداد
تبتدأ من واحد وتنتهي الى تسعة . ثم تكون العشرة راجعة الى حال
الواحد على الرتبة . وعلى هذا وضعوا حروفهم التسعة . وقالوا
الحساب الهندي اخرج لكثير العدد الا ان الكتاب اجنبوه لان
له آلة . ورأوا ان ما قلت آله وانفرد الانسان فيه بآلة من جسمه
كان اذهب في السر . واليق بشأن الرياسة . وهو ما اقتصروا عليه
من العقد بالبنان واخراج رؤس الجمل في اواخر السطور وحط
التفضيلات عنها واحداً دون آخر وفرعاً دون اصل . قال وعني
بعض الكتاب بذلك حتى خف عقده وصار يلحق بينانه مثل ما يلحق
ببصره ولا يستين الناظر مواقع انامله . قال وقد شبه عبد الله بن
ايوب ابو محمد التيمي وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال .

اعني على بارق ماطر * خفي كوحيك بالحاجب

« كَأَن تَأَلَّقَهُ فِي السَّمَاءِ * يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبٍ »

« وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ »

وَنَاطِقٍ تَحْبِرُ الْفِصَالَهُ * عَنْ نِعَمَاتِ الْعُودِ بِالزَّمْرِ

يُنَا تَرَاهُ عَاقِدًا خَمْسَةً * وَسِتَّةً صَارَ إِلَى عَشْرِ

وَصَارَ مِنْ بَعْدِ إِلَى وَاحِدٍ * كَحَاسِبٍ أَخْطَأَ فِي كَسْرِ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي تَشْبِيهِ يَدِ الْحَاسِبِ بِوَبَيْضِ الْبَرْقِ بَعْدَ قَوْلِ
الْتِّمِّي قَوْلَ غَنَتَةٍ مِنْ أَيْيَاتِ .

وَفَرَضَتْ لِلنَّاسِ الْكِتَابَةَ فَاحْتَذُوا * فِيهَا مِثَالُكَ وَالْمَعْلُومُ فَرَائِضُ

وَإِذَا خَطَطْتَ فَأَنْتَ غَيْثٌ مَعْشَبٌ * وَإِذَا حَسَبْتَ فَأَنْتَ بَرْقٌ وَامْضُ

وَإِذَا نَهَضْتَ فَأَنْتَ نَجْمٌ ثَاقِبٌ * وَإِذَا جَلَسْتَ فَأَنْتَ لَيْثٌ رَابِضُ

فَبِكَ التَّمَثَلِ حِينَ يَنْعَمُ فَاضِلٌ * وَالْيَكْ يَرْجِعُ حِينَ يَشْكَلُ غَامِضُ

(مَعَائِشُ الْعَرَبِ وَأَسْبَابُهَا أَيَّامُ جَاهِلِيَّتِهِمْ)

كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ لَا يَدُلُّهَا مَا يَقُومُ بِضُرُورِيَّاتِهَا وَسَدِّ فَمِّ حَوَائِجِهَا

بِأَسْبَابٍ مُتَفَاوِتَةٍ وَأَعْمَالٍ مُخْتَلِفَةٍ يَهْدِيهِمُ إِلَيْهَا خَالِقُهُمْ وَيَجْمَعُهَا سَبَبٌ

أَرْزَاقُهُمْ . وَالْعَرَبُ مِنَ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا عَصْرُ مُتَطَاوِلَةٍ

رَبَّمَا كَانَتْ السَّبَبُ فِي خَفَاءٍ كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ . غَيْرَ

أَنَّ اللُّغَةَ وَالشَّعْرَ يَقِيدُ أَنْ كُلُّ شَارِدٍ . وَيَنْطِقَانِ بِشُؤْنِ كُلِّ مَا سَدَلَ

عَلَيْهِ حِجَابُ الْخَفَاءِ . وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ أَسْبَابَ الْمَعَائِشِ وَالْكَسْبِ

وَأَصْرُهَا مُنْخَصَرَةٌ فِي أُمُورٍ .

(منها التجارة)

وهي من اشرف الاسباب واعلاها قدراً . ولهذا ورد في الحديث
التاجر الصدوق مع الكرام البررة ويدخل فيها كل بيع وشراء .
وكانت من اهم اسباب معاشهم لاسيما سكنة الحجاز ونجد وما شابههما
من الاقطار المقحطة والبلاد القليلة الخصب . وكانت العرب على
ما ذكر في فتح الباري شرح صحيح البخاري تتماح بكسب المال ولا سيما
قريش . وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محظوظاً في التجارة .
وكان لقريش في السنة رحل اربع على ما ذكره بعض المفسرين في تفسير
سورة قريش . فان اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد
مناف . احدها هاشم وكان يوالف ملك الشام حيث اخذ منه خيلا
فامن به في تجارته الى الشام . الثاني عبد شمس وكان يوالف الى
الحبشة . والثالث المطلب وكان يرحل الى اليمن . والرابع نوفل
وكان يرحل الى فارس . وكان هؤلاء يسمون المتجرين . فيختلف تجر
قريش بنخيل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم احد . وفي هؤلاء
الاخوة يقول الشاعر .

يا ايها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
الاخذون العهد من آفاقها * والراحلون لرحلة الايلاف
والرايشوز وليس يوجد رائش * والقائلون هم للاضياف
والخالطون غنيم بفقيرهم * حتى يصير غنيم كالكافي

« وقال مساور بن هند يهجو بني اسد »

زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف و ليس لكم الاف
اولئك اومنوا جوعا وخوفا * وقد جاءت بنو اسد وخافوا
ومن المفسرين من قال كان لقريش رحلتان رحلة في الشتاء الى اليمن
ورحلة في الصيف الى بصرى من ارض الشام كما روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما . وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم
الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين محتطف
ومنهوب . وعلى ذلك نزلت السورة الكريمة . وذكر عطاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان السبب في هاتين الرحلتين هو ان قريشاً اذا
اصاب واحد آمنهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على
انفسهم خباء حتى يموتوا الى از جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد
قومه . وكان له ابن يقال له اسد وكان له ترب من بني مخزوم يحبه
وياحب معه فشكا اليه الضر والجاعة فدخل اسد على امه يبكي فارسلت
الى اولئك بدقيق وشحم فاشوا فيه اياما . ثم اتى ترب اسد اليه مرة
اخرى وشكا اليه من الجوع . فقام هاشم خطيباً في قريش فقال انكم
اجدتم جدبا تفلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشراف ولد آدم
والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع
كل بني اب علي الرحلتين في الشتاء الى اليمن . وفي الصيف الى الشام
للتجارات . فما ربح النفي قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم

فجاء الاسلام وهم على ذلك . فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش . وهذا معنى قول شاعرهم فيهم .

والحالطون فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
هذا ما كان من امر قريش وسائر اهل الحجاز . واما اهل اليمن
وعمان والبحرين وهجر فكانت تجارتهم كثيرة . ومعائشهم وافرة .
لما في بلادهم من الخصب والرخاء . والذخائر المتنوعة . والمعادن
الجيدة . وغير ذلك من اسباب الثروة والغنى . واما اهل نجد فكانوا
دون غيرهم في الثروة والتجارة لما ان الغالب على ارضهم الرمال
فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ورواج التجارة .
وكانوا يجتمعون في الاسواق كل سوق له موسم من السنة على ما سلفناه
في الجزء الاول فيجتمعون فيها للتجارات وغيرها . ولهم اسواق اخر
غير ما ذكرناه لاجل ذلك . ويسمون السوق ايضا القسيمة . ويقولون
نفقت السوق اي راجت وانحملت كسدت والسوم عرض السلعة
على البيع . وبعته ناجزاً بناجز وبدأ بيد والتاجش الذي يزيد
في ثمن السلعة . وايست من حاجته لينفقها على صاحبها . وقد ورد
في الحديث النهي عن ذلك . ويقولون للذي يبيع البز البزاز . وللذي
يبيع الثياب السمسار . وللذي يبيع الاكسية الكساء . وللذي يبيع
الفرا الفراء . وللذي يبيع الرق الرقاق . وللذي يبيع الحل الحلال
وللذي يبيع البقول البقال . وللذي يبيع الدهن الدهان . وللذي

يبيع الرأس الرأس . ولا يقال له رواس . وللذى يبيع الطير الجذال
والزجال الذى يرسلها من مكان الى مكان . وللذى يبيع العطار
العطار . وللذى يبيع الادوية الصيدلانى والصيدنان . وللذى يبيع
اللؤلؤ اللؤلؤ . وللذى يبيع الالية اللؤلؤ .
(ومنها الصنائع)

وهى ايضا من اسباب المعاش المحموده وورد فيها الحرفة امان
من الفقر . وكان فى العرب صنائع تقوم بما تمس اليه حوائجهم . وتقتضيه
ضرورياتهم . ولا بد لهم منها لاسيما البلاد التى قدم عليها عهد الحضارة .
وقد تكلم ابن خلدون فى مقدمته على هذا الموضوع . وذكر ان العرب
ابعد الناس عن الصنائع وعلل ذلك بانهم اعرق فى البدو وابتعد
عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها . وقد اطلب
فى بيان ذلك الى ان قال . واما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان
ملكه العرب الا انهم تداولوا ملكه آلافا من السنين فى ايام كثيرين
منهم واخطوا امصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترفع مثل
عاد وثمود والعمالة وحير من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال امد
الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت
فلم تبلى ببلى الدولة فبقيت مستجدة حتى الان واختصت بذلك الوطن
كصناعة الوشى والمصوب وما يستجد من حوك الثياب والحريز فيها .
وذكر رحمه الله فصولا مهمة فى هذا الباب لها من الحقيقة اوفر نصيب

بيداني اذكر ماكان للعرب من امهات الصنائع التي زاولوها للقيام
بحاجاتهم وان قلت فيهم ولم تصل الى نهاية الاتقان . ولم تباغ
نصاب الكمال . فاني بصدد بيان اسباب معائشهم . على ان الكثير
منهم كان بمعزل عن ذلك لما جبلو عليه من الميل الى المعالي والتفاخر
بالشجاعة والفروسية والتفاضل بالاقدام والجرأة والوفاء بالعهود
والقيام بواجب الاضياف وحفظ الدمار والذمام والكرم وغير ذلك
من الشيم وعلو الهمة . والقائم بامر الصناعة لديهم دون غيره في المكانة
والشرف . فدونك ماكان لديهم من الصنائع التي مست اليها حوائجهم
وهدتنا اليها لغتهم .

(فنها صناعة البناء)

هذه الصناعة كانت مخصصة لاهل الحضر من العرب لانهم الذين
تمس اليها حوائجهم . وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل
للكن والمأوى للابدان في المدن . وعلى ذلك ابن خلدون في مقدمته
بان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد ان يفكر
فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف
والحيطان من سائر جهاتها . ثم ذكر كلاما مفيدا يتعلق بهذه الصناعة
ليس من غرضنا . والقائمون بهذه الصناعة من العرب متفاوتون فيها
فمنهم البصير الماهر . ومنهم القاصر . وكانت في اليمن ابنية عظيمة . وقصور
مشيدة . وكذلك في غيرها كما ذكره الاصبهاني في كتاب جزيرة العرب

وابنيتهم كانت متفاوتة . فمنها البناء بالحجارة . ومنها البناء باللبن .
ومنها البناء بالآجر . ومنها البناء بالطين والتراب . وهي على اوضاع
مختلفة . واشكال متفاوتة . وتفصيل ذلك لا يليق بهذا المختصر .
فمن ابنيتهم الدار . ويقال لها الدارة والمنزل والمنزلة والمبأة والمعان
والوطن والمغنى والمثوى والربع . ويقال لصحن الدار حر الدار
وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها وبحبوحتها . وفي الدار البيت
وجمعه ابيات والكثير البيوت . والمخدع البيت في البيت . والنفق
والسرب البيت تحت البيت . والغرفة فوقه وهي العلية وجمعها
علالي . والخزانة وهي التي يحفظ فيها الشيء قال امرؤ القيس .
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواء بخزان
والمرقد المصمم . والحائط والجدار ما طاف من البناء بالشيء . والاس
اصل الحائط . والرهص البناء من الطين الموطوء ينضد بعضه فوق
بعض طريقة طريقة . ويقال لكل عرق من الحائط دمص . ما خلا
العرق الاسفل فانه رهص . والحط الواحد منه ساف والجمع اسؤف
وسؤف . ويقال للصف الواحد من اللبن ايضاً ساف فاذا اقيم الآجر
بعضه فوق بعض فهو السميطة . ويقولون ارتفع الحائط اذا بلغ ان يوضع
عليه عقد الازج اوان يغمى اوان يقبب اوان يسمن . وبيت مغمى
اذا سقف بالخشب والغماء ما يغمى به . وبيت مقبب ومسنم على هيئة
السنام في تضايق اعلاه واتساع اسفله . والبرزخ الفرجة بين الازجين

في صهوة البيت والهدف ترس الازج .

(وفي الدار الصفة) وجمعها صفاف ومنها الشرقية التي تقابل المشرق . والغربية التي تقابل المغرب . والفراية التي لاتقع الشمس فيها رأساً والمقنوءة مكان ظله دوم كالاماكن التي يجمد فيها الماء . وبحد آئها المشرقة . والزاوية ملتقى الحائطين في البيت . والكوة الثقب في اعلى البيت ينفذ . ويقال لها الشاروق . والمشكاة التي في الحائط يقال لها الاوكة ويقال بيت مأوق . قال امرؤ القيس .
وبيت يفوح المسك في حجراته * بعيد من الافات غير مأوق
ويقال للسطح الاجار والصفوة . وسقف البيت اعلاه الداخل .
وسمكة ما بين قراره الى سقفه . والطاية السطح ومربد التمر . والدرج ما يرتقى فيه الى السطح فان كان من خشب فهو السلم والعتب الدرج وكل مرقة منها عتبة والجمع عتب وعتبات . والفرغ الخلاء بين المرقنتين والتفاريح والطنف آجر او نحوه ينجح به اعلى الحائط ليقيه المطر ان يسيل عليه وهو الكنة والافريز وافرز حائطه وطنفه . وفي نحوه قال الهذلي .

وما ضرب بيضاء ياوى ملكها * الى طنف اعياء براق ونازل
والعلاوة اعلى الحائط الذي لا يسمي وقد يكون الطنف قراميد . ويقال واحدها قرمد وهو الآجر الطويل قال .
اودمية في مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد بقرمد

ويقال الهراة من الحشب لاعلى الحيطان . والنجيرة سقيفة بنحشب
لايخالطها غيره . والعرس حائط او اسطوانة يقام فى البيت يوضع
عليها طرف الجائر وهو العارضة . والروافد خشب فوق العارضة والابن
واحدة ابنة والابان الذى يضربه والملمن الذى يضرب به . والسابل
الذى ينقل عايه . والسحقان والاسمقة خشبات يدخان فى السابل .
والطوب الآجر والطواب الذى يطبخ اتونه . والاطيمة آتون الجرار
والقصاع ونحوهما . والبلاط الحجارة تفرش بها الارض يقال دهايز
مباط ودار مفروشة بالآجر والبلاط . ويقال للبناء الهاجرى قال ليد
كمقر الهاجرى اذا بناه * باشباه حذين على مثال

والهاجرى نسبة الى قبيلة واول من بنى كان من هذه القبيلة . وقال
الجوهري وهاجرى نسبة الى هجر ومنه قيل للبناء هاجرى . والطين
الذى يطين الحائط والسطح ونحوهما . والملاط مارق من الطين ونحوه
السياع . ويقال للمالج الذى يمسح به وجه الحائط المسبعة والمسجة
والمطمر الحيط الذى يقدر به البناء والشيد والقص الجص . والجصاصة
موضع الجص . والملاحة مجعد الملح . والتلاجة مكبس الثلج . والجيار
والكلس الصاروج . قال الجوهري الصاروج النورة واخلاطها
فارسي معرب وكذلك كل كلمة فيها صاد وجيم لانهما لا يجتمعان فى كلمة
واحدة من كلام العرب .

(وفى الدار الكنيف) واصله الحظيرة ويقال له الحش

والمستراح والمخرج . فاما الكرياس فالكثيف على السطح بقناة الى الارض وربما كان ناتئاً مكشوفاً . والمرحاض المفتسل . والمرزاب والميزاب جميعاً الثعب ويكون من خشب وغيره . والبلوعة ثقب في وسط الدار وكذلك البلوعة والجمع البلايع . ويقال للاسطوانة الآسية والسارية قال جرير .

وجدنا بيت ضبة في معد * كبيت الضب ليس له سوار
وطوار الدار فناؤها ومثله الجنب والعذرة وجعلت اسماً لما يقوم عنه
الانسان اذ كان ياتى بها . والنوى حاجر حول الحيمة يحفر للمطر .
والدمن آثار الدار . والكرس ماتلبد من الابل والابعار . والطلال
ما شخص من الآثار . والروسم الرسم وهو كل اثر لا شخص له .
(وفي الدار المطبخ) وهو موضع الطبخ والمخبز موضع التنور
والمسعر والوطيس والتنور والهيلم واحد والكرامة طبق التنور
والمناقة حجره . والساعور تنور في الارض صغير .

(وما يتصل بالدار الاصطبل) ويجمع على اصطبلات واساطب
وفيه المربط وهو الموضع الذي تربط فيه الدواب . والمربط بكسر
الميم الحبل الذي تربط به الدابة . وفيه المعلق وهو موضع العلف
والآرى والآخية محبس الدابة . يقال تأرى اى تحبس .

(وفي الدار القصر) ويقال له المجدل والفدن والعقر
والصرح وهو كل بناء مرتفع . والاطم والاجم الحصن وجمعهما

آطام وآجام . قال قيس بن الخطيم .
 فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه * وترك الفلاشوركم في الكواعب
 والسور حائط الحصن . والربض حائط حول السور . والشرف
 ما اشرف فوق الحائط واستشرف الناس من وراءه اى رفعوا رؤسهم
 والبلد ثم المدينة وهي اصغر من البلد . ثم القرية وهي اصغر من المدينة .
 ومن ابنتهم البرأة والقترة والناموس والدجبة والقرموس وهي مواضع
 يستتر فيها من الصيد . والمرقب موضع الطليعة وهو الديدبان .
 والحواء مكان الحى الحلال . والموسم مكان السوق . والمحفل مجمع
 الرجال . والمأتم مجمع النساء . والندى مجمعهم للسمر والحديث .
 والمصطبة محطتهم لعظام الامور . والخان وهو مكان ميّت المسافرين
 والخانوت مكان الشراء والبيع والسدة ما بنى امام الخانوت . والعضادة
 خانوت صغير قدام الخانوت الكبير . والخانة مكان التسوق في الحمر
 والماخور مكان الشرب في منازل الخمارين . والديماس الحمام واللاتون
 موقد تاره . هذا كله مما يدلك على ان القوم بمن كان له في هذه
 الصناعة اليد الطولى والقدم الراسخة كيف لا وفي ارضهم المباني القديمة
 والقصور المشيدة وقد بقيت الى اليوم اطلالها . ولم ينج من وجه
 البسيطة رسمها ولا مثالها .

(بيوت اهل البادية من العرب)

بيوت العرب على عشرة أنحاء . خباء من صوف . وبجاد من وبر

وفسطاط من شعر . وسرادق من قطن . وقال الجوهري السرادق واحد السردقات التي تمتد فوق محن الدار . وكل بيت من كرسف القطن فهو سرادق قال رؤبة .

ياحكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد عليك محدود
ويقال بيت مسردق قال الشاعر يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر
تحت ارجل الفيلة .

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه * صدور الفيول بعديت مسردق
ومن بيوتهم القشع وكانوا يتخذونه من الجلود والقشع الجلد اليابس
قال متم بن نويرة يرثي اخاه مالكا .

ولا برما تهدي النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقا
والطراف بيت كان الاغنياء منهم يتخذونه من الاديم قال قائلهم .
رأيت بني الغبراء لا ينكرونه * ولا اهل هذا الطرف الممدد
وبنو الغبراء هم الفقراء . يريدان الممدوح يعرفه الفقراء والاعنياء .
والحظيرة بيت كانوا يتخذونه من شذب وهو جمع شذبة بالتحريك وهو
ما يقطع مما تفرق من اغصان الشجر ولم يكن في لبه . قال الجوهري
والحظار الحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها الريح والبرد والمختضر
الذي يعمل الحظيرة . والحيمة بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر .
والجمع خيمات وخيم مثل بدرة وبدر والحيم مثل الحيمة والجمع خيام
مثل فرخ وفراخ ونخيم بمكان كذا ضرب خيمته به والاقنة بيت يبنى

من حجر والجمع اقن مثل ركة وركب . قال الطرماع .
 في شاطئ اقن بينها * عرة الطير كصوم النعام
 والكبة بيت بينى من لبن . وهذه البيوت العشرة لم يتفق عليها اهل
 اللغة بل اختلفوا في بعضها . وهذه البيوت لاهل البوادي احب لديهم
 من القصور المشيدة والبيوت المزخرفة . وفي ذلك يقول قائلهم .
 ليت تحقق الارواح فيه * احب الى من قصر منيف
 « وقال آخر »

الحسن يظهر في شيئين رونقه * بيت من الشعر او بيت من الشعر
 وسبحان من تصرف في قلوب عباده كما شاء واختار .
 (ومنها صناعة النجارة)

هذه الصناعة من ضروريات كل امة من الامم لاسيما اهل العمران وقد
 بينا ان العرب منهم اهل حضر وحاجتهم الى هذه الصناعة من الضروري
 فانه لا بد لهم من السقف لبيوتهم . والاغلاق لابوابهم . والكراسي
 لجلوسهم . ومنهم سكنة البوادي وهم الاصراب . ولا بد لهم من العمد
 والاوئاد لخيامهم . والحدوج لظعائهم . والرماح والقسي والسهام
 لسلحهم الى غير ذلك . وكل واحدة من هذه الامور فالحشب مادة
 لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة
 بذلك المحصلة ليكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها .
 قال ابن خلدون فيحتاج صاحبها الى تفصيل الحشب اولا اما بنحشب

اصغر منه او الواح . ثم تتركب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعة اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء لذلك الشكل المخصوص . والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران . ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ماعون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجادته بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضروري في شئ مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل تهئية القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم بريها وتشكيلها . ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلم بالذساتر قبده لرأى العين ملتحة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شئ يتخذ من الخشب فيجئ آتق مايكون . وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الآلات المتخذة من الخشب من اى نوع كان . ثم بين الامور التي تحتاج الى هذه الصناعة وما تتوقف هي عليه من المعارف ومن تعاطى هذه الصناعة من الاوائل والاقدمين . والمقصود من نقل كلامه بيان حقيقة هذه الصناعة وتعريفها فانه لم يعرج على بيانها غيره . والمقصود ان العرب كان منهم من زاول هذه الصناعة ومارسها وتقدم فيها على حسب استعداده وقابليته . وقد رأيت في كلام الائمة من اهل اللغة في ذكر اسماء اوصال الصور والاشكال المخصوصة ما يفيد كمال وقوفهم على هذه الصناعة ، وكذلك ماورد عنهم من اسماء آلات النجارة

مالولم يمارسوها لما عرجوا عليها . ولتورد مما ذكره شيئاً من القسرين
لازدياد البصيرة .

(اوصال الباب واسماء اجزائها)

الباب من ضروريات الدار ومن الامور التي لا بد منها وهي
انما تتكون بصناعة الحجارة . والعرب قد وضعوا لكل جزء مما تتركب
منه اسماً كما وضعوا لجلتها اسماء . فمن اسمائها الباب والرتاج . قال
امرؤ القيس .

له كفل كالدعص لبدء الندى * الى ثيج مثل الرتاج المضرب
ويقال له اذا كان واحداً فرد فان كان زوجاً فهما مصراعان . وهي
ابواب افراد وابواب مصاريع . ومن اسماء الاوصال ففي الباب
الواحد والواحد لوح وفيه المنكبان وهما جانباه . والمردم والمردى
ما يضم اسفل المنكين . والمقم ما يضم اعلاهما وهو اللوح المعروض
بينهما ويقال له اللحام . والصفائح الالواح العراض بينهما والواحدة
صفحة والزافر الذي يقال له انف الباب . ويد الباب اعلاه الذي
يدور في الحق الاعلى . ورجله الذي يدور في الحق الاسفل فان كان
من حديد فهو قطب . ويقال للحق الاسفل الجيرور والنجران .
قال الشاعر .

صببت الماء في النجران صبا * تركت الباب ليس له صرير
وصريره صريفه وهو صوته . والفائر الخشبة المثقوبة التي تدور فيها

يد الباب . . ويروى في الاغاز .

وما عزيز سريوما فمطب * وفانز والنار فيه تلهب

وللباب العضادتان وهما خشبتان تكتنفانه . والاسكفة الخشبة التي تضم العضادتين من اسفل . والعتبة التي تضمها من فوق . وهذه الاربعة اذا ادخل بعضها في بعض فصارت مربعة فهي اطار الباب كما يقال اطار المخل . والسقيفة مافوق العتبة من الخشبة التي توصل بها . وايد الباب وسنده وملاذته خشبة تركب على ظهره تنفذ اليها اذنان المسامير وتوثق بها الواح الباب . والمسامير ماكان من حديد والواحد مسمار . والود الود من خشب وجمعه اوتاد . والبوان خالقة الباب وفي المجلد البوان عمود البيت . وقال الجوهري البوان بكسر الباء وضمة عموود من اعمدة الخباء والجمع بون بالضم . وللباب حلقة ومقرعته وهي التي يقرع بها الباب . قال الشاعر .

من قرع الباب ولم * يجهز عن القرع دخل

فاذا كان مكانها سير فهو ودم . والرزة الحاقة التي يقع فيها الزرفين اذا اعلق . وكتائف الباب وضباته مايركب عليه من الحديد والواحدة ضبة والكتيفة الورد . والالواب حديدتان متركتان ذكر وانثى . والمغلق موضع المغلاق . والمغلاق مايفتح بالمفتاح . والمغلاق بالعين غير معجمة مالا يحتاج الى مفتاح . والقمو حجر الغلق . وفي الغلق البلاطيط والواحد بلطايط وهي الخشبات التي تقع في الثقب التي يتغلق

الباب بها . ويقال قلقل الغلق حتى تقع البلاطيط في اقامها . والمقلاد المفتاح وجمعه مقاليد . واسنان المفتاح هي التي ترفع البلاطيط عن الاقام للفتح . والخرق في الباب يسمى الصير وهو الشق . وفي الحديث من نظر في صير باب قفقت عينه فهو هدر . فان كانت في الباب خروق فهو مخرق . فاذا لم تكن الواحه متضامة وكانت بينها فرج قيل باب مضلع ومخلل . ويقال لما كان كذلك من خشب غير الواح مشبك . وباب مصفح اذا كان من صفائح عراض حسب . وتقول اصفقت الباب وسفقت اذا الصقته بالعتبة واجفته اذا تركت فيه فرجة وقد رددت الباب فهو مردود غير مصفوق وبلقت الباب فحته وانبلق انفتح . والبلق الباب المفتوح . واغلقتة فهو مغلق . والمحصن القفل وقد اقفلته فهو مقفل . وللقفل عموده وهو حديدته الطويلة . والفراشة التي تفيب في مغلق القفل منشب . ونعام الفراشة الحدائد المستطيلة المركبة عليها . واعيار الفراشة مانتاً منها والواحد عير . ويقال للقفل الجلازة . وفش القفل اذا عاجله بشئ يحشوه به فيفتح من غير مفتاح .

(ادوات النجارين وآلاتهم)

لا يخفى ان لهذه الصناعة ادوات كثيرة لا يمكننا استيعابها في مثل هذا المقام وانما نذكر بعضاً منها استدلالاً على مقصدنا . فمن آلاتهم (الفأس) وهي مؤنثة وجمعها افوس وقوس (والخصين) بالخاء مجمة

والصاد غير مجمة فأس ذات خاف واحد (والحدأة) ذات رأسين والجمع حدآه قال الشماخ .

يباكرن المضاة بمقنعات * نواجزهن كالحدا الوقيع
اي الحدود والمضروب بالمطارق (والصاقور) الفأس العظيمة التي لها رأس واحد دقيق تكسره الحجارة وهو المعول ايضاً . وقد صقرت الحجارة صقراً اذا كسرتها بالصاقور (والكرزن) والكرزين بالكسر فأس عظيمة يقطع بها الشجر ومثله الكرزم والكرزيم والكرزوم قال جرير .
واورثك القين الملاة ومرجلا * واصلاح اخرات الفؤس الكرازما (والقدوم) الفأس الصغيرة وهي مخففة قال الشاعر .

تنيف برأس في الزمام كأنه * قدوم فؤس ماج فيها نصابها
وقال الجوهري والقدوم التي ينحت بها مخففة . والجمع قدم قال الاعشى
اقام به شاهبور الجنو * د حولين تضرب فيه القدم
وجمع القدم قدائم مثل قلص وقلائص . والحرت ثقب الفأس ونصابها خشبتها . ويسمى الفعّال وانشد ابن الاعرابي .

اتته وهي جانحة يداها * جنوح الهبرقي على الفعّال
وغرابها حدها . والوشيفة والخاسة عويد يجعل في خرتها اوفى فتق نصابها ليضيق . وذلك اذا ضم النصاب ولم يتماسك يقال وشطته ونخسته . وقلقت الفأس وماجت اذا اتسع خرتها واضطربت في نصابها فان خرجت منه قيل نصلت تنصل نصولا . قال الراعي .

في مهمه قاقت به هأمانتها * قلق القؤس اذا اردن نصولا
ومنها (المنشار) وهو ما ينشر به الخشب اى يقطع ويقال نشرته
واشرته ووشرته . ولذلك يقال ايضاً منشار والنشارة ماسقط منه
ومنها (المحفرة) وهى آلة يحفر بها الخشب . ومثلها المنقار ونقرت
الشيء اذا ثقبته بالمنقار ومنها (المسحل) وهو مبرد اخشن من مبرد
الحديد . وهو الذى يسحل به الخشب اى ينحت . والصغير من ذلك
مسرد ومنها (المنقب) وهى آلة ينقب بها الخشب ومنها (الكلبتان)
وهى آلة يجذب بها النجار المسمار من الخشب . ويأخذ بها الحداد
الحديد المحمى ومنها (العتلة) وهى آلة من حديد كأنها رأس فأس
(ويرم النجار) وتطلق ايضاً على العصا الضخمة من الحديد لها رأس
مفلطح يهدم بها الحائط . الى غير ذلك من الآلات والادوات المفصلة
فى كتب اللغة . ولولا معرفتهم بهذه الصناعة لم يستعملوا تلك الاسماء
لهذه الادوات .

(ومنها الحدادة)

وهذه الصناعة ايضاً من ضروريات الامم ولا يمكنهم الاستغناء
عنها بوجه . ومنافع الحديد للناس فى معائشهم ومصالحهم ليست بخفية على
احد . اذما من صنعة من الصنائع ولا عمل من الاعمال الا والحديد
او ما يعمل به آلتها . وفى التنزيل وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس وليعلم الله من ينصره ورسله ان الله قوى عزيز . وهذه الصناعة

من الصنائع القديمة في العالم . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزل مع آدم عليه السلام الميعة والسندان والكلبتان . وروى انه نزل ومعه المر والمسحاة . وفي خبر نزل ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والابرة والمطرقة والميعة وفسرت بالسن ونجى بمعنى المطرقة او العظيمة منها او ما تحديه الرمحي . وفي حديث ابن عباس نزل آدم عايه السلام من الجنة بالباسة وهي آلات الصنائع اوسكة الحرث وليس بعربي محض . وكانت العرب تسمى صاحب هذه الصنعة القين . قال الجوهرى القين الحداد والجمع القيون . وعن ابن السكيت يقال للحداد ما كان قين ولقد كان يقين قينا . يقال قن اناءك هذا عند القين . وقت الشيء اقينه قينا لمتمه واصلحته وانشد .

ولى كبد مجروحة قد بدا بها * صدوع الهوى لو كان قين يقينها

وفي المثل « اذا سمعت بسرى القين فانه مصبح » وهو سعد القين صار مثلا في الكذب والباطل . يقال دهدرين . سعد القين . ويقال لبنى القين من بنى اسد بلقين كما قالوا بلحرت وبلهجوم وهو من شواذ التخفيف . وكان القيون مختلفين في الاعمال فهم من كان يعمل اللجم والازمة لدوابهم وهي مشتتة على اجزاء كثيرة واوصال مختلفة . قال ابو عبد الله الاسكافى في كتاب المبادئ في اللجام الشكية وهي الحديدية المعترضة في الفم . والفأس الحديدية المنتصبة من الشكية . والفراشتان جانبا الشكية واليهما يربط العذاران والخطافان والشاكتان

حديدتان معقفتان للعنان . والكلوبان خرتان يدخل فيهما طرفا العنان
والحكمة الحديدية التي تستدير حول الاثف والحنك الاسفل وهما
حكمتان . والمسحلان حديدتان تكتنفان الشدقين . والحديدة الواقعة
على الصدغ صدغ . والطرف ما في اطراف السيور وقد يكون من فضة
والنكل لجم البغال . وقد اطنب في الكلام على اللجام وما اشتمل عليه .
والمقصود بيان ان هذه الصناعة كانت راسخة فيهم حتى تمكنوا من صناعة
دقائقها . ومنهم من كان يعمل لهم السيوف . وقد اشتهر بهذا العمل
رجل منهم اسمه سريج كان ماهراً في صنعها متقناً لها . والسيوف
السريحيات نسبة اليه . وكانوا يسمون الذي يطبعها اي يعملها الطباع
والصيقل هو الذي يصقلها . وفي ذكر اسماء ما اشتمل عليه السيف
يعلم دقة صنعه وما يحتاج اليه من زيادة المعرفة في هذه الصناعة .
لحديده هي النصل والسيلان سخته في القائم ومتن السيف ظهر النصل
يقال سخن متنه اي احماه . وصدر السيف مقدمه . وعرضاه وصفحاه
وصفحتاه واللاء بطنه وظهره . فاما حذاء فهما الذلقان والذبابان
والفراران والشفرتان . ومضربه ما تضرب به الضريبة وظبته طرف
المضربة . وشباته طرف الغلبة وصبيا السيف ناحيتا الشبابة وعيراه
حرقان مرتفعان وسط متنه يقال سيف معير . والمرصان ما بين
المير الى الحدين . وروثقه ماؤه وفرنده . واثره كديب النخل في متنه
وهو ماثور . وسيف مشطب ومشطوب في متنه شطبة وهي طريقة

فيه مرتفعة عنه . وتسمى سفسقة السيف . او السفسقة ما بين الشطبتين على صفحة السيف طولا . ولل سيف القائم وهو مقبضه . وفي القائم القيعة وهي الفضة او الحديد في طرفه كالكرة . ويسمى اعلى القيعة القلة يقال سيف مقلل . قال الهذلي .

ولقد شهدت الحى بعد رقادهم * تفنى جاجهم بكل مقلل
والسمار الذى فى طرفى القيعة وفى القائم الكلب والحرباء . والشعيرتان طرفا الحرباء . وفى احدهما حلقة فيها السير الذى يسمى القلس والنعفة والذؤابة والعلاقة . والسمار الذى فى وسط القائم ايضاً حرباء وكنب وفى كل قائم كلبان . والسفن الجلد الاحرش المحبب الحشن يلبس القائم . والرأس من فضة او حديد يجمع بين طرفى السفن . وقد يسمى القائم رأساً . قال معمر بن حماد البارقي .

هما بطلان يعثران كلاهما * يريد رأس السيف والسيف نادر
وغاشية القائم فضة او حديدة تواري رأس الجفن اذا اغمد . وشارباء طرفا الغاشية . وما تحت الغاشية من الجفن الزافر . والاساين جمع اسينة وهي سيور ادخل بعضها فى بعض وضفرت على القائم . والجفن الغمد والقرباب . وازاده الجلد الذى يلبس ظاهراً . وخلته جلد يبطن به . والنعل حديدة اسفل الجفن . والمحمل والحالة النجاد وهو السير الذى يركب العاتق ويحمل به قال الشاعر .
الى ملك لا تنصف النعل ساقه * اجل لا وان كانت طوالا محامله

اي لا تبلغ نعل سيفه نصف ساقه لطول قامته قال الشاعر .
 كَانَ عليها خلة فارسية * يقطعها بين الجفون الصياقل
 لان الخلة كانت جلوداً منقوشة . والرصائع جمع رصيعة وهي سيور
 تضفر بين الجفن والجماد . قال الشنفرى .

هتوف من الملس المتون يزينها * رصائع قد نيطت اليها ومحمل
 والبكرات الحاق التي في الجماد كفتوخ النساء وهي مدورات في اطراف
 الجمائل تمسك القيود . والقيود حلق في احد جانبي الجفن . والزوائد
 اطراف القيود . وقد يشد فيها السيور . فاذا سهل خروجه من غمده
 قيل سلس ودلق . وان تعسر قيل لصب ولحج فان ارتد عن الضريبة
 قيل نبا . فان انكسر قيل انقصف . وقيل صايته املت طرفه نحو الارض
 كمصابة الرماح وهززه فاهتز اي اضطرب « ومنهم » من كان يصنع
 لهم النبال والمسامير والسكاكين والاواني وسائر الادوات والالات
 والكلام في بسط ذلك يطول . وقد اطلب في بيان ذلك ابو عبد الله
 الاسكافي في كتاب المبادئ وكذا غيره من ائمة اللغة .

(ادوات الحدادين وآلاتهم)

من جملة آلاتهم وادواتهم (القرزم والعلاة) وهي السندانة .
 وعن ابن دريد ان القرزم بالقاف مضمومة لوح الاسكاف المدور .
 (والمطرقة) وهي آلة يضرب بها الحديد والفطيس اكبر منها وهي
 المتقعة ايضاً . يقال وقعت الحديد اقعها وقعاً (والمبرد) الذي يبرد

به الحديد . والبرادة ماسقط منه . وفسالة الحديد ماتناثر منه عند
الضرب اذا طبع (والمشخذ) مبرد للحديد اعظمها واخشنها . وقال
الجوهري المشخذ المس (والمفراص) للحديد كالمقراض لا ثوب . وقال
الجوهري والمفرص والمفراص الذي يقطع به الفضة . قال الاعشى .
وادفع عن اعراضكم واعيركم * لسانا كمفراص الحفاجي ملها
(والحفاجي) نسبة الى خفاجة بالفتح حتى من بني عامر مشهورين
بهذه الصنعة (والمنفاخة) ما ينفخ به الكير . والكير الذي ينفخ فيه .
وفي الصحاح كير الحداد زق او جلد غليظ ذو حافات . واما المني
من الطين فهو الكور (والمشرجع) مطارق لاحروف لنواحيه
ومطرقة مشرجة اى مطولة لاحروف لنواحيها . واذا كان الشيء
مربعاً قامت تحت حروفه قلت شرجه (والعسقلان) آلة للصائغ
وهو اصغر مطرقاته . والغداف الحديدية التي يدخل في احد طرفيها
الحاتم ويركزها على الجبأة وهي الحشبة التي بين يديه قال الشاعر
* كوقع العسقلان على الغداف * والحملاج متفاخه وهو حديدة مجوفة
ينفخ فيها الصائغ اذا اراد النفخ في كيره وله الكلبتان والمثقب .
(ومنها الحياكة والنسج)

هذه الصناعة من الصناعات التي كانت من مكاسب العرب وهي
ايضاً من ضروريات الامم . فان كل امة ولا سيما اهل الحاضرة
يحتاجون لهذه الصناعة لاجل لبوسهم وفرشهم وحمل اثقالهم ونحو

ذلك . وقد امتن الله تعالى عليهم بقوله ومن الانعام حمولة وفرشاً
الآية وبهذه الصناعة يعرف كيفية نسج الغزل من الصوف والكتان
والقطن سداً في الطول والحاماً في العرض لذلك النسيج بالانعام الشديد
فتم منها قطع مقدرة . فمنها الأكسية من الصوف للاشتغال . ومنها
التياب من القطن والكتان للباس . وبلاد العرب من العمران المعتدل
فالدف ضروري لهم ولا بد لهم من سراويل تقيهم الحر والبرد . وربما
استغنى عن هذه الصناعة اهل البلاد المنحرفة الى الحركما ينقل عن كثير
من السودان انهم عمارة في الغالب . وسيجي ان شاء الله ذكر ما كان
ينسجه العرب . وكان من المستجاد لديهم نسج اليمن .

(ادوات الحياكة والنسج)

كل حرفة من الحرف وصناعة من الصناعات لابد لها من آلات
تخصها وادوات تتوقف عليها فمن آلات هذه الصناعة عند العرب
(الحف) وهو الذي تلمظ به اللحمة اى تلقم ويصفق ليلتقمها السدى
والجمع الحففة . وقال الجوهري نقلا عن الاصمعي الحفة (المنوال)
وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب . قال والذي يقال له
الحف هو المنسج . ونقل عن ابى سعيد الحفة المنوال ولا يقال له
حف وانما الحف المنسج . ومن ادواتها (الوشيعه) وهى المنسج
وهى قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها وتسمى السهم .
وقال الجوهري الوشيعه لفيفة من غزل وتسمى القصبة التي تجعل

النساج فيها لحمة الثوب للنسج وشيمة قال ذو الرمة .
 به ملعب من معصفات نسجه * كنسج اليماني برده بالوشائع
 (والمشيمة) ما يلف عاياه الغزل (والثناية) التي يثني عليها الثوب (والعدل)
 خشبة لها اسنان كاسنان المنشار يقسم بها السدى ليعتدل (والصيصة)
 عود من طرفاء كلما رمى بالسهم فالحمه اقبل بالصيصة وادبر بها . وفي
 الصحاح الصيصة شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة .
 قال دريد بن الصمة .

فجئت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصي في النسج الممدد
 ومنه صيصة الديك التي في رجله (والنير) الخشبة المعترضة التي فيها
 الغزل وثوب منير ذو نيرين مضاعف النسج . ومن اللغويين من يقول
 النير لحمة الثوب فاذا نسج على نيرين كان اصفق وابقى (والمداد)
 عصاً في طرفها صنارتان يمدد بها الثوب (والصنارة) رأس المغزل
 (والكفة) الخشبة المعترضة في اسفل السدى (والحماران) يوضعان
 تحتهما ليرفع السدى من الارض والمهرة والرفيد يقال لها بالفارسية
 تله (والمثلث) قصبات ثلاث تسمى بالفارسية سكانه (والمبرم والبريم)
 الحبل الذي جمع بين مفتولين فقتلا حبلاً واحداً . والمبرم من الثياب
 المفتول الغزل طاقين ومنه سمى المبرم وهو جنس من الثياب . وسدى
 الثوب تسدية اذا مد الغزل ليسقيه الخزيرة وهي كالحساء من دقيق
 (والشفشقة) والشفاشق قصب يشق ويوضع في السدى عرضاً

ليتمكن به من السقى (والدعائم) خشبات تنصب ويمد عليها السدى
والسدى والسقى واحد وسدى مبرم وسدى سجيل . واللحمة بالفتح
ما يلحم به واداة الحائك المنصوبة تسمى (المنوال) وهو النول ايضاً قال قائلهم
حوكت على نولين اذ تحاك * وتخبط الشوك ولا تشاك
(ومنها الخياطة)

وهذه الصناعة ايضاً من ضروريات العمران وكانت من مكاسب
العرب واحد اسباب معاشهم . وعرفها ابن خلدون بانها تقدير
المسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل قطعاً مناسبة للاعضاء
البدنية . ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلاتاً او تنبياتاً او تفصيحاً
على حسب نوع الصناعة . قال وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري
لما ان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالاً . وانما
تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة
وقنونها . ثم بين سر تحريم الخيط في الحج وقدم هذه الصنعة والتي
قبلها ومن ابتدأ بها . ومن وقف على كسوة العرب وما كانت تلبسه
وتفترشه وما ورد عنهم فيها من الاسماء تبين له كمال وقوفهم على
هذه الصناعة وهذه نبذة منها .

(كسوة العرب)

الكسوة هي الثياب التي تلبس . وقد ذكرنا او آئل الجزء الاول
من هذا الكتاب ان اهل البادية من العرب وهم الرحل الذين لا يقيمون

بمحل كان شعارهم لبس الخيط في الغالب ولبس العمامة تيجانا على رؤسهم . وربما اتقوا رداء على ظهورهم واتزروا بازار . واما اهل الحضر وسكنة المدر منهم . فكانوا يتفنون في لبوسهم . ويختلفون في كسوتهم . فكان الكاهن لا يلبس المصبغ . والعراف لا يدع تذييل قميصه . وسحب رداءه . والحكم لا يفارق الوبر . والشاعر منهم كان اذا اراد الهجاء دهن احدى شقي رأسه وارنخى ازاره وانتعل نعلا واحدة . وكان لحرائر النساء زى . ولكل مملوك زى . ولذوات الرايات زى . وكانت سماء اهل الحرم اذا خرجوا من الحرم ان يتقلدوا القلائد . ويعلقوا عليهم الملائق . واذا اوذم احدهم الحج تزييا بزى الحاج . واذا ساق بدنة اشعرها . حتى انهم خالفوا بين سمات الابل والغنم . واعلموا البهيرة بغير علم السائبة . واعلموا الحامي بغير علم الفحول . وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم . وكذلك سائر الاغنام السائمة . واذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا في استئمتها الريش والخرق . ولذلك قال الشاعر .

يهب الهيجان بريشها ورعائها * كالليل قبل صباحه المتبلج

واذا بلغت الابل الفأ فقوا عين الفحل فان زادت فقوا العين الاخرى فذلك هو المفقأ والمعمى . وقال شاعرهم .

فقأت لها عين الفحيل تعيفا * وفيهن رعلاء المسامع والحامي

« وقال الآخر »

وهب لنا و انت ذواتنا * تفقأ فيها عين البعير

(وقال الآخر)

فكان شكر القوم عند المن * كي الصحاح وفق العين

والمقصود انهم مختلفين في اللباس والزي والسياء . حتى انهم اعتبروا ذلك في غيرهم مما يخصهم . ولو بسطنا الكلام على ملابسهم وما قالوا فيها من الشعر . وما ورد عنهم من الاسماء لادى ذلك الى سفر كبير وكذلك الكلام على فرشهم وارفائهم وما يتصل بذلك فانه يطول جداً . ونخص الكلام على ماورد عنهم في العمامة والتعال وكان ذلك من زيهم العام .

(العمامة وما ورد عنهم فيها من الشعر)

كانت العمامة تيجانهم وبها عزهم . وفي الحديث كانت عمامة العرب مخنكة اى طرف منها تحت الحنك ومن اسماء العمامة العصاة والمقطعة والمجر والمشوذ والكواراة . وفي الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سرية فامرهم ان يمسحوا على المشاوذ والتساخين . وهى العمامة والخفاف وقلان حسن الشيذة اى حسن العمة . وفي كتاب اباب الاداب وكانت السادة من العرب تلبس العمامة المهرأة وهى الصفرة قال الشاعر .

رايتك هربت العمامة بعدما * عمرت زمانا حاسرا لم تعمم
فزعم الازهرى ان تلك العمامة المهرأة كانت تحمل الى بلاد العرب

من امرأة فاشتقوا لها وصفاً من اسمها . واحسبه اخترع هذا الاشتقاق
تعصياً لبلده امرأة كما زعم حمزة الاصماني ان السام الفضة وهو معرب
عن سيم . وانما تقول هذا التعريب وامثاله تكثيراً لسواد العربات
من لغات الفرس وتعصياً لهم . وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة
وذكره الشاعر فقال .

واشهد من عوف حلولا كثيرة * يحجون سب الزبرقان المعصفرا
وكان ابو احيحة سعيد بن العاصي اذا اعتم لم يعتم معه احدهم كذا في الشعر
ولعل ذلك ان يكون مقصوراً في بني عبد شمس . وقال ابو قيس
ابن الاسات .

وكان ابو احيحة قد علمت * بمكة غير مهتضم ذميم
اذا شد العصابة ذات يوم * وقام الى المجالس والخصوم
فقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم
وكان البختری غداة جمع * يدافعهم بلقمان الحكيم
بازهر من سرارة بني لوى * كبدرا ليل راق على النجوم
هو البيت الذي بنيت عليه * قریش السرفى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعين منهم * فانت لباب سرهم الصميم
وقال غيلان بن خرشة للاحنف يا ابا بحر مابقاء ما فيه العرب قال
اذا تقلدوا السيوف وشدوا العمام * واستجادوا النعال ولم تأخذهم
حمة الاوغاد . قال وما حمة الاوغاد . قال ان يعدوا التواهب ذلاً .

قال الجاحظ واذا قالوا سيد هم فانما يريدون ان كل جناية يجتنبها
الجاني في تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه . انشد دريد بن الصمة .
ابلع نعيما واوفى ان لقيتهما * ان لم يكن كان في سميهما صمم
فلا يزال شهابا يستضاء به * يهدي المقانب ما لم تهلك الصمم
عارى الاشاجع معصوب ثلثه * امر الزعامة في عرينه شمم
« وقال الكنانى »

تخبئها للنسل وهى غريبة * فجاءت به كالبدر خرقا معصما
فلوشاتم الفتيان فى الحى ظالما * لما وجدوا غير التكذب مشتما
ولذلك قيل لسعيد بن العاصى ذوالعصابة . وقد قال القائل .
كعاب ابوها ذوالعصابة وابنه * وعثمان ما كفاؤها بكثير
وقيل لاعرابى انك لتكثر لبس العمامة . قال ان شيئا فيه السمع
والبصر لجديران يوتى من القر . وذكرت العمامة عند ابى الاسود
الدؤلى . فقال جنة فى الحرب . ومكنة من الحر . ومدفأة من القر .
ووقار فى الندى . وواقية من الاحداث . وزيادة فى القامة . وهى تعد
عادة من عادات العرب . قال عمرو بن امرئ القيس .

يامال والسيد المعمم قد * يبطره بعد رأيه الشرف
نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف
وكان من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع وفى اسواق العرب
كايام عكاظ وذى المجاز وما شبه ذلك التقنع الاماكان من ابى سليط

طريف بن تميم أحد بني عمرو بن جندب فإنه كان لا يتقنع ولا يبالي
 أن يثبت عينه جميع فرسان العرب . وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلا
 يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم . فكان هذا من شأنهم . وربما
 مع ذلك اعلم الفارس منهم نفسه بسياء . كان حمزة يوم بدر معلماً
 بريشة نعامة حرآء . وكان الزبير معلماً بعمامة صفرآء . ولذلك قال
 درهم بن زيد .

أنت لاق غدا غواة بني ال * ملكاء فانظر ما أنت مزدهف
 يمشون في البيض والدروع كما * تمشي جمال مصاعب قطف
 فابد سيماك يعرفوك كما * يبدو سيماهم فتعترف
 « وقال آخر »

إذا المرء أترى ثم قال لقومه * أنا السيد المفضى إليه المعمم
 ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم * وهان عليهم زعمه وهو الوم
 « وقال آخر »

إذا كشف اليوم العماس من استه * فلا يرتدى مثلي ولا يتعمم
 قالوا وكان مصعب بن الزبير يتعمم العقدآء وهو أن يعقد العمامة في القفاء
 وكان منهم من يعتم الميلاء . قال الفرزدق في محمد بن سعد ابن أبي وقاص
 ولو شهد الحيل ابن سعد لقنعوا * عمامته الميلاء عضباً مهنداً
 « وقال سحالة بن أخضر الضبي »

جلبنا الحيل من أطراف فلج * ترى فيها من الغزو اقورارا

بكل طمرة وبكل طرف * يزين سواد مقلته العذارا
 حوالى عاصب بالتاج منا * جين اغر يستلب الدوارا
 رئيس ماينازعه رئيس * سوى ضرب القداح اذا استشارا
 . « وانشد »

اذا لبسوا عمامتهم طووها * على كرم وان سفروا اناروا
 يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطمان هم تجار
 اذا ما كنت جار بنى لوى * فانت لا كرم الثقيلين جار
 وربما جعلوا العمامة لو آء الاترى ان الاخنف بن قيس يوم مبعود
 ابن عمر حين عقد لعيس بن طلق اللو آء انما نزع عمامته من رأسه
 فقعد لها له . وعلى ذلك قول زيد بن كثوة العنبرى .

منعت من العهار اطهار امه * وبعض الرجال المدعين زناء
 فجاءت به عبل القوام كأنما * عمامته فوق الرجال لو آء
 وربما شدوا بالعمائم اوساطهم عند المجاهدة واذا طالت العقبة .
 ولذلك قال شاعرهم .

فسيروا فقد جن الظلام عليكم * فبأست الذى يرجو القرى عند عاصم
 دفننا اليه وهو كالذبح حاضياً * نشد على اكبادنا بالعمائم
 « وقال الفرزدق »

بنى عاصم ان تلبوها فانكم * ملاهى للسوات دسم العمام
 « وقال آخر »

خليلي شدالى بفضل عمامتى * على كبد لم يبق الا صميمها
وقد ورد في العمامة شعر كثير . وفي العمامة الكور والجمع اكوار
وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس . ولانها ادارها حول رأسه
والصوقمة مدخل الرأس في العمامة . والذوابة ما ارسل منها على الظهر
والقفدة اعلى العمامة . واعتم القفد آء كفها على رأسه ولم يسدلها .
واعتم عمة عجر آء اى ضخمة . وتلهاها اذار دوراً منها تحت الذقن وهو
المأمور به . واقتمطها لانها على رأسه ولم يدرها تحت الحنك وهو
المنهى عنه . فاذا ادارها على بعض فقه فذلك اللثام . واذا ادارها
على فقه فهو اللقام . فان بلغ بها اصل فقه فذلك النقاب . فاذا لم يظهر
منه الا العينان فهو الاحجار والتوصيص .

(ماورد عنهم من الشعر في النعال)

العرب لم تزل تلهج بذكر النعال والفرس تلهج بذكر الخفاف .
وفي الحديث المأثور ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفرة . ويقولون هو
من زينة نساء آل فرعون . واما قول شاعرهم .

اذا اخضرت نعال بنى غراب * بغوا ووجدتهم اسرى لثاما
فلم يرد صفة النعل وانما اراد بانهم اذا اخضرت الارض واخصبوا
طنفوا وبغوا كما قال الآخر .

واطول في دار الحفاظ اقامة * واوزن احلاما اذا النعل اخضلا

« ومثله قوله »

يا ابن هشام اهلك الناس الابن * فكلهم يسعى بسيف وقرن

« واما قول الآخر »

وكيف ارجى ان اسود عشتري * وامى من سلمى ابوها وخالها
رأيتكم سوداً جمعاداً ومالك * مخصرة بيض سباط نعالها
فلم يذهب الى مديح النعال في انفسها . وانما ذهب الى سياطة ارجلهم
واقدامهم وانى الجمودة والقصر عنهم . وقال النابغة .

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباب
يصونون اجساداً قديماً نعيمها * بخالصة الاردان خضر المناكب
وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حمراً قط ولم تلبس نعلاً قط
اذا نقت . وقد قال قائلهم .

ونلقى النعال اذا نقت * ولا نستعين باخلاقها
ونحن الذؤابة من وآئل * الينا تمد باغناقها
وهم رهط خالد بن معمر . الذى يقول فيه شاعرهم .

معاوى امر خالد بن معمر * فانك لولا خالد لم تؤمر

« وقائلهم يقول »

اغاضبة عمرو بن شيبان ان رأت * عديدين من جرثومة ودخيس
فلو شاء ربى كان اير ابيكم * طويلاً كابر الحارث بن سدوس

« واما قول الآخر »

يأبى الى نعلين من جلد الضبع * وشركا من استرها لا تقطع
 * كل الحذاء يحذى الحافي الوقع *
 فهذا كلام محتاج والمحتاج يتجوز . وقال النجاشي لهند بن عاصم .
 اذا الله حيا صالحا من عباده * كريما فحيا الله هند بن عاصم
 وكل سلوى اذا مالقيته * شريع الى داعي الندى والمكارم
 لا ياكل الكلب السروق نعالهم * ولا تتقي المخ الذي في الجماجم
 قال يونس كانوا لا ياكلون الادمغة ولا يتعلون الا بالسبت . وقال كثير
 اذا نبذت لم تطب الكلب ريحها * وان وضعت في مجلس القوم شمت
 « وقال قتيبة بن الحارث »

الى معشر لا يخلصون نعالهم * ولا يلبسون السبت مالم ينحصر
 وقال الاخنف استجدوا النعال . فانها خلاخل الرجال . واذا مدح
 الشاعر النعل بالجوذة فقد بدأ بمدح لابسها قبل ان يمدحها . ومعنى
 قول قائلهم .

قام بناتي بالنعال حواسرا * والصقن وقع السبت تحت القلائد
 ان النساء ذوات المصائب اذا قن في المناحاة كن يضربن صدورهن
 بالنعال . وقال خلف الاحمر .

سقى حجاجنا نوء الثريا * على ما كان من مطل وبخل
 هم جمعوا النعال فاحرزوها * وسددوا دونها بابا بهقل
 اذا اهديت فاكهة وشاة * وعشر دجاج بعثوا بنعل

ومسواكين طولهما ذراع * وعشر من ردى المقل خشل
 فان اهديت ذاك لتحملوني * على نمل فدق الله رجلى
 « وقال كثير »

كان ابن ليلي حين يبدو فتجلى * سجوف الحباء عن مهيب مشمت
 مقارب خطو لا يغير نعله * رهيف الشراك سهلة المتسمت
 اذا طرحت لم تطب الكلب ريمها * وان وضعت فى مجلس القوم شمت
 « وقال بشار »

اذا وضعت فى مجلس القوم نعلها * تضوع مسكاً ما اصاب وعبرها
 ولما قال على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه لصمصعة بن صوحان
 فى المنذر الجارود ما قال . قال صمصعة يا امير المؤمنين لئن قلت ذاك
 انه لنظار فى عطفه . تفال فى شراكيه . تجبه حرة برديه . وذم رجل
 ابن التوأم فقال رأيت مشحم النعل . درن الجورب . مفضن
 الخف . دقيق الجربان . وقال الهيثم عيين لا يحلف بها الا الاعرابى
 ان يقول لا اورد الله لك صادراً . ولا اصدر لك وارداً . ولا حططت
 رخلك . ولا خلعت نملك . وقال آخر .

علق الفؤاد بريق الجهل * وابر واستعصى على الاهل
 وصبا وقد شابت مفارقة * سفهاً وكيف اصابة الكهل
 ادوكت معتصم ، وادركنى * حلى ويسر قأدى نعل
 « وقال آخر »

كم ارى من مستعجب من نعال * ورضائي منها بلبس البوالى
كل جرد آء قد تحيفها الخصف * باقطارها يسرو النعال
لاتداني و ليس تشبه في الخلقة * ان ابرزت نعال الموالى
لاولا عن تقادم المهد منها * بليت لاولا لكر الالبالى
ولقد قلت حين اوثر ذا الود * عليها بثروتي ويمالى
من يغالى من الرجال بنعل * فسو آتى اذن بهن يغالى
او بناهن للجمال قانى * في سواهن زينتى وجمالى
في اخائى وفي وفائى ورايى * وعفائى ومنطقى وفعالى
ماوقانى الحفا وبلغنى الحما * جة منها قاتى لاابالى
وشعر العرب المشعر بابسهم لالنعال وايتارهم لها على غيرها مما يلبس
بالارجل لا يمكن استيعابه في مثل هذا المقام . وما ذكرناه واف بالمقصود
(ومنها الفلاحة)

وهي من اسباب معاش العرب العامة لاسيما سكنة اليمن والبحرين
وعمان وهجر وغالب بلاد نجد . فسكنة هذه البلاد كلها غالب
معاشهم من الحرث والغرس . ولهم في غرس النخيل اهتمام واهتمام
وما ورد عنهم في شأنه كلام طويل . ومعرفتهم بشؤنه كمعرفتهم بالخيل .
وحيث ان ارضهم وبلادهم صالحة لانبات اكثر نبات العالم وشجر
الدنيا . اتسع نطاق معارفهم في هذه الصناعة . ومن تتبع الكتب
المؤلفة في النبات والشجر لاسيما كتاب ابى حنيفة الدينورى اعترف

بما ذكرناه مع ما في لغتهم من الشهود العدول عليه. وغالب من تعاطى هذه الصناعة سكنة البوادي منهم. وبين السبب في ذلك ابن خلدون فقال اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم. انما هو باختلاف نحتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله. والابتداء بما هو ضروري منه. ونشيط قبل الحاجي والكمالي. فزهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة. ومنهم من يتحلل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود. لانتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدولانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امراً ضروريا لهم. وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدف انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للجز عما ورا ذلك. ثم اخذ يذكر اسباب الحضارة وموجباتها. والحاصل ان ما ذكرناه غالب مدار معاش العرب. وما يقوم بدفع ضرورياتهم. وما تمس اليه حوائجهم. ولهم اسباب اخر كالقوص على اللؤلؤ. والى اليوم سكنة البحرين وهجر وغير ذلك من سكنة السواحل يعتاشون عليه. والبحث على اللؤلؤ والاصداف وكيفية صيده وما ورد عن العرب في ذلك مما لا يسعه المقام. ومنهم من كان يعيش على صيد البر والبحر.

ولهم فيه مذاهب وعوائد مفصلة في كتب الحديث . ومنهم من كان يعتاش بالمواشي والانعام كالقنم والبقر والابل : ولهم في القيام عليها وتربيتها قدم واسعة وعلم واسع

(ماوجب تقدم العرب)

من وقف على أحوال العرب وتصفح كتب أخبارهم وعرف شؤونهم على اختلاف طبقاتهم وأزمانهم . تبين له أن العرب أمة قديمة مضى عليها أمد طويل : وأتى عليها حين من الدهر لا يظلم له مبدأ معين : ولهم في كل ذلك ما بين ارتفاع وانحطاط . وترقي وهبوط . وأشلاف واختلاف . وسعادة وشقاء . وعز وذل . وعسر ويسر : ومن استقر آه أحوالهم تبين أن مدار تقدمهم وارتقائهم على منصة السور وذرورة العز أمور (منها العلم) فإن العلم على اختلاف قنوه : وتشعب غصونه . من أعظم أسباب سعادة الإنسان . وهو نور يحض به يهتدى أولو البصائر والعرفان . ولا نغنى به إلا العلم النافع الدافع لحاجات النوع الإنساني وضرورياته فدخل فيه جميع العلوم العقائدية والفنية : الفرعية منها والأصلية . وأما الجهل فهو أساس كل بلاء : وأهل كل جهد وعناء . فلذا ترى كل أمة استنارت عقولها بالعلم . ونحلت بحلى الفضل . لم تزل تتدرج في مدارج الارتقاء . وتتلأأ منها أنوار الهداية لسلوك سوء السبيل : وكل أمة امتد عليها رواق ظلام الجهل . واستحكم فيها داء الضلالة التدت عيون بصائرهم . وفسدت

مَتَاجِجُ افكارِها . فضلت عن سلوك الجادة . . وحرمت من اجتناء ثمار
السعادة . وانصفت بالصفات الذميمة . وتخلقت بالاخلاق الغير المستقيمة .
وتاهت في بيداء الحرمان . وجاءها موج البلاء من كل مكان .
فبالعلم النافع تكون الثروة . وبالعلم تهذب الاخلاق . وبالعلم يسود
الذليل . وبالعلم ينتصر على العدو . وبالعلم يقهر الخصم الالذ . وبالعلم
تفك اغلال الاعناق من اسر التقليد . وبالعلم تدرك الاماني وينال
كل مقصد بعيد . ومن باد من العرب وهلك انما كان من الجهل بعد
العلم والى بعد الهدى . لم تركب كيف فعل ربك بما دأب ذات
العماد التي لم يخلق مثاها في البلاد ونمود الذين جابوا الصخر بالواد
وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد
فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد . وهكذا من بقى
منهم انما تفرق جمعهم . وتشتت شملهم . وادركهم الذل والهوان . والفقر
والحسران . بعد ان ضاقت عنهم الحزون والسهول . ودوخوا البلاد
والاقطار بسيوف لم يصيبها فلول . لما خيم عليهم غمام الجهل . وعصفت
عليهم عواصف الغواية واتباع الاهواء . كما هو مفصل في كتب
التفسير والحديث . هؤلاء اولاد اسمعيل عليه السلام ولا سيما قريش
منهم انما كانوا من العز بمكان مكين . ومن السود بمحصن حصين .
بسبب ما كان لهم من العلم او فر نصيب . فآثرين منه بالقدح المعلى
والرقيب . فذات لهم يومئذ القبائل . ودانت لهم البلاد . فلم يكن

دونها حائل . وبذلك سموا قريشاً كما قال الشاعر .

وقريش هي التي تسكن البحر * بهما سميت قريش قريشاً
تاكل الفث والسمين ولا * تترك فيه لذي جناحين ريشاً
هكذا في البلاد حي قريش * يا كلون البلاد اكلا كيشاً

ولم يزالوا على عزهم ومجدهم واقبالهم وشرفهم الى ان تناقص منهم العلم وتقلص عنهم ظل المعارف والفضائل . وذلك قيل الاسلام نحو ثلاثمائة سنة . وهو المعنى بزمن الجاهلية على قول منصور .
فحينئذ شاع فيهم الجهل . واختلت منهم الاحوال . وفسد منهم اكثر الخلق المحمود . وارتفعت منهم البركات . وفشى فيهم المنكر . وتعاذت منهم النعم . وفترت منهم الغزائم . وتفرق منهم الشمل . وكثرت فيهم البدع والاهواء . الى ان اشرقت عليهم انوار بدر الاسلام وبعث الله تعالى من انفسهم رسولا مويذاً بالآيات الباهرة والمجرات الظاهرة مكرماً بطهارة الاعراق مشرفاً بما جيل عليه من مكارم الاخلاق التي تقض بها عوائد الفطر وبيان لها جميع البشر . من فروسيته وشجاعته وبأسه ونجدة وعزمه وهمته وعلمه وحلمه وزهده وعبادته ورضاه وصبره وحده وشكره وذكره وفكره واعتباره وتبصره وخوفه وخشوعه وتواضعه وخضوعه وكرام آياته وجدوده وسخائه وجوده وفصاحته وصدق لهجته ورعايته للعهد ووفائه بالوعد وامانته وشفقته وحسن خلقه وخلقه

وحبائه ولينه وثقته ويقينه وعفوه ورحمته وصفحه ورأفته
الى غير ذلك من الصفات الحميدة والشعائل السديدة . فوجدهم
اذنالك مابين طابداوتان . ومستقر على ايقاد النيران . وجاهد في تخريب
البلاد . وتمذيب العباد . وجاثم على السجود للشجر . والخضوع
للحجر . الى غير ذلك من الضلال والمنكر . هذا مع ما كانوا عليه
من الاستعداد . والقابلية لقبول الخير . ورجاحة الاحلام . وصحة
العقول . فجد حيثنذ بدعائهم الى ما فيه سعادتهم . وكابد ما كابد في تغيير
عوائدهم . لاسيما قومه وعشيرته . فقد نال منهم ما تشيب منه النواصي .
وتهدله الصياهي . فان العرب ولا سيما قريشاً كما وصفهم الكتاب
الكريم . كانوا من الدهاء واللدد عند الخصومة وخلاصة الالينة
وبلاغة المنطق . والتمسك بما الفوه من الموائد على جانب عظيم .
الى ان جمعهم على كلمة الايمان وعلمهم من المعارف والكمالات ما فيه
سعادتهم دنياً واخرى . ومرتهم على محاسن الاخلاق . وحنهم على
السي والتكيب . واصلح لهم ما افسدوه . وجدد لهم ما بدلوه . وغيره .
حتى نبعت من قلوبهم ينابيع الحكم الجملة . والمعارف النورانية .
وقاضت على الصيور والالينة . وابتلاؤها فيها الكتب والدفاتر .
واجمعوا اعلم من في الارض . فما من دابة في الارض ولا طائر
يطير بجناحيه الا وكان لهم به علم ومعرفة . وبذلك تقدموا يومئذ
ذلك التقدم الذي بهر العقول . واستولوا على غالب اقطار المعمورة

وجلوا عن القلوب ظلماتها . واشادوا الدين الحق على امتن اساس
وانقذوا العالم من لجاج الفساد .

(ومن اسباب تقدمهم اتفاق كلمهم)

من المعلوم الذي لا يستراب فيه ان القوم وهي اتفقت اراؤهم .
واجتمعت كلمهم . صاروا يداً واحدة على من سواهم وانتصروا على
عدوهم . وتعمد بيان مجدهم وهابهم من سواهم . وكان العرب ايام
جاهليتهم لا تجمعهم كلمة . ولا ينظمهم سلك نظام . وعادى بعضهم
بعضاً . وانتشرت بينهم الحروب والمنازعات . كما اخبرت بذلك كتب
ايامهم فلذلك فشى فيهم يومئذ الذل والصغار . وعمهم الهوان الى
ان اخذت العناية الالهية بايديهم من ذلك العناء وجمع شملهم بكلمة
الحق . واوجب عليهم الدين المين الاعتصام بحبل الله وان لا ينفرقوا
وامرهم ان يكونوا كالبنيان المرسوس يشد بعضه بعضاً . وكما يجسد
الواحد اذا شكا عضو منه شكا جميعه . وكان بين الاوس والخزرج
جروب ايام الجاهلية تطاوت نجومائة وعشرين سنة حتى قارب ان يفني
الحيان . فلما جاءهم الاسلام وتشرفوا به ارتفعت الشجاء ومن بينهم
واسمحو يداً واحدة على من سواهم . وذلك قوله عز اسمه . يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا
بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا النعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فانف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا جفرة من النار

فإنقذكم منها . كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون . فلما ألف الله تعالى كلمة العرب على الاسلام وتوجهوا لطلب ما في ايدي الامم من الملك لم يكن دونه حى ولا وزير . فكان لهم من الملك الواسع ما هو معلوم لمتنبى كتب الاخبار . فلهذا كان خطباؤهم وحكاماؤهم ينادون عليهم بالالفة ويحذرونهم من التفرق واختلاف الكلمة . ويحذرونهم بما يستتبع ذلك من العواقب الوخيمة والنتائج الفاسدة . وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب ما دل على ذلك من شعرهم وخطبهم ووصاياهم ما فيه الكفاية .

(ومنها العدل)

العدل اذا كان شاملا فهو احد قواعد الدنيا التى لا انتظام لها الا به ولا صلاح فيها الا به وهو الداعى الى الالفة والباعث على الطاعة وبه تنحصر البلاد وبه تنمى الاموال ومعه يكثر النسل وبه يأمن السلطان . وليس شئ اسرع فى خراب الارض ولا افسد لضعاف الخلق من الجور . لانه ليس يقف على حيد ولا ينتهى الى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل . والعرب لما استناروا بنور الدين المبين وجمعت متبذد شملهم كلمة الحق ودان لهم من دان من الامم ، شملوا الناس بالعدل فى احكامهم . اذ كان من اهم مقاصد الشريعة الفراء واعظم مطالبها واجل قضاياها . وبذلك نطق آيات التنزيل . منها ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس

ان تحكموا بالعدل ان الله نعمما يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً .
 وفي الحديث بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد . إلى غير ذلك
 من النصوص التي يضيق عنها المجال . ومن وقف على سير الخلفاء
 الراشدين وغيرهم من امراء العدل من العرب تبين له ان ما كان
 من استقامة ملكهم واتساعه انما هو بالعدل الشامل ووضع الامور
 في مواضعها . والعدل باب واسع يجرى في امور كثيرة ومرجعه الى
 عدل الانسان في نفسه ثم عدله في غيره . فاما عدله في نفسه فيكون
 بحملها على المصالح وكفها عن القبائح . ثم بالوقوف في احوالها على
 اعدل الامر من تجاوز او تقصير . فان تجاوز فيها جور والتقصير
 فيها ظلم . ومن ظلم نفسه فهو واغیره اظلم . ومن جار عليها فهو على
 غيره اجور . واما عدله في غيره فهو على اقسام . منها عدل الانسان
 فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته ويدخل فيه الرجل
 مع اهل بيته والاستاذ مع تلامذته والسيد مع خدامه وارقائه . ففي
 الحديث كالكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . والعدل ههنا يكون باتباع
 الميسور وحذف المعسور وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في الميسور .
 فان اتباع الميسور ادوم وحذف المعسور اسلم وترك التسلط اعطف
 على المحبة وابتغاء الحق ابعد على النصرة . وهذه امور ان لم تسلم
 للزعيم المدبر كان الفساد ينظره أكثر . والاختلاف بتدبيره اظهر .
 وفي الحديث اشد الناس عذاباً يوم القيمة من اشركه الله في سلطانه فجار

في حكمه : وعن بعضهم ليس للتجار تجار : ولا لعمالة داور : وعن آخر اقرب الاشياء صرعة الظلوم . وانفذ السهام دعوة المظلوم : ومنها عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها : والصحابة مع رئيسها : وعائلة الرجل معه وغير ذلك : فقد يكون باخلاص الطاعة وبذل النصرة . وصدق الولاء : فان اخلاص الطاعة اجمع للشمل وبذل النصرة اذفع للوهن . وصدق الولاء اني لسوء الظن : وهذه امور ان لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه . واضطر الى اتقاء من يتقى به قال الجعفي :

متى احوجت ذاكرم تخطف * اليك ببغض اخلاق الثام

وفي استمرار هذا حل نظام جامع وفساد صلاح شامل . قال بعض الاكابر اطع من فوقك يطاعك من دونك . ومنها عدل الانسان مع اكفائه وذلك بترك الاستطالة ومجانبة الادلال وكف الاذى : لان ترك الاستطالة آلف ومجانبة الادلال اغطف وكف الاذى الصف : وهذه امور ان لم تخلص في الاكفاء اسرع فيهم تقاطع الاعداء ففسدوا وافسدوا . وهذا كلام اجمالي على العدل واقسامه والمتكفل بتفصيله واستيعاب جزئياته كتب الشريعة . والمقصود هنا بيان ان من جملة ماوجب تقدم العرب بعد انحطاطهم لزومهم تجارة العدالة والائحية عن مساكن الظلم والبنى والمدوان . وقد تبنى بعض اكابرهم ايام الجاهلية ما يترتب على العدل من المصالح فتظاهروا بينهم على مجانبه

الظلم والمباعدة عن الجور وترك البنى على الناس فعقدوا حلف الفضول وغيره في مكة على ماسبق بيانه او آتله الكتاب . وقد اعرضت عن ذكر امور اخر اوجبت تقدمهم فانها تترتب على ما ذكر من الاصول الثلاثة التي هي منشأ كل خير وبالله التوفيق .

(سكنة البوادي من العرب وما امتازوا به عن الحضريين)

البادية هي الارض التي ليس فيها بناء من دور وقصور وغير ذلك . وهي البدو ايضاً والنسبة اليه بدوى . وفي الحديث من بدا جفاى من نزل البادية صار فيه جفاء الاعراب . والبداوة الاقامة بالبادية وهو خلاف الحضارة . والمبدى خلاف المحضر . ولما كان سكنى البادية تقتضى صيانة العز والشرف رجحها غالب العرب على الحضرة وكثر حنينهم اليها وذكر وحشها وطيرها ورياضها ونبتها وشجرها واغوارها وانجادها ورياحها ومياهها . ولا زالوا يفخرون في شعرهم بسكنائها قال القطامي .

ومن تكن الحضارة اعجبه * قاي رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فان فينا * قنا سلبا وافراسا حسانا
وكن اذا اغرن على جناب * واعوزهن نهب حيث كانا
اغرن من الضباب على حلول * وضبة انه من حان حانا
واحيانا على بكر اخينا * اذا مالم نجد الا اخانا
وقال آخر من قصيدة يمدح بها قوما من سكنة البادية .

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز في الحضر
« وقال آخر »

هذا ابو الصقر فرداً في محاسنه * من نسل شيان بين الضال والسلم
وروى ان ميسون بنت بجدل لما اتصلت بمعاوية ونقلها من البدو
الى الشام . وكانت تكثر الحنين الى اناسها . والتذكر لمسقط رأسها .
فاسمع عليها ذات يوم وهي تنشد هذه الابيات .

ليت تخفق الارواح فيه * احب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني * احب الى من ابس الشفوف
واكل كسيرة في كسر بيتي * احب الى من اكل الرغيف
واصوات الرياح بككل فج * احب الى من نقر الدفوف
وكلب ينبج الطراق دوني * احب الى من قط الوف
وبكر يتبع الاطماع صعب * احب الى من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف ■ احب الى من علج عنيف
فلما سمع معاوية الابيات قال لها ما رضيت ابنة بجدل حتى جعلتني علجاً
عنيفاً . وهذا من حنين اهل البادية اليها والتبرية من الحضر . وذكر
الراغب ان امرأة ضبية تسمى حسانة قعدت على بركة في روضة بين
الرياحين والازهار في الطيف وقت . فقيل لها كيف حالك هنا اليس
هذا اطيب مما كنت فيه بالبادية فاطرقت ساعة ثم تنفست وقالت .
اقول لادنى صاحبي اسره * وللعين دمع يحذر الكحل ساكبه

لعمرى لهر باللوى نازح القذى * بعيد النواحي غير طرق مشاربه
 احب الينا من صهاريج. ملئت * للعب ولم تملح لدى ملاعبه
 فياحبذا نجد وطيب ترابه * اذا هضبت بالمشى هواضبه
 وريح صبا نجد اذا ما تنسمت * فحى اوسرت جمع الظلام جناثبه
 واقسم لا انسا. مات حية * وما دام ليل من نهار يعاقبه
 ولا زال هذا القطر يسفر لوعة * بذكره حتى يترك الماء شاربه
 وقال آخر وقد تذكر بعض اودية البوادي فصبا اليه .

وحبذا حين تسمى الريح باردة * وادى اشى وقتيان به هضم
 ياليت شعري عن جنبى مكسحة * وحيث تبني من الحناء الاطم
 عن الإشاء هل زالت مخارمها * وهل تقير من ارامها ارم
 وجنة ما يذم الدهر حاضرها * جبارها بالندى والحمل محترم
 وقال امرأى انتقل من البداوة الى الحضارة فرأى المكاء وهو طائر
 برى فى الحضر وكان قد عهده يفرخ على شجر الآلاء والارطى .
 فقال لهذا الطائر فارق هذا المكان فانه ليس لك فيه الشجر الذى
 تمش عليه . واشفق من ان تمرض كما مرضت وذلك معنى قوله .
 الا ايها المكاء مالك ههنا * آلاء ولا ارطى قاين تبيض
 فاصعد الى ارض المكاكى واجتنب * قرى المصر لا تصبح وانت مريض
 وقال عبد لبنى قريط يقال له مطير اشتاق الى ارضه .
 الا ليت شعري هل ابين ليلة * وصد آه منى واليباض بعيد

بواد من اللعاء اعلاه عوسج * واسفله رمت عليه جهيد
 وهل اسمعن الدهر اصوات قية * بذى الهوزرى من ناشى ووليد
 « وقال آخر »

ايا جبلى غورى تهامة ~~كلما~~ * تطاللت نجدا اشرفت لي ذرا كما
 عدمتكمالا يونس الناظر الذى * به الشوق شيئا دونه قلنا كما
 اصابكما من حب نجد حرارة * وغل فلا يروى بماء صدا كما
 « وقال قائد بن حكيم متشوقا الى ارضه »

متى العيس من مصر بنا رافعاتنا * الى نجد اوباد لعينى قلالها
 ومنزع اليها الطرف حتى يردده * قموس القرى فى البعد يخفق آلهـا
 على متن عادى ~~كان~~ اماره * رجال تنادى افلتتها جمالها
 « وقال »

خايلى ان حانت بمصر منيتى * وازمعتما ان تحفر الى بها قبرا
 فلا تنسيا ان تقر آلى على الفضا * ونجد سلاما لا قليلا ولا تزرا
 وان سرت يا سبجان ربى بالفضا * او المرت من نجد مخيسة صعرا
 « وقال آخر »

الا ليت شعرى هل ابين ليلة * بصحر آء ما بين الجثوم الى شعر
 وهل اردن العين والشمل جامع * مقيم النوى قد حان ذاك على قدرى
 وهل ارين الرمل يام خالد * رميث اللوى من قصد مطلع الفجر
 فكيف ولم اصبح احدث قية * كرام المساعى من ربيعة او وبر

حمى سربهم في كل يوم كريمة * مصاعيب امثال المعبدة الزهر
« وقال آخر » .

الا ياديار الحى والحقى جيرة * بحيث تهنت في العروق جيوها
سقتك نجاه من ربيع تنابت * عليك وهبت غير نحس جنوبها
الا ليت شعري هل يعودن ماضى * لنا فيك ام هل تغفرن ذنوبها
« وقال آخر »

لقد كان بالدهنا حيوة لذيذة * ومحتطب لا يشتري بالدرهم
وقال صدقة بن نافع العقيلي متشوقا الى دياره وكان بالجزيرة .
ارقت ببحران الجزيرة موهنا * لبرق بدالى ناضب متعال
بدا مثل تلماع الفتاة بكفها * ومن دونه نأى وغبر قلال
فبت كأن العين تكحل فلفلا * وبى عس حمى بين وملال
فهو يرجمن عيش مضى لسبيله * واظلال سدر يانع وسيال
وهل ترجمن ايامنا بمتالع * وشرب باوشال لهن ظلال
وبيض كأمثال المها يستيننا * بقل وما مع قيلهن فعال
الى غير ذلك من الشعر المشتمل على الحنين الى البادية وما فيها .
والشعر آء الاسلاميون سبقوا الجاهلين اذ سلکوا مسلكهم ومنهاجهم .
والاموى في نجدياته وعراقياته اتى بما لم يسبق اليه . من ذلك قوله .
واسرى بعيس كالأهلة فوقها * وجوه من الاقار ابهى وانور
ويجبنى نفح العرار وربما * شمعت بمرينى وقد فاح عنبر

ويخشد غمدي بالحملى صفحة الزرى * اذا جر من اذياله المحضر
فما العيش الى الضب يحرشه الفتى * وورد بعستن اليرابيع اكدر
بحيث يلف المرء اطناب بيته * على العز والكوم المراسيل تهر
ويغشى ثراه حين يستقم القرى * ويسمو اليه الطارق المتور
« وقوله »

خليلي هذا ربع ليلي بذى الفضا * سقى الله ايلي والفضا وسقا كما
وقد كبتما الى مسعدين على البكا * فالعكما لاتسعدان اخا كما
اظل وحيداً لا ارى من احبه * فهل بالحملى لى من خليل سوا كما
ولو غاب عنى واحد منكما وهت * قوى الصبر لا وهى الزمان قوا كما
فكيف اذود الهم عنى تجلداً * وقد غبتما عن ارض نجد كلا كما
« وقوله »

بمنشط الشج من نجدنا وطن * لم تجر ذكراء الاحن مفقوب
اذا رأى الافق بالظلماء مخمراً * امسى وناظره بالدمع متقرب
ونفقة من عرار هزلته * رويحة فى سراها مسها لقب
تشقى غليلا بصدرى لا يزحزحه * دمع تهيب به الاشواق منسكب
« وقوله »

ونفحة من ربي ذى الانل قابلى * بها نسيم يزيد القلب احزانا
ولم يطلب تربها من روضة انف * فهاج ريام اطرابا واشجانا
لكن ذا الانل طاب الواديان به * حيث الرباب تجر النيل احيانا

ولم يكن لي أكتاف الحمى وطناً • ولا الفوارس من نيهان جيرانا
 الى غير ذلك مما يطول ذكره . وقد اطنب المسمودي في اختيار العرب
 سكنى البوادي وسببه • وهذا ملخص مذكره • قال ورأت العرب ان
 جولان الارض وتخير بقاعها على الايام اشبه بالمرز واليق بذى الانفة .
 وقالوا نكون محكمين في الارض نسكن حيث نشاء اصلح من غيره .
 قال وذكر آخرون ان القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار .
 ونيل الهمم والاقدار . وشدة الانفة والحمية من المعرة والهرب
 من العار . بدأت التفكير في المنازل والتقدير للمواطن فتأملوا شأن
 المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا . ومنهم من قال ان الارضين
 تمرض كما تمرض الاجسام وتلقحها آفات والواجب تخير المواضع
 بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى فاضر باجسام سكانه .
 واحال امرجة قطانه . ومنهم من قال ان الابنية والتحويط حصر
 عن التصرف في الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما
 في الفرائز من المسابقة الى الشرف . ولا خير في اللبث على هذه الحالة .
 وقالوا ان الابنية والاطلال تحصر الغذاء . وتمنع اتساع الهواء .
 وتسد سروحه عن المرور . وقذاء عن السلوك . فسكنوا البر الافيع
 الذي لا يخافون فيه من حصر . ولا من منازلة ضر . هذا مع ارتفاع
 الاقذاء . وسماحة الاهواء . واعتزال الوباء . وتهذيب الاحلام
 في هذه المواطن . وتقاء القرائح في التنقل في المساكن . وصحة الامرجة

وقوة القطنة. وصفاء الالوان. وصيانة الاجسام. فان العقول والاراء.
تتولد من حيث تولد الهوآء. وطبع الهوآء الفضاء. وفي هذا امن
من العاهات والاسقام. والعلل والآلام. فآثرت العرب سكنى
البوادي والخلول في اليبداء. فهم اقوى الناس همما. واشدهم احلاما.
واصحهم اجساما. واعزهم جارا. واحماهم ذمارا. وافضلهم جوارا.
واجودهم فطنا. لما اكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء. لان
الابدان تحتوى اجزاؤها على متكاثف الاكدار. وعناء الاقدار.
بما يرتفع اليه ويتلاطم في عرصاته واقفة من جميع المستحيلات
والمستنقعات من المياه. ففي اكنافه جميع ما يتصعد اليه. وكذلك
تراكب الاقضاء والادواء والعاهات في اهل المدن وتركبت في اجسامهم
وتضاعفت في اشعارهم وانتارهم. ففضلت العرب على سائر ما عداها
من بوادي الامم المعترضة. لما ذكر من تخيرها الاماكن وارتياها المواطنين.
قال المسعودى وكذلك جانبوا فضاضة الاكراد. وسكان الجبال.
من الاجيال الجافية وغيرهم الذين سكنوا خروت الارض ودهاسها
وذلك لان هذه الامم الساكنة هذه الجبال والودية تناسب اخلاقها
مساكنها في انخفاضاها وارتقاءها لعدم استقامة الاعتدال في ارضها.
فلذلك كانت اخلاق قطانها على ما هي عليه من الغلظ. وقد وفد على
كسرى انوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب
وسكنائها واختيارها البدو. فقال ايها الملك ملكوا الارض ولم تملكهم

وامنوا من التحصين بالاسوار . واعتمدوا على المرهفات الباترة .
والرماح السامرة . فمن ملك قطعة من الارض فكانها كلها له يردون
منها خيارها . ويقصدون الطافها . قال فاين حظوظهم من الفلك
قال من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدى . مشرفين على
الارض بحسب ذلك . قال فمارياحها قال اكثرها النكباء بالليل والصبا
عند انقلاب الشمس . قال فكم الرياح قال اربع فاذا انحرفت واحدة
منهن قيل نكباء . وما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما
بازائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال . وما جاء من وراء الكعبة
فهى دبور . وما جاء من قبل ذلك فهى صبا . قال فما اكثر غذائهم
قال اللحم واللبن والنيذ والتمر . قال فما خلائقهم قال العز والشرف
والمكارم وقرى الضيف واذمار الجار واجارة الخائف واداء الحملات .
وبذل المهج في المكرمات . وهم سراة الليل وليوث القيل . وعمار البر .
وانس القفر . الفوا القناعة . وسبقوا الضراعة . لهم الاخذ بالثار .
والانفة من العار . والحماية للذمار . قال كسرى لقد وصفت هذا
الجيل كرما ونبلا . وما اولانا بانجاح ذلك فيهم . فقخيرت العرب
البرارى والمهامه والمصاف . فمنهم المنجد والمتمم بمن سكن اغوار الارض
كغور بيسان وغور غزاة من ارض الشام من بلاد فلسطين والاردن
ومن سكنه من لحم وجذام . ولجميع العرب مباء يجتمعون عليها
وقطع من الارض يرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم وانجاد

الارض والبتاع والقيعان والوهاد . ولست ترى قبلا من العرب
توغل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كما خارج وماء
المقيق والسباط وما شبه ذلك من المياه . وقد استوفاهما الزمخشري
وابو لفدة الاصفهاني وغيرهما من الأئمة في كتبهم المشهورة .
(ما يمتاز به عرب البوادي عن اهل الحضرة)

الفرق بين سكنة البوادي وبين سكان البلاد والقرى مما يظهر
لكل احد . وذلك في الاجسام والحواس الظاهرة والباطنة والصور
والاخلاق والقوة والضعف ولحجة اللسان وسماحة اليد والجرأة
والشجاعة . وغير ذلك مما يطول ذكره حتى ان من وازن بين نبات
البادية ونبات البلد وجد بينهما فرقا من وجوه مختلفة . وكذلك
وحشه ودوارجه وطييره وسائر ما يكون في البرقانه يمتاز عما يتكون
في البلد في الحواس والافصاف . وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته
عدة فصول مشتملة على فروق بين الفريقين « منها » ان البدو اقدم
من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار مدد
لها لان البدو هم المقتصرون على الضروري في احوالهم العاجزون
عما فرقه . وان الحضرة المحتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم
وهوائهم . ولا شك ان الضروري اقدم من الحاجي والكمالي
وسابق عليه . ولان الضروري اصل والكمالي فرع ناشئ عنه
فالبدو اصل للمدن والحضرة وسابق عليهما لان اول مطالب الانسان

الضرورى ولا ينتهى الى الكمال والترف الا اذا كان الضرورى
 حاصلًا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة . واطال الكلام في بيان
 ذلك « ومنها » ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة .
 وذلك لان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول
 ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر . ويقدر ما سبق اليها من احد
 الخلقين تبعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا
 سبقت الى نفسه عوائد الخير وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب
 عليه طريقه . وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا عوآئده
 « ومنها » ان اهل البدو اقرب للشجاعة من اهل الحضرة وذلك لان
 اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في التعميم
 والترف واكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم
 والحاكم الذى يسوسهم . والحامية التى تولت حراستهم . واستأنموا
 الى الاسوار التى تحوطهم والحرز الذى يحول دونهم . فلا توجههم
 هيمة ولا ينفر لهم صيدهم غارون آمنون قد القوا السلاح . وتوالت
 على ذلك منهم الاجيال . وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم
 عيال على ابي مثواهم حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطيعة .
 واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحي وبمدهم
 عن الحامية واقبازهم غن الاسوار والابواب . قائمون بالمدافعة
 عن انفسهم لا يكلونها الى سواهم ولا ينتقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون

السلح ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق . ويتجافون عن المجموع
الاعرار فى المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبات
والهيعات ويتفردون فى القفر واليدآ مدلين بباسهم واثقين بانفسهم
قد صار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم
داع او استتفرهم صارخ . واهل الحضر متى خالطوهم فى البادية
او صاحبوهم فى السفر فهم عيال عليهم لا يملكون عليهم شيئا من امر
انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى فى معرفة النواحي والجهات وموارد
المياه ومشارع السبل « ومنها » ان معاناة اهل الحضر للاحكام
مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالتمعة منهم . وان الحضر لا يمكنه سكنى البدو
بل لا يمكن ان يسكنه الا القبائل . وان المصر يح من النسب انما يوجد
لاهل البادية من العرب لاهل الحضر منهم . وان اهل البادية اقدر
على التغلب بمن سواهم . وان الامة اذا كانت بدوية وحشية كان ملكها
اوسع . وان اهل البادية من العرب لا يتغلبون الا على البسائط .
وان البدويين اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب بخلاف
اهل الحضر . وان اهل البادية من العرب ابعد الامم عن سياسة
الملك . وان اهل البادية من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل
الامصار . وان اهل البادية قاصرون عن سكنى المصر الكثير العمران .
وقد اطنب فى الكلام على بيان اسباب هذه الفروق بما لا حاجة الى
نقله . ومن امن النظر ودقق فى احوال الفريقين ظهر له فروق

اخر . وسبحان من ميز كل قوم بخصائص لا توجد في غيرهم . وصفات لا تعداهم الى من سواهم . ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين .

(خاتمة الكتاب)

هذا آخر مايسره ولى التوفيق والانعام . من بيان ماكان عليه العرب قبل الاسلام . وقد جاء بحمد الله تعالى بحجة للناظرين . وتزهة للقارئين . بيدان ماوردته في كل باب . درة من عقد نحر وقطرة من بحر عباب . فان احوال طبقة واحدة من طبقات اولئك الاخيار . لا يقوم باستيعابها عدة اسفار . ولو سلك القلم سبيل الاختصار . وعسى الله تعالى ان يفيض لانجاز هذا المرام . بعض ذوى الهمم المليية من ائمة الادب الاعلام . فقد سهل الطريق . على من ساعده التوفيق . فالعرب ممن ينبغي الاعتناء بذكرهم . ويفحص عن طيب خبرهم . فهم اهل المآثر . واصل الفضائل والمفاخر . بمزاياهم تزينت صفحات الطروس . وبحميد سجاياهم تبسم وجه الدهر العيوس . وسنفرد ان شاء الله تعالى احسن كتاب . يستوعب احوال من بقى اليوم من اولئك القوم الانجاب . وقد انتشروا في البلاد . وملؤا الاغوار والانجاد . وفيهم مما كان عليه اسلافهم بقايا . وفيهم من هاتيك المكارم والسجاياء . ولست اغنى بهم كل من تكلم بلغتهم . او سكن في خطتهم واتسم بسمتهم .

فما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مصقول الحديد يمانى
 واسأل الله تعالى الاجر الجزيل . والذكر الجميل . اذا فنى الجسم .
 ونسى منى الاسم . والحمد لله ذى الانعام . فى البدء والختام . وهو الاول
 بلا عدد والاخر بلا امد . الحكيم بغير توقيف من احد . الذى احسن
 لما ادب . واجزل لما وهب . حمداً متصل الممد . جارياً على الابد .
 وصلى الله على النبي الامى . ذى الاصل الزكى . والقلب الذكى . والكف
 الندى . والزند الورى . ذى الرسالة الصادقة . والمقالة الناصحة . والمرة
 الصالحة . والاسرة الناصحة . صلوة جامعة بينه وبين آله الطاهرين
 الابرار . الطيبين الاخيار . وكان الفراغ من تسويده
 غرة جمادى الآخرة من السنة الرابعة بعد الثلاثمائة
 والالف من الهجرة ومن طبعه لثمان عشرة ليلة
 خلت من شعبان من السنة الثامنة عشرة
 بعد الثلاثمائة والالف . هذا مع كمال الاعتناء
 بتصحيحه . وبذل الجهود فى تنقيحه .
 وذلك فى بغداد المحمية فى مطبعة
 « دار السلام » المرضيه
 وآخر دعوانا ان
 الحمد لله رب
 العالمين

(وعند ختام الطبع انشد هذه القصيدة القرآءة. والخريدة الحوزاء.)
 (فريد الذات بين اقرانه. في ادبه وعرفاته. جناب معروف افندي)
 (لازال مصونا من كل ما يردى وهي)

بشرى لقد تم ما يملو به الادب * ومنه لامن سواء تبلغ الارب
 سفر اذا سافرت عشر العقول الى * ادنى معانيه اعياسها به الطلب
 حق علينا على لوح كتابته * من فضة صيغ لكن نفسه الذهب
 بل نفسه من سواد العين نكتبه * فوق البياض ومنها المزير الهدب
 لله من فقرات ضمنه اقتقرت * لها الاعاجم واستغنت بها العرب
 كأنما الذوق في الاذان فهو اذا * يتلى يصب على آذاننا الضرب
 يفوح من دفتيه نشر معرفة * كأنما هو حق طيبه الادب
 يبدى محاسن قوم عن جارهم * وحل في كل من عاداهم العطب
 لا يستباح حريم في مواطنهم * ولا يراع اناس منهم قربوا
 هم الا عن آء ما حلوا وما ارتحلوا * في ساحة الذل لم يضرب لهم طنب
 نساؤهم ام كل المكرمات كما * هم في الخصال لكل المكرمات اب
 هم في المرونة قوم ناشئون كما * فيهم لها ولهم فيها علا حسب
 الثابت والجاش هم كالراسيات اذا * دارت عليهم رحي الهيجاء ما هربوا
 بل هم ثقال اذا لاقوا مصادمهم * وهم خفاف اذا للعادت انتدبوا
 والكر والفر شيء ليس يحسنه * قوم سواهم وهم في كرم كرم
 سل الجياد بذاكم في الحروب اذا * سالوا على الخصم في شمارها غلبوا

فصيح اذا نطقوا اسد اذا اقتتلوا * الف اذا حملوا خمس اذا حسبوا
 لم يخف قرن عليهم في المراك وان * من غير الخير حالت دونه حجب
 كان اسيفهم في الحرب هاوية * على رؤس شياطين العدا شهب
 كم صر للطنن يوم في القتال وما * لبوسهم فيه الا الدرع واليلب
 سل عنه خرصانهم تنيك وهي بما * تنيك تعضدها الهندية القضب
 كم انحنوا الطمن في يوم الزال بها * ومالهم غير ارواح العدا سلب
 هم الكرام فلا تعدل بهم احدا * من غيرهم فهو لا تبع ولا غرب
 الاذكياء اذا تلقى الرموز لهم * والاسخياء اذا للتمتنى وهبوا
 كم قام فيهم لفسطاط الندى عمد * به السماح اليهم جاء ينتسب
 وكم تسيل عطايهم اذا اتجموا * اتي تجاريهم في وبلها السحب
 وما شكى الدم ذو عسر لموسرهم * الا وكان لديه المال والنشب
 يستبشرون اذا ضيف الم بهم * وهم بذلك هم مامرت الحقب
 اليس كان قرى الاضياف ديدنهم * اما الذمار لديهم حفظها يجب
 قد احرزوا قصبات السبق اجمعهم * في حلبة الفخر مذدر الملا حلبوا
 وما البلاغة الا فيهم بلغت * حد الكمال وغناها زالت الريب
 سل الفصاحة هل في غيرهم نشأت * وهل لها في البرايا غيرهم سبب
 وسل بذاك عكاظاً فيه كم تليت * اشعارهم فيه كم كانت لهم خطب
 يكفيهم شرقاً في الفخر انهم * من بينهم خير رسل الله منتخب
 هالك الكتاب فطالع كم حوى لهم * من المحامد ما يقضى به العجب

كأن اسطر ما تحوى صحايفه * اسلاك تبر عليها اللؤلؤ الرطب
قد طرزه بوشى من محاسنهم * اقلام اعمل من تحدى له النجب
ذاك الذى صدره البحر الحضم اذا * ما قاض وافتر عن در فلا عجب
ذاك الذى قد ترقى وهو تخدمه * كل الكواكب حتى السبعة الشهب
ذاك الذى رغبة فى نيل رؤيته * اضحى يشد اليه السرج والقتب
ذاك الاديب الارب العالم الفطن * الشهم النجيب الليب العاقل الدرب
يرتد رايه رعبا من مهباته * نعم ويرتد منها العسكر اللجب
لكن محياء طلق من تواضعه * حتى كأن الذى يأتى اليه اب
اعبى الافاضل طراً نيله رتبته * وكيف لا وهى امر دونه الرتب
شكرى له وهو محمود كما كثرت * فيه المحامد وازدانت بها الكتب
دارت عليه المعالي وهو مركزها * فى الدور فهو اذا دارت اها قطب
لله درك فيما حزت من شرف * ياسيداً دمه يشفى به الكلب
هذا كتابك قد تم الفخار به * وللأفاضل قد نيلت به الارب

(تقریظ شیخ الادب : وفارس میدان فصحاء العرب .)

(السيد الشريف : واللوحى الظريف . ذى الفضل)

(والفضيله . والمناقب الجلیة الجلیله . آلوسی زاده .)

(السيد الحاج على اقدى اناله الله تعالى من الخير مراده)

هذا بلوغ الارب * احب رسوم العرب

وجاء من اخبارهم • بكل قول طيب
 الله ما اعجبه • سافراً الى بالحب
 ينبيك عن ذكرهم • قلب جيد الكتب
 اولئك القوم الاولي • كانوا جمال الحقب
 ان ذكر الجود فهم • في جودهم كالسحب
 وهم هم الاولي لهم • يضاف كغف الكرب
 قد خلد الله لهم • مجداً قويم السبب
 وخصهم بفضلة • تأتيتك بالمستغرب
 فليهن اهل الفضل في • هذا الكتاب المحب
 وليشكروا شكرى الذى • وفى لنا بالمطلب
 فقرب الاقصى بالفاظ • موجز مستعذب
 اعجز في ايجازه • بكل لسان ذوب
 وراح في ابداه • سباق هذا الموكب
 ابان عن علم غدا • عن غيره في حجب
 فمن يرم الحوقيه • لم يلق غير التعب
 ذاك العلم الطيب • ابن الطيب ابن الطيب
 ورائة العلم له • من خير جدواب
 وكابر عن كبار • وانجب من انجب
 وضغنى متصل • الى وصي ونبي

والفخر في فضله * انا شريهضكا نسب
 قد جدد في العلم الى * ان قال اعلى الرتب
 ووجد في مؤلف * منقح مهذب
 صكائنا سطوره * مبانك من ذهب
 او غلده مر فاخر * ليط باحلى لب
 سوى جلوما جسة * عزيزة المكتسب
 فمخض الصكتب لها * وجاء بالمتخب
 فيجالة من اثر * اقر عين العرب
 خلد فيه مجدهم * على عمر الحقب
 فهو الصكتاب المقتى * لكل اهل الادب
 جزاء ربهم * خير الجزاء الاطيب

(وقد قرطه غصن دوحة الادب ، الذي ورث المجد والكمال)

(فمن اب بعد اب « عبد الحميد بكى » العاوى العيذى الحميرى)

(لازالت ميازيب الرحمة والرضوان على مشواه نجرى . وذلك قوله)

باسمه سبحانه

ان العرب وان هدمت اليوم قواعد مجدها وشرفها . ولم يبق
 رسم لاركانها ولا شرفها . قد خصها الله تعالى من العالى ما زاحت
 بالسماك . ومن الفضائل ما طاولت به الافلاك . وكتاب بلوغ الارب
 في معرفة احوال العرب قد عرف الناس بذاك . الا وهو لمحمد بن

الانصاف والحق . كما انه يجمع الفضل والصدق .
 همم اذا رقد الغافلون * عن الخير والمجد لا يرقد
 هو الحلو طعماً لاحبابه * وللشاني الارقم العربد
 اعني به محمود المساعي ومشكور الايادي * السيد محمود شكري افندي
 الاكوسي البغدادي * ادامہ الله تعالى كهفاً للعلوم والاداب . وملاً
 لاولي الالباب . ولا زالت الدنيا مشرقة بانوار فضائله . وازهار
 خائله فلقد قلدها قللاً الكمال لا العقيان . وجباها بفرائد الجمال
 لا الجمان . وانه لهو هو علما . وحزما وعزما . واحسانا وحلما . ومكارم
 اخلاق . وكرم اعراق . وفخراً للعراق واهل العراق .
 تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
 * عبد الحميد بن احمد الشاوي الحميري *

٢١ م ١٣١١

(تقریظ ورد من البحرین للادیب الماهر . الناظم النائر)

(الشيخ عبدالحسن الباهلي كان الله تعالى له خير معين وناصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الامام القدوة . العلم العليم . حبر الزمان . وبحر
 المرقان . بقية المجاهدين في الله . والحامين لسنة رسول الله * السيد
 محمود شكري الاكوسي البغدادي * ايده الله تعالى بايده . واعن
 نصره من عنده . وجعله من خزيه وجنده . سلام عليكم ورحمة الله

وبركاته . اما بعد فقد تشرف الحقيق . بورود الجزء الاول من كتابكم
 الخطير . ولقد سرتنا . والهج علايتنا وسرتنا . حيث كشف الحجاب .
 عما كان عليه العرب من الفضائل والآداب . اسأل الله تعالى ان يبيحكم .
 ويعمركم ويمهلهم . جمالا للايام . وركنا قويا للاسلام . فان هذا
 الكتاب جمع ماتناثر من درر ماثرهم . وحوى ما تفرق من غرر
 مفاخرهم . مع ان اولئك الكرام . كما وصفهم شاعر الاسلام .
 قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * او حاولوا النفع في اشيائهم نفعا
 سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الحلائق فاعلم شرها البدع
 ان كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
 لا يرقع الناس ما اوهمت اكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
 ان سابعوا الغير يوما فاز سبقهم * او وازنوا اهل مجد بالندى متعوا
 لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يحسبهم من مطمع طبع
 لا يفخرون اذا نالوا عدوهم * وان اصابوا فلا جور ولا هلع
 اللهم انا نمد اليك السؤال . ونضرع مع الخضوع والابتهال .
 ان تعلی جدهم . وتعيد مجدهم . وتوفقهم لصالح العمل والقول
 الفصل . ليتحقق الفرع منهم بالاصل . هذا ونرجو ان تحفونا بفرايد
 فوائدكم على الدوام . وعليكم منا التحية والسلام .

المخلص المود

عبد المحسن بن عبد العزيز الباهلي

١٤ ربيع الثاني ١٣١٤

(وبعد وصول الكتاب الى محل الطلب)

(وردت هذه الرسالة المشتملة من الفصاحة على ما يستوجب الجب)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمود افندي شكرى الآكوسى
البغدادى حفظه الله .

السيد ادام الله زينه . وافر بالمسرة عينه . واجرى بالحكمة اقلامه .
وثبت في مواقف المعارف اقدامه . واطلع من بدائنه في سماء الادب
بدرأ منيراً . ورفع له في ملاء المرقان ذكراً كبيراً . وردنا مؤلفه
المرسوم « بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب » فسرنا صنيعة المحمود
وبشرنا بنوال المقصود . اذ تبينا منه غيرة مؤلفه حفظه الله على
العلوم . وتصديه لنشر ما هو منها مطوى مكتوم . كيف لا وموضوعه
من الاهمية بمكان . لا يقوم بالتعبير عن جلالته اللسان . فالعرب هم
من عرفنا رجال السن والفصاحة . ومظهر الكرم والسماحة .
حيثهم مشهوره . وحماستهم غير منكوره . ولكن وا اسفاه لو يجدى
الاسف . على ما آلم لما آلم باحوالهم من التلف . فان جب الاسلام
ما قبله . استلزم بالمرّة جهله . خصوصاً وقد اشتغل اهل القرن الاول
وبعض الثانى بالفتوح والغزوات والفتوح . لما وجدوه في ارضهم من حلاوة
الايمان الممنوح . قلقوا ذلك بصدر رحيب . وقابلوا الكفار
من القتال بكل نوع عجيب . حتى استقام عماد الدين . وذلت اعناق

المضادين . فكان ذلك عن التأليف شغلا شاغلا . وحجبا عن الاهتداء الى سابق الامور حائلا . لان النفس كما لا يخفى على البصير الناقد . لا تقوى على شيئين في آن واحد . ثم جاء الخالفون فدوتوا ما وصل اليهم من الانباء . الا انهم حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء . فان في مائتي سنة . ما يكفي لضياح اكثر الامور ولا سيما اذا عذرت الوصل وتباعدت الدور . فحق لشكر السيد على هذه المهمة المحموده . والغيرة العلمية المشهوده . فلا شك انه اجهد نفسه في البحث والتنقيب . حتى استخلص من بين تلك القشور ذلك اللباب . فهكذا تكون المهم . ولمثل ذلك فليحمد رجال الحكم . فاما الكتاب المذكور فستروى فيما جاء ضمنه ثم نبهت به لآخواننا اعضاء اللجنة . مؤملين ان سيحظى بالقبول . ويعامل من الرضا بما هو المأمول . هذا وانا ليسرنا كل مؤلف مهما كان موضوعه . فكيف بكتاب الاستاذ وفضله شقيقه . فليطلق لهما عناهما . وليقوم من غيرته سنانها . ثم ليطن في محور الجهالة برماح اقلامه . حتى تتألف دولة متبدد الادب مستظلة باعلامه . لازال للخيرات موقفا . وللآمال فيه محققا . والسلام عليه ورحمة الله

الكنز

كرلودي لتدريج

تسن في ٤ يوليو سنة ١٨٨٢